د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

عُمان مَعْبَرًا لتُجار الأندلس وعُلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا

(ق 3 ـ 5 هـ / ق 9 ـ 11 م)



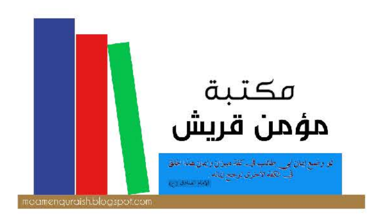




د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

عُمان مَعْبَرًا لتُجار الأندلس وعُلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا

(ق 3 ـ 5 هـ / ق 9 ـ 11 م)







عُمان مَعْبَرًا لتُجار الأندلس وعُلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا

(ق 3 ـ 5 هـ / ق 9 ـ 11 م)

د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا



ص.ب : 668 ر.ب . 100مسقط

E-mail: info@mhc.gov.om
www.mhc.gov.om

مسقط ـ سلطنة عمان

هاتف : 24641300 فاكس: 24641331



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com

بيروت ـ لبنان

هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-689-0

الطبعة الأولى 2015

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105].
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].
- ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: 12].
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 19-20].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].
- ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

صدق الله العظيم

إهداء

إلى «موقع عُمان العبقري»،،،

هِبة الطبيعة للعُمانيين،،،

فقد كان له عميق الأثر في تكوين الشخصية الحضارية المُمَيِّزة لعُمان عبر العصور التاريخية،،،

وهيأ لها ولأهلها المكانة العظيمة في مجال النشاط التجاري والعلمي،،،

وجعلها ملتقى التيارات الحضارية، وحلقة وصل بين الثقافات شرقًا وغربًا،،،

المقدمة

تقع عُمان في جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية، وتطل على الخليج وبحر العرب، وتُعد أقصى امتداد لليابس العربي داخل مياه المحيط الهندي. وقد هيأ لها هذا الموقع الاستراتيجي شخصيتها الجغرافية المتميزة، وأصبح اتصالها بالبحر من سماتها الواضحة؛ فسلك العُمانيون الطريق البحري، ونبغوا في ركوبه والاستفادة منه، فتهيأ لبلادهم مكانة عظيمة في مجال النشاط التجاري عبر العصور التاريخية، وأصبحت من أكبر المرافئ على المحيط الهندي قبل الإسلام وبعده، وقاعدة التجارة البحرية مع الصين والهند وبلاد فارس والعراق واليمن والحجاز وشرق أفريقيا، ومركز استقطاب للتجارة العالمية، فتدفق عليها التجار من الآفاق؛ للحصول على الأرباح الطائلة التي تدرها تجارتها، وانتعشت مدنها الساحلية المطلة على الخليج، خصوصًا صُحار، فكانت مقصدًا للمراكب، ومجتمع التجار من جميع الآفاق، ومنها يتجهز بأنواع التجارات لكل بلدة.

وزاد من أهمّية الموقع الاستراتيجي لعُمان، حراستها لبوابة

الخليج الجنوبية، والإشراف على ما يمر عبرها من تيارات بشرية واقتصادية وحضارية تنتمي إلى عالمين، أحدهما الشرق الأقصى ممثلاً في الهند والصين وجنوب شرقي آسيا، والعالم الآخر يمثل غرب آسيا، والبحر المتوسط وشمال أفريقيا وشرقها وجنوبها الشرقي، وجنوب أوروبا، وجنوبها الغربي (الأندلس). ولم تكن عُمان منطقة عبور فحسب، إنما كانت ملتقى التيارات الحضارية المرتبطة بأحواض أنهار السند، وأنهار بلاد فارس، ودجلة والفرات، والنيل.

والجدير ذكره أن صُحار ونزوى وغيرهما من المراكز العلمية بعُمان، قد تبوأت مكانة علمية مرموقة منذ الربع الأخير من القرن الثاني حتى أواخر القرن الخامس الهجريين، شدت إليها أنظار العلماء والمتعلمين من داخل عُمان وخارجها، فسعوا للقاء شيوخها، وكانون يشتهرون بالسمعة العلمية الطيبة؛ للسماع منهم، والأخذ عنهم. وقد أدرك بعض تجار الأندلس وعلمائها الوافدين إلى العراق والمقيمين في جنوبه، المكانة العلمية لشيوخ عُمان، وصلاتها التجارية ببلدان العراق وبلاد فارس من ناحية، وشرق أفريقيا من ناحية أخرى، فقدموا من البصرة إلى صُحار قاعدة عُمان، للتجارة وطلب العلم، ثم انتقلوا منها بالمراكب العُمانية عبر البحر يحملون البضائع العُمانية والعراقية إلى بلاد فارس، وبلاد الزنج بشرق أفريقيا، فمارسوا التجارة بهما، واقتبسوا العلم بالمراكز الثقافية ببلاد فارس، وجلس بعضهم لنشر العلم ببلاد الزنج زمنًا، ثم عادوا

متبضعين بالسلع الأفريقية إلى عُمان، ومنها إلى البصرة. وعند عودة بعضهم إلى الأندلس، نشروا علوم شيوخهم الخليجيين بالبلاد التي توقفوا فيها، فأثروا في حياتها العلمية.

وقد أثار موقع عُمان اهتمام الجغرافيين والرّحالة العرب والمسلمين عبر العصور التاريخية، فأدركوا أهميته الاستراتيجية، فأسهبوا في وصفه، واعتبروه أبرز عوامل ازدهار النشاط التجاري بها. ولا يزال هذا الموقع الفذ يثير اهتمام الباحثين المحدثين من العرب، والمسلمين، والمستشرقين، فعكف بعضهم على دراسة مختلف جوانب أهميته، وتعددت مصنفاتهم القيّمة في هذا المجال، ومع ذلك، فما زال حقلاً خِصبًا للبحث التاريخي، واتجاهًا يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء والبحث. فعلى سبيل المثال، لم تحظ أهميته كملتقى تجاري وعلمي لتجار الأندلس وعلمائها، ومَعْبرًا لهم إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا، باهتمام الباحثين المتخصصين في التاريخ الاقتصادي والعلمي الإسلاميين، فلم يخصصوا لدراسته بحوثًا مفردة قائمة بذاتها، فكل ما ذكروه عنه إشارات مقتضبة ومتفرقة وردت بكيفية عرضية في مصنفاتهم. كذلك لم ينل بعض الأندلسيين الذين رحلوا إلى عُمان، لطلب العلم والرزق، قدرهم من الاهتمام الذي يُبرز تَأثرهم بالنشاط العلمي والتجاري المزدهر بعُمان وبلاد فارس، وأثرهم في النشاط العلمي والتجاري بشرق أفريقيا. وربما كان السبب في ذلك أن الكُتّاب القدامى والمحدثين كانوا يهتمون بذكر مشاهير التجار

وشيوخ العلم وحَمَلته إلى الآفاق، وأيضًا تركيزهم على التبادل التجاري والعلمي بين عُمان ومراكز التجارة والثقافة الإسلامية البارزة، كبعض مدن بلاد فارس، وبلاد العراق، والشام، واليمن، وشرق أفريقيا، والحجاز، ومصر، والمغرب.

وتعود أهمية هذا الكتاب الموسوم بـ (عُمان مَعْبَرًا لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/ التاسع والحادي عشر الميلاديين)، إلى أنه سيسد هاتين الفجوتين في موضوع التواصل التجاري والعلمي بين بلاد الأندلس من جهة، وعُمان وبلاد فارس وشرق أفريقيا من جهة أخرى، بتوظيف بعض المُعطيات التراثية المنشورة، والمُحققة حديثًا التي لم توظف من قبل بالقدر الذي يتناسب وأهميتها، فقد كان بعض مصنفيها معاصرين للفترة موضوع الكتاب، ونقل بعض المتأخرين منهم عن شهود عيان للأحداث، بالإضافة إلى ثراء هذه المصادر وتنوع نصوصها ورواياتها.

فكتابنا يضم دراستين جديدتين عن التواصل التجاري والعلمي بين الأندلس وعُمان، خصوصًا صُحار، وعبور التجار والعلماء الأندلسيين منها إلى بعض المراكز التجارية والثقافية ببلاد فارس، للتجارة وطلب العلم، وعبورهم أيضًا إلى بلاد الزنج بشرق أفريقيا، طلبًا للرزق ونشر العلم. وسيلقي هذا الكتاب أضواء جديدة لم تُدرس من قبل على تتلمذ اثنين من العلماء الأندلسيين المغموريين على شيوخ عُمان وبلاد فارس،

ويلقي الضوء أيضًا على دور أحدهما في الحياة العلمية ببرقة وطرابلس الغرب، ودور العَالِم الآخر في الحياة العلمية ببلاد الزنج بشرق أفريقيا بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/ التاسع والحادي عشر الميلاديين.

فكانت الدراسة الأولى، بعنوان «**رحلة التاجر الفقيه محمد ابن عيسى البيّاني الأندلسي إلى مراكز التجارة والثقافة العُمانية والفارسية**». وهي تلقي أضواءً جديدة على إحدى صور التواصل التجاري والعلمي بين بلاد الأندلس من جهة وعُمان وبلاد فارس من جهة أخرى، من خلال رحلة البياني الأندلسي إلى صُحار أهم مراكز التجارة والثقافة العُمانية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وعبوره منها إلى مراكز التجارة والثقافة الفارسية، وأثر هذه الرحلة في الثقافة الدينية لمدينتي برقة وطرابلس، والأندلس.

أما الدراسة الثانية، وهي بعنوان «**عُمان مَعْبَرًا لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد الزنج في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بن ظُنَيْر الأنصاري المَيُوْرْقي نموذجًا**». وهى تلقي أيضًا أضواءً جديدة على رحلة هذا التاجر الفقيه اللغوي من البصرة إلى عُمان، طلبًا للعلم والتجارة سنة 471هـ/ 1079م، ثم رحيله منها عبر ميناء صُحار إلى بلاد الزنج بشرق أفريقيا، للتجارة، ونشر العلوم الدينية والعربية، مدة تزيد على السنة، وعودته بعد أداء فريضة الحج إلى العراق مستخدمًا الطريق البحري عبر صُحار سنة 474 هـ/ 1082م.

ولم يكن القصد من وراء نشر هذا الكتاب، أن نقف على ما هو معروف ومتداول عن التواصل الحضاري العُماني ببلاد فارس وشرق أفريقيا في العصور الإسلامية، فقد تعرض لها كثير من الباحثين في دراسات أخرى قيمة كما سنرى، وإنما هَدَفْنَا إلى إلقاء الضوء على بعض ملامح غير معروفة منها. وقد رأيت أن نشر هاتين الدراستين في كتاب يجعل الفائدة منهما أكثر شمولاً، ويُعين المثقفين المولعين بالتاريخ، وطلاب العلم، والباحثين في رحلتهم إلى عالم المعرفة الواسع، ليقفوا على نواحٍ جديدة غير مطروقة عن التواصل التجاري والعلمي بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه عبر عُمان حتى أواخر القرن الخامس الهجري.

وقد ارتكزتُ في هاتين الدراستين اللتين شكلتا هذا الكتاب على عدة مناهج بحثية، نذكر منها: المنهج التحليلي الاستقرائي، والمنهج الاستردادي (التأصيلي)، ومنهج التفسير الإسلامي للتاريخ، والمنهج السوسيو ـ تاريخي، والمنهج المقارن. ولم أتطرق في هذه المقدمة إلى تقسيمات الدراستين، إنما تركت ذكر ذلك عند عرضهما، نظرًا إلى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى الوحدة العضوية لكل منهما. وفيما يتعلق بالتوثيق المصدري، فقد حرصتُ على توثيق كل فكرة، أو تحليل، أو اجتهاد، انطلاقًا من الأصول التي اتسمت بالكثافة والتنوع، وحرصتُ أيضًا على تخريج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية، وتناولتها بالجرح والتعديل، قصد التحقق من صحتها. وقد اهتممت بالاستشهاد بأكبر قدر ممكن من النصوص

التاريخية والدينية والأدبية والجغرافية، وتوظيفها بإحكام ودقة، والاستشهاد بها في استنباط كثير من التخريجات، فلم أدّخر وسعًا في التنقيب في ثنايا أرشيفات الكتب التراثية، حتى أننا لا نكاد نطالع صفحة من صفحات الكتاب، إلا نجد فيها اقتباسًا أو أكثر، وبلغ عدد الإحالات المصدرية أكثر من ستمائة وتسعين إحالة، لتدعيمه من جهة، ولوضع القارئ في الصورة المعاصرة من جهة أخرى، كما لا تخلو معظم صفحات الكتاب من جديد في تحقيق الأحداث والوقائع والتواريخ والأسماء والمواضع والأماكن.

وختامًا: لست أزعم لهاتين الدراستين الكمال، فالكمال لله وحده، فهما كأي عمل علمي قد يشوبهما النقصان، ولكني آمل أن أكون قد ساهمت بهذا الجهد المتواضع، في إلقاء الضوء على بعض جوانب الحياة العلمية والتجارية بعُمان، وبلاد فارس، وشرق أفريقيا، وآمل أن يسد هذا الكتاب فراغًا في المكتبة العربية، ويكون عند حُسن ظن قارئيه، والمستفيدين منه. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه عظيم شكري وامتناني إلى كل من قدم لي يد العون، لإخراج هذا الكتاب.

وبعد: فالله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يعيننا على خدمة التاريخ الاقتصادي والعلمي الإسلاميين في القرون الهجرية الأولى، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

مسقط ـ مايو 2014م

الدراسة الأولى

رحلة التاجر الفقيه محمد بن عيسى البيّاني الأندلسي إلى مراكز التجارة والثقافة العُمانية والفارسية

1. أهمية موضوع الدراسة

اشتهر أهل الأندلس بشغفهم بالعلوم والآداب وبذلهم المال في تحصيلها ببلادهم، وشد الرّحال في طلبها خارجها[1]، واشتهروا في الآفاق أيضًا بنشاطهم التجاري

(1) ذكر الفقيه عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت 238هـ/ 852م) أن والده زوده بألف دينار عندما عزم على الرحلة إلى المشرق في طلب العلم، كما أباح له أن يستدين عليه بألف أخرى إن لزم الأمر (الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م، رقم 328 ص254)، وأنفق الفقيه يحيى بن عمر الكناني (ت 289هـ/ 901م)، ستة آلاف دينار في طلب العلم (عياض، **ترتيب المدارك**، صححه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، م1 ص507)، وعند عودة سلمة بن سعيد الأنصاري إلى الأندلس بعدما حج وأقام بالمشرق ثلاث وعشرين سنة، ساق ثمانية عشر حملاً من الكتب في مختلف العلوم، وأعانه على ذلك مال كثير كان قد حمله معه إلى المشرق (ابن بشكوال، **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- اللبناني، القاهرة- بيروت، 1990م، رقم 514 ص191-192).

الواسع داخل بلادهم وخارجها؛ ولذلك نعتهم الرّحالة المقدسي بتقدير العلم وأهله، وكثرة التجارات والتغرّب[1]، كما أشار الحميدي وابن سعيد الأندلسيان أيضًا إلى ولعهم بالتنقل والتغرّب، والطواف بالبلاد في طلب العلم[2]. ولقد ارتبط أهل الأندلس بروابط دينية وعلمية وتجارية متينة بإخوانهم ببلدان المغرب والمشرق، واستقطبت المراكز الثقافية والتجارية بالجناح الشرقي لدار الإسلام، وبعض البلدان المشرقية الأخرى، كالهند والصين أعدادًا كبيرة منهم، فتقاطروا عليها، لأغراض دينية، كأداء فريضة الحج ومجاورة الحرمين الشريفين، ولأغراض علمية، أو كما ذكر ابن حيان القرطبي «لقضاء الفرض، واقتباس العلم»[3]، ولأغراض

(1) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م، ص195.

(2) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص94، ابن سعيد، **المغُرب في حلي المغرب**، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ج2 ص72، وانظر أيضا: ابن عذاري، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج2 ص109، 143، 191، 205،

Makki (Mahmud Ali), **Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana,** Madrid, 1968, pp. 9-11.

(3) ابن حيان، **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، حققه وقدّم له وعلق عليه د. محمود علي مكي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م، ص201، 204، 373. =

تجارية[1]، وغير ذلك من الدوافع الطارئة والاستثنائية[2].

وتلقي هذه الدراسة الضوء على رحلة التاجر الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى البياني الأندلسي (نسبة إلى مدينة بيّانة Baena قاعدة كورة قبرة Cabra بموسطة

= وانظر أيضاً: الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص253، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، أرقام: 439، 779، 1289، الحميدي، **جذوة المقتبس**، أرقام: 100، 129، 146، 152، عياض، **ترتيب المدارك**، م1 ص294، ابن بشكوال، **الصلة**، رقم 514 ص191، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 2007م، م1 ص491، Makki, Ibid, pp.5-11.

(1) الخشني، نفسه، رقم310 ص229، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، أرقام: 134، 757، 764، 1066، 1426، ابن حيان، نفسه، 1979م، ص35، ابن عبد البر، **القصد والأمم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ص59، عياض، نفسه، م2 ص111، Makki, Ibid, pp.11-17.

(2) رحل بعض الأندلسيين إلى بلدان المشرق، لظروف طارئة، منها: تردي الأحوال السياسية ببلادهم، نتيجة الفتن والاضطرابات، وزيادة ضغط الممالك الإسبانية على الثغور الأندلسية (الخشني، نفسه، رقم 283 ص220)، ومنها أيضاً: الإفلاس وغلبة الدَيْن (الخشني، نفسه، رقم 279 ص218)، وتقلب المناخ الثقافي، والتضييق على العلماء والمفكرين (ابن الفرضي، نفسه، ق2، رقم 1204 ص39، ابن حيان، نفسه، 1979م، ص32)، كما رحل بعضهم أيضاً للاستشفاء (الحميدي، نفسه، ص89-90، الضبي، **بغية الملتمس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص127-128)، وانظر أيضاً: خالد عبد الكريم حمود البكر، **الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية منذ القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري**، الطبعة الأولى، الرياض، 2002م، ص86- 93.

الأندلس)[1]، إلى مراكز التجارة والثقافة العُمانية، ومنها: صُحار، والفارسية، ومنها: نرْمَاسير من بلد كرمان، وإقليم فارس، وجُرجان، وبسطام، وبعض مدن خراسان، كنيسابور، وطوس[2]، وأثرها في الثقافة الدينية لبرقة وطرابلس، والأندلس.

وتتضح أهمية هذه الدراسة في أنها تلقي أضواء جديدة على إحدى صور التواصل التجاري والعلمي بين بلاد الأندلس من جهة وعُمان وبلاد فارس من جهة أخرى، من خلال ما ستوفر للمتخصصين في مجال التواصل الأندلسي بعُمان وبلاد فارس والمهتمين به، ملمحًا جديدًا من ملامح هذا التواصل، كما أنها ستلقي أضواء جديدة لم تدرس من قبل على تتلمذ بعض التجار والعلماء الأندلسيين على شيوخ عُمان عند عبورهم منها إلى بلاد فارس في القرن الثالث للهجرة، وجهود هؤلاء الأندلسيين في نشر علوم شيوخهم الخليجيين بالمغرب والأندلس.

---

(1) كانت بيّانة، وهى مدينة أندلسية كبيرة أزلية البناء، تقع على يمين الطريق الذاهب من قرطبة وشرقي قبرة، وبينها وبين قرطبة 30 ميلاً (مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس مولينا، مدريد، 1981م، ج1 ص45)، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1 ص518، الحميري، **الروض المعطار**، حققه د. إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، 1984م، ص119،

Levi - Provencal, La description de L, Espagne de Ahmed al- Razi, R. al-Andalus, Vol.XV11, Madrid, 1953, p.65, Castro(Arjona), La cora de Cabra, Actas del 1 Congreso de Historia de Andalucia, Madrid, 1978, pp.61 y ss, Vallve (J.), La division territorial de la Espana Musulmana, Madrid, 1986, pp.262-263).

(2) ابن الفرضي، المصدر نفسه، ق2، رقم 1243 ص54-55.

2. الدراسات السابقة

اهتم كثير من المتخصصين فى مجال الدراسات الأندلسية بموضوع التواصل الحضاري بين بلاد الأندلس وبلدان المشرق الإسلامي، غير أن اهتمامهم اقتصر على دراسة التواصل الحضاري الأندلسي بمراكز التجارة والثقافة بمصر والشام والعراق والحجاز واليمن. وخصص نفر منهم بعض الدراسات القيمة التي تناولت موضوع التواصل الأندلسي المشرقي كظاهرة عامة، وما ترتب عليه من تأثيرات حضارية مشرقية (شامية، وحجازية، وعراقية) وفدت على الأندلس، نذكر منها:

Makki (Mahmud Ali), Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana.

وكتاب «تجارة العراق في العصر العباسي» لحسين علي المسري[1]، فقد خصص المؤلف مبحثًا للحديث عن الطرق والممرات التجارية البحرية والبرية بين العراق والأندلس، وخصص مبحثًا أيضًا للحديث عن الصلات التجارية بين العراق والأندلس في العصر العباسي، أشار فيه إلى انتظام المبادلات التجارية ونشاطها بين البلدين، ورحيل بعض العلماء والتجار من أحد البلدين إلى الآخر، وأشار أيضًا إلى التأثيرات العباسية في الحضارة الأندلسية، ودور التجار العراقيين والأندلسيين الذين كانوا يختلفون بتجاراتهم بين بغداد وقرطبة وغيرهما من المدن العراقية والأندلسية.

(1) منشورات جامعة الكويت، 1982م، صص284 - 288، 369 - 376.

وخصص نفر من الأكاديميين المتخصصين في الدراسات الأندلسية أيضًا بعض الدراسات لإلقاء الضوء على ملمح أو أكثر من ملامح التواصل الحضاري بين بلاد الأندلس وبلدان المشرق الإسلامي؛ فتناول السيد عبد العزيز سالم أحد مظاهر الصلات الاقتصادية، وأفرد لذلك بحثًا بعنوان «تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي»[1]، وقد أشار إلى دخول البيّاني الأندلسي خراسان وأرض فارس، للتجارة واقتباس العلم، غير أنه للأسف لم يشر إلى رحلته التجارية إلى عُمان. وخصص الباحث المغربي أحمد الطاهري بحثًا يتسم بالعمومية عن نشاط الأندلسيين التجاري خارج بلادهم مع بلدان العالم الإسلامي، والصين والهند، وبعض بلدان أوروبا، يحمل عنوان «الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات»[2]، وألمح ضمنًا إلى رحلة البياني الأندلسي إلى جُرجان، دون أن يصرح بذلك. وقد أشار الباحث الباكستاني Imamuddin في كتابه «تاريخ الاقتصاد الأندلسي في عصر الأمويين».

Imamuddin (S.M.), The Economic History of Spain under the Umayyads, 711-1031 A.C[*].

---

(1) ألقاه في ندوة «مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي»، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1989م.

(2) نشره ضمن كتاب **«دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف»**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993 م.

(*) Imamuddin (S.M.), **The Economic History of Spain under the Umayyads,** 711-1031 A.C., Dakka, 1963, pp.355-356.

إلى دخول البياني الأندلسي خراسان وأرض فارس تاجرًا، ولم يشر إلى دخوله عمان.

ولم يحظ موضوع التواصل الحضاري بين الأندلس وعُمان وبلاد فارس باهتمام الباحثين، رغم أهمية عُمان كمَعْبَر لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد فارس والهند والصين، وأهمية المراكز التجارية والثقافية بعُمان وبلاد فارس، للتجار وطلاب العلم المسلمين، ومنهم: أهل الأندلس، فلم يخصصوا لدراستها بحوثًا مفردة قائمة بذاتها، إنما تعرّضوا لها بإشارات متفرقة وردت عرضًا في مصنفاتهم عن التواصل الحضاري بين بلاد الأندلس ومراكز التجارة والثقافة بالمشرق الإسلامي. ورغم أن خالد عبد الكريم البكر قد تناول رحلات الأندلسيين إلى الجزيرة العربية في كتابه «الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية منذ القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري»، غير أنه أشار إلى رحلة البياني الأندلسي إلى عُمان والهدف العلمي منها فقط، ولم يتطرق إلى الهدف التجاري منها، وبطبيعة الحال لم يشر إلى أصناف السلع الأندلسية وغيرها التي حملها البياني معه إلى عُمان، والسلع المحلية والمستوردة التي نقلها من عُمان إلى بلاد فارس وتاجر بها هناك. وقد اختلط الأمر عليه كما سنرى، فلم يُعَرّف بالفقيه العُماني الذي لقيه البياني بصُحار قصبة عُمان، إنما أشار إلى فقيه آخر من البصرة، يحمل الكنية والاسم نفسيهما. وقد دفعتني هذه الأسباب لمعالجة هذا الموضوع، فقمت بتسليط الضوء عليه، مخصصًا هذه الدراسة له.

3. مصادر الدراسة

يتجلى من المصادر الأندلسية، وخصوصًا كتب التراجم والطبقات، ومنها: قضاة قرطبة، وأخبار الفقهاء والمحدثين للخشني، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وجذوة المقتبس للحميدي، والصلة لابن بشكوال، والتكملة لابن الأبار البلنسي، والكتب الأدبية، ومنها: الذخيرة لابن بسام الشنتريني، والمُغرب في حُلى المغرب لابن سعيد المغربي، والكتب التاريخية، ومنها: المقتبس لابن حيان، والبيان المُغرب لابن عذاري المراكشي، والكتب الجغرافية، ومنها: نزهة المشتاق للإدريسي، والروض المعطار للحميري، أن رحلات الأندلسيين إلى الآفاق قد حظيت باهتمام وافر. وتزخر كتب التراجم والطبقات وبعض الموسوعات الأندلسية التي اهتمت بتتبع هذه الرحلات، ومنها: نفح الطيب للمقري، بمعلومات قيّمة عن البلدان التي دخلوها، والعلماء الذين التقوهم وأخذوا منهم، والعلوم التي درسوها والمؤلفات التي حملوها عنهم، مع ذكر الموانئ والمراكز التجارية التي ترددوا إليها، والسلع التي حملوها معهم وتاجروا بها. والملاحظ أن معظم التجار الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق كانوا من أهل القلم، فقد دأبوا في المزاوجة بين الحج والتجارة، أو طلب العلم والرزق، وهذا يفسر لنا اهتمام كتب التراجم والطبقات بالرحلة التجارية التي غالبًا ما جاءت

كمعلومات عرضية في سياق التأريخ لأهل القلم[1]. وبذلك عوضتنا هذه الكتب خيرًا عن شُح المصادر التاريخية في تتبع أخبار هذا الصنف من المرتحلين.

والجدير ذكره أن بعض المصادر الأندلسية سالفة الذكر، كانت تورد أحيانًا عند ترجمتها للمرتحلين الأندلسيين، ثبتًا بأسماء شيوخهم من علماء المشرق، دون أن تُلمح إلى مكانتهم العلمية السامقة التي جعلتهم مقصدًا لهم، كما أنها لم تذكر رواياتهم التي أخذوها منهم، والمصنفات التي حملوها عنهم، كذلك كانت هذه المصادر تشير إلى الهدف التجاري لرحلات الأندلسيين، دون أن تتطرق إلى شهرة المراكز التجارية المشرقية التي دخلوها، والطرق التي سلكوها للوصول إليها، وأصناف السلع الأندلسية وغيرها التي حملوها معهم، والسلع المحلية والمستوردة التي نقلوها من بلد إلى آخر وتاجروا بها هناك. وقد صادفتنا كل هذه العقبات عند دراستنا لرحلة البياني الأندلسي، فاستلزم الأمر استنطاق ما تيسر لنا من المعلومات المتاحة في هذه المصادر، وتوظيف بعضها كقرائن للقياس عليها، والاعتماد على غيرها من المصادر المشرقية المحلية والعامة لمعالجتها، ومن أهمها: المصادر العُمانية، وخصوصًا كتب الإباضية، وكتب الأنساب، ومنها: الأنساب للسمعاني، وكتب

(1) أحمد الطاهري، الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات، ص60- 61.

البرامج، والتراجم والطبقات، ومنها: كتاب المعجم في أسامي شيوخ الإسماعيلي لأبي بكر الإسماعيلي، وتاريخ جُرجان لحمزة السهمي الجُرجاني، وتاريخ نيسابور لعبد الغافر بن إسماعيل النيسابوري، والتدوين في أخبار قزوين لعبد الكريم الرافعي القزويني، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وطبقات الشافعية لابن كثير، وطبقات الحفاظ وسير أعلام النبلاء للذهبي، وكتب الجغرافيا، ومنها: كتاب البلدان لليعقوبي، والمسالك والممالك لابن خرداذبَة، وأحسن التقاسيم للمقدسي، وصورة الأرض لابن حوقل، وجزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

أما ترجمة البياني الأندلسي، وأخبار رحلته إلى مراكز التجارة والثقافة بعُمان، وبلاد فارس، وتتلمذه على علماء هذه البلاد، فقد تم كشفه بجلاء اعتمادًا على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.

4. منهج الدراسة

عولتُ في هذه الدراسة على منهج يقوم على جمع النصوص المشتتة من مظانها الأصلية، ومنها: كتب التراجم والطبقات، والبرامج، والاستعانة بالمصادر التاريخية، والفقهية والجغرافية والأدبية، وكل ما يتضمن إيماءات مفيدة وشذرات ذات قيمة لاقتحام الجوانب المضببة من الموضوع، ثم ترتيبها

وتنسيقها حسب التقسيمات المطروحة، وقراءتها قراءة مؤسسة تمتد عبر مساحات معرفية متنوعة، تسعى إلى التفسير والنقد، وكشف أبعاد النص واستنباط مضمراته، فيما يعرف بالمنهج التحليلي الاستقرائي، مع الحرص على توثيق كل فكرة، أو تحليل، أو اجتهاد انطلاقًا من الأصول التي اتسمت بالكثافة والتنوع. وقد قدمتُ لهذه الدراسة بمبحث عن أهداف رحلة البيّاني الأندلسي إلى مراكز التجارة والثقافة بعُمان وبلاد فارس، وخصصت المبحث الثاني للحديث بإسهاب عن أسباب رحلته إلى مراكز التجارة والثقافة بعُمان وبلاد فارس، فذكرت منها: الرغبة المزدوجة في طلب العلم والرزق، وشهرة عُمان وبلاد فارس العلمية والسمعة الطيبة لعلمائها إعجاب طلاب العلم الأندلسيين بعلماء عُمان وبلاد فارس وتقديرهم لهم، وشهرة عُمان وبلاد فارس التجارية، وأخيرًا تشجيع الدولة العباسية لحرية التجارة بين المراكز التجارية الإسلامية.

وناقشت في المبحث الثالث خط سير رحلة البياني إلى عُمان وبلاد فارس واللغة المستخدمة فيها وأصناف السلع التي تاجر بها في مراكز التجارة بعُمان وبلاد فارس، ويعد المبحث الرابع متممًا للمبحث الثالث على المدة التي استغرقتها رحلته الخليجية وبنيته العُمرية علماء عُمان وبلاد فارس الذين تتلمذ عليهم، أبو عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي بمدينة عُمان (صُحار)، وأبو علي الحسن بن علي الأصبهاني الطوسي المؤدب بمدينة نرماسير، وأبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ

بنيسابور، وأبو أحمد عبد الله بن عدي المعروف بابن القطان الجُرجاني، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجُرجاني، وبقية شيوخه الخليجيين، وأثر رحلته إلى عُمان وبلاد فارس في الثقافة الدينية لبرقة وطرابلس، والأندلس، وختمتها بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها.

أولاً: أهداف رحلة البيّاني الأندلسي إلى مراكز التجارة والثقافة بعُمان وبلاد فارس

حدد ابن الفرضي التجارة كهدف رئيس لرحلة أبي عبد الله محمد بن عيسى البيّاني إلى بعض بلاد فارس، فقال: إنه دخل خراسان، وأرض فارس تاجرًا[1]. ورغم أنه لم يُشر إلى دخول البيّاني عُمان، ونرْمَاسير، وطوس، وبسطام، وجُرجان تاجرًا، فإننا نرجح أنه تردد إليها للتجارة أيضًا كما سنرى. ونستدل من رواية لابن الفرضي على هدف آخر لرحلة التاجر البيّاني إلى عُمان وبلاد فارس، وهو الهدف العلمي؛ فذكر أنه التقى بعض علماء هذه البلاد وسمع منهم، وكتب عنهم، منهم: أبو عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي (ت 260 هـ/ 873 م)، بمدينة عُمان (وهي صُحار قصبة عُمان الحصينة)[2]، وأبو علي الحسن بن

---

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2، ص54، السيد عبد العزيز سالم، **تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي**، ص63،

Imamuddin, **The Economic History of Spain under the Umayyads**, pp.355-356.

(2) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، =

علي الأصبهاني المؤدب بنرماسير(ت 312هـ/ 924م)، وأبو العباس محمد بن يعقوب الأصم (ت 346هـ/ 865م)، وأبو عبد الرحمن محمد بن حسام بن سعد بمدينة نيسابور، وأبو أحمد عبد الله بن عدي (ت 365هـ/ 975م)، وأبو بكر أحمد الإسماعيلي بجُرجان (ت 371هـ/ 981م)، وأبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن نوح الطوسي، وأبو جعفر محمد بن أحمد ابن أبي عامر البسطامي بمدينة بسطام[1].

والجدير ذكره أن أحد الباحثين ألمح ـ مستندًا إلى رواية ابن الفرضي - إلى أهداف رحلة البياني إلى عُمان فحسب، غير أن الأمر اختلط عليه، فلم يُعَرّف بالفقيه العُماني أبي عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي الذي لقيه هناك، إنما أشار إلى فقيه آخر يحمل الكنية والاسم نفسيهما هو المُحدّث أبو عبد الله محمد بن محبوب البُناني البصري (ت 223هـ/ 835م)[2].

= بيروت، 1988م، ص61، الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م، ص237، المقدسي، المصدر نفسه، ص74، 38، البكري، **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق د. عبد الله يوسف الغنيم، الطبعة الأولى، ذات السلاسل، الكويت، 1997م، ص37، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص156.

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2، ص54-55.

(2) خالد البكر، المرجع نفسه، ص73، 83. وانظر أيضاً: نفسه، ص73 هامش 8. وعن ترجمة محمد بن محبوب البُناني، راجع: البخاري، **التاريخ الكبير**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986 م، م1، رقم 775 ص245، ابن حبان البستي، **الثقات**، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، =

ثانيًا: أسباب رحلته إلى مراكز التجارة والثقافة بعُمان وبلاد فارس

شكلت المراكز التجارية والثقافية بالمشرق الإسلامي، وخصوصًا مصر، والشام، وبلاد الحجاز، واليمن، والعراق مراكز استقطاب لعدد عظيم من أهل الأندلس، فتقاطروا عليها من مختلف المناطق ببلادهم. وقد وصلت بعض رحلاتهم، ومنها: رحلة التاجر البياني إلى المراكز التجارية والثقافية في كل من عُمان وبعض البلدان الفارسية، وقد ساعد على ذلك عدة أسباب، منها:

2/ 1 الرغبة المزدوجة في طلب العلم والرزق

تبين من ترجمة ابن الفرضي لأبي عبد الله محمد بن عيسى البياني أن رحلته التجارية إلى عُمان وبلاد فارس قد اقترنت بطلب العلم. ورغم بُعد الشقة، والأخطار التي كانت تحدق بالأندلسيين في طريقهم إلى أقطار المشرق برًا وبحرًا، وفي ترحالهم بين بلدانه[1]، فإنهم تجشموا عناء السفر إلى هناك،

= 1983م، ج9 ص80، الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، م4، رقم 8119 ص25، ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1326هـ، ج9 ص429-430.

(1) رغم اهتمام الحكومات الإسلامية بالمغرب والمشرق بتأمين شبكة الطرق التى كانت تمر بأراضيهم، فقد كان اللصوص يغيرون على القوافل التجارية بشمال أفريقيا، ويعتدون على المرتحلين، وينهبون أموالهم=

وغامروا بأرواحهم من أجل تحقيق هذه الرغبة المزدوجة: طلب العلم والرزق. والجدير ذكره أن مؤلفي كتب التراجم والطبقات الذين اعتنوا بتدوين أخبار رحلات أهل الأندلس إلى المشرق الإسلامي كانوا يستخدمون تعبيرات تدل على مزاوجتهم بين العلم والتجارة، ومنها: «رحل إلى المشرق رحلتين، وكان متصرفًا في التجارة»[1]، «ورحل حاجًا وتاجرًا»[2]، و«رحل إلى

= وأمتعتهم، كما كانوا يتعرضون لمثل ذلك بأرض الحجاز أيضًا(الخشني، نفسه، ص17، ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص72، ابن الفرضي، نفسه، ق1 ص201، ابن بشكوال، نفسه، ص102). كذلك كان قطاع الطرق ومتلصصة البحر(القراصنة) يعترضون القوافل في البر والبحر خصوصاً على السواحل إلى حدود عدن وعُمان، ويمضون إلى ناحية فارس والعراق (مسكويه، **تجارب الأمم**، باعتناء مرغليوث وآمدروز، القاهرة، 1914م، ج2 ص301، 299، الكندي، **المصنف**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984م، ج11 ص163، مجهول، **تاريخ أهل عمان**، تحقيق وشرح د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الثانية، مسقط، 2005م، ص60). كما عانت منهم أيضاً الطرق التجارية الصحراوية التى كانت تربط بين فارس وخراسان، وكرمان وسجستان، مما أدى إلى توقف مرور القوافل التجارية عليها أحياناً (المقدسي، نفسه، ص368 ـ 369، ابن حوقل، المصدر نفسه، ص269 ـ 270، 340 ـ 341). وتمثلت معاناة المرتحلين الأندلسيين بالطرق البحرية في كثرة أعمال القرصنة التى استهدفت تهديد خطوط المواصلات البحرية بين الموانئ الإسلامية، والكوارث الطبيعية، ومنها: الرياح الشديدة والأمواج المتلاطمة التي كانت تتسبب بتحطم بعض السفن، أو غرقها بمن عليها من الركاب والأمتعة (الخشني، نفسه، ص234، الزبيدي، المصدر نفسه، ص253، ابن الفرضي، نفسه، ق1 ص 258، ابن حيان، نفسه، 2003م، ص359 ـ 360، 410، عياض، نفسه، م1 ص294).

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 757 ص247.

(2) الخشني، نفسه، رقم310 ص229، ابن الفرضي، نفسه، أرقام=

المشرق حاجًا وتاجرًا،.. وكانت له هناك رواية غير كثيرة، وكان الغالب عليه التجر»[1].

2/ 2 شهرة عُمان وبلاد فارس العلمية والسمعة الطيبة لعلمائها

أكد كثير من الكتاب المسلمين على ضرورة الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة، واعتبروها «مزيد كمال في التعليم»[2]؛ لما يُسفر عنها من فوائد مهمة في تكوين شخصية المرتحل العلمية، وصقل مواهبه وإكسابه المهارات، فحصول العلم عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، وقد شدد ابن خلدون على ضرورة الرحلة في طلب العلم، فقال: «فالرحلة لابد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[3]. وكان طلاب العلم الأندلسيون يحدوهم الطموح للارتشاف من قبس المعرفة، ويتحرقون شوقًا للقاء العلماء والشيوخ الذين كانت تحتضنهم مراكز الثقافة بالمشرق الإسلامي، «لاقتباس العلم من مظانه» كما يذكر ابن حيان القرطبي[4]، نظرًا إلى قلة عدد من دخل بلادهم من الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء، مما كان يستلزم

= 1426، 764، 134، ابن حيان، نفسه، 1979م، ص35، عياض، نفسه، م2 ص111.

(1) ابن الفرضي، نفسه، رقم 1066 ص363.

(2) ابن خلدون، **تاريخ العلامة ابن خلدون**، دار الكتاب المصري ـ اللبناني، القاهرة ـ بيروت، 1999م، م2 ص1044.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، م2 ص1045.

(4) ابن حيان، نفسه، 2003م، ص373.

تعويض ذلك النقص بالرحلة، والأخذ عن علماء المشرق؛ بغية إرواء ظمئهم العلمي[1]. وقد أسهمت الرحلة العلمية في تعزيز التواصل الحضاري وتوطيده بين بلاد الأندلس وهذه المراكز الثقافية، وكانت تزخر بنخبة متميزة من خيرة علماء اللغة العربية والنحو، والفقه والحديث الذين ساهموا بنصيب وافر في هذه الميادين، وذاعت شهرتهم، وشدّت الرّحال للأخذ عليهم، والارتشاف من علمهم، فقصدها كثير من طلاب العلم الأندلسيين، فدرسوا في حلقاتهم ونقلوا عنهم مؤلفاتهم.

وكانت عُمان معقلاً للمذهب الإباضي منذ أواخر القرن الثاني، وخلال القرن الثالث الهجريين، خصوصًا بعد ضعف المذهب الإباضي بالبصرة، ورحيل أعلامه إليها[2]، وقيام الإمامة الإباضية الثانية بها سنة 177هـ/ 793م[3]. وقد برز بعُمان بعض أعلام المذهب، منهم: الربيع بن حبيب الإمام الثالث

---

(1) محمود علي مكي، رواد الثقافة الأولى بالأندلس، **مجلة البينة**، الرباط، 1962م، العدد السابع، ص67.

(2) منهم: الإمام الربيع بن حبيب وقد عاد إلى عمان في أواخر عمره وأقام ببلده غضفان شمال صحار وبها قبره ومسجده (الكندي، **بيان الشرع**، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1984 ـ 1988م، ج1 ص61، 54، ج16 ص188، البطاشي، **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان**، الطبعة الأولى، مسقط، 1992م، ج1 ص50).

(3) عن الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، راجع: مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**، الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي، 1981م، 224 ـ 287، عبد الله بن مسعود أمبو سعيدي، عمان في عصر الإمامة الثانية، رسالة ماجستير، نوقشت بآداب اليرموك، الأردن، 1995م.

للإباضية (ت 175هـ/ 792م)، وكان قد صنف مُسندًا عرف باسمه، جمع فيه الأحاديث النبوية الشريفة عن شيوخه، وقد اعتبرت الإباضية هذا المُسند مصدرهم الأول في علم الحديث، فاهتم بعض علمائهم بشرحه[1]، ومنهم أيضًا: أبو سفيان محبوب بن الرحيل إمام الكتمان ورأس الدعوة الإباضية ومُقدمها في المشرق بعد انقراض علمائها الأوائل، وأحد حَمَلة العلم الخمسة عن شيخه الربيع بن حبيب إلى عُمان، وكان حُجة في السيرة، ومرجعًا أصيلاً لأخبار الإباضية[2]، وكان ابنه العلامة أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل قاضي صُحار (249 ـ 260هـ/ 861 ـ 873م)[3]، من أئمة الإباضية المجتمع على ولايته، وأحد رؤسائهم في العلم والدين، لم يتقدمه أحدٌ

---

(1) الدرجيني، **طبقات المشايخ**، تحقيق إبراهيم طلاى، الجزائر، 1974م، ج1 ص49 -50، ج2 ص276، الشماخي، **السير**، تحقيق أحمد ابن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1987م، ج1 ص95، البرادي، **رسالة تآليف أصحابنا**، تحقيق عمار الطالبي، الجزائر، 1987م، ص286، فرحات الجعبيري، **البُعد الحضاري للعقيدة الإباضية**، مسقط، 1987م، ص104، أمبو سعيدي، المرجع نفسه، ص183 ـ 184.

(2) الكندي، المصدر نفسه، ج1 ص96، ج2 ص76، أبو زكريا، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص122، الدرجيني، المصدر نفسه، ج1 ص49، ج2 ص478، ج19 ص87، البرادي، المصدر نفسه، ص248، الشماخي، المصدر نفسه، ج1 ص108، أمبو سعيدي، نفسه، ص184.

(3) نور الدين السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الاستقامة، مسقط، 1997م، ج1 ص164، 161.

من أهل زمانه[1]، وكان المرجع في الفتوى والرأي عند الإباضية في المشرق والمغرب في عصره[2]، واشتهر بجهوده في التبشير بالدين الإسلامي ونشره بين المشركين، وقد دخل بعضهم، خصوصًا الهنود الموجودين بصُحار الإسلام على يديه[3]. وفي عصره تبوأت صُحار مكانة علمية مرموقة شدت إليها أنظار العلماء والمتعلمين من عُمان وخارجها[4]. وقد جذبت شهرة محمد بن محبوب ومكانته العلمية ورسوخه في المذهب الإباضي بعض الشيوخ وطلاب العلم المغاربة، فسعوا للقائه؛ للسماع منه، والأخذ عنه، فالمصادر الإباضية تذكر أن عمروس بن فتح النفوسي (ت 283هـ/ 896م)، وجماعة من

---

(1) الكندى، نفسه، ج3 ص190، ج47 ص64، ج51 ص76، مجهول، **السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان**، تحقيق د. سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986م، ج2 ص91، مجهول، **تاريخ أهل عمان**، ص67 ـ 68، الخروصي، **ملامح من التاريخ العُماني**، الطبعة الثانية، مسقط، 1995م، ص63.

(2) الكندي، نفسه، ج28 ص195 ـ 197، البطاشي، المرجع نفسه، ج1 ص164 ـ 165، رجب محمد عبد الحليم، **الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، 1990م، ص142 ـ 143.

(3) أبو المؤثر، **كتاب الأحداث والصفات**، تحقيق د. جاسم ياسين محمد الدرويش، الطبعة الأولى، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1996م، ص3، البطاشي، نفسه، ج1 ص193.

(4) البطاشي، نفسه، ج1 ص192، محمد بن ناصر المنذري، **تاريخ صُحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، الطبعة الأولى، دار العلوم العربية، بيروت، 2008م، ص282.

أصحابه التقوه في مكة المكرمة، واستفسروه عن بعض القضايا الفقهية، وعند عودة الفقيه المغربي إلى بلاده أخذ يُعلم الناس بما استفاده هو وأصحابه من علمه[1].

وكان أهل خراسان يتمتعون بمكانة علمية مرموقة، وقد وصفهم ابن الفقيه الهمذاني فقال: «وهم أهل تجارة وحِكم وعلم وفقه»[2]. وأكد المقدسي ذلك فقال: «وأهل خراسان أشد الناس تفقهًا وبالحق تمسكًا»[3]. وكانت نيسابور حاضرة خراسان في عصر الدولة السامانية (261 ـ 389هـ/ 874 ـ 999م) مقصدًا لطلاب العلم؛ فهي معدن الفضلاء ومنبع العلماء، والراسخين من الأئمة[4]، وقد برزت كمركز من مراكز الحديث المهمة منذ القرن الثالث الهجري، كما امتازت عن غيرها من

(1) الدرجيني، نفسه، ج2 ص324، الشماخي، نفسه، ج1 ص192 ـ 194، رجب محمد عبد الحليم، **الإباضية في مصر والمغرب**، ص162 ـ 163.

(2) ابن الفقيه الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص316، المقدسي، نفسه، ص235.

(3) المقدسي، نفسه، ص235،

Bosworth (C.E.), Khurasan, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition, Leiden, 1986, Vol.V, P.58.

(4) المقدسي، نفسه، ص247، ابن حوقل، نفسه، ص363 -364، ياقوت، نفسه، م5 ص331، القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984 م، ص473، عبد الناصر إبراهيم عبدالحكم، **الحياة الثقافية والعلمية في نيسابور منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري**، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م، ص52،

Honigmaan (E.-) Bosworth (C.E.), Nishapur, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition, Leiden, 1995 Vol.V111, P63.

المراكز الفكرية المشرقية بظهور المدارس التي بنيت خصوصًا لتلقي العلوم الدينية وغيرها، فقد كان لها السبق في إنشائها لأول مرة في الإسلام[1]. وقد خرج منها عددُ لا يُحصى من الأئمة والعلماء والكبراء اشتهر اسمهم وارتفع قدرهم، لم يجتمع مثلهم في سواها[2]، ويزخر كتاب تاريخ نيسابور المنتخب من السياق بتراجم علماء نيسابور وأئمتهم ورواة الحديث منهم، وطلاب العلم الذين وفدوا عليها واجتازوا بها من الطارئين[3]. ومن مشاهير علماء نيسابور: مُحدث خراسان وسيدها الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم

---

(1) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق مصطفي عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج4 ص314، آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ج1 ص241، فتحي أبو سيف، **خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوى**، القاهرة، 1995 م، ص247 وما بعدها. وعن مدارس خراسان في عصر السامانيين، انظر: السمعاني، **الأنساب**، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان بيروت، 1988م، ج1 ص148، ج3 ص522، ج5 ص178، عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم، المرجع نفسه، ص80 ـ 84، إحسان ذي النون الثامري، **الحياة العلمية زمن السامانيين «التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة»**، دار الطليعة، بيروت، 2001م، ص57 ـ 58، 199 -201.

(2) ابن حوقل، نفسه، ص364، الحميري، المصدر نفسه، ص588.

(3) عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق**، انتخاب الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن الأزهر، إعداد محمد كاظم المحمودي، قم المقدسة، 1403 هـ، صفحات كثيرة.

السرّاج صاحب المسند والتاريخ (ت 313 هـ/ 925 م)، وكان الأوحد في فنه الأكمل في وزنه[1]، ومُحدث المشرق محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت 311 هـ/ 924 م)، وكان إمامًا معدوم النظير في الفقه والحديث، وكانت مصنفاته تزيد على مائة وأربعين مصنفًا، أشهرها صحيحه، وقد أدرك طلاب العلم سمو مكانته العلمية، فرحلوا إليه من الآفاق[2]. وكان الإمام أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري مُسند عصره ومُحدثه، وكان ثقة صدوقًا مأمونًا، فتزاحم عليه الطلبة، ولم تكن الرحلة في بلد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، ونستدل من رواية قيّمة على تهافت طلاب العلم الأندلسيين عليه؛ للسماع منه، والأخذ عنه، فقد ذكر الحاكم النيسابوري أنه شاهد جماعة من أهل الأندلس والقيروان وبلاد المغرب على بابه[3].

---

(1) السمعاني، المصدر نفسه، ج3 ص241، ابن كثير، **طبقات الشافعية**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ج1 ص218-219، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ج2 ص268، الزركلي، **الأعلام**، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ج6 ص29، عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم، نفسه، ص108.

(2) السبكي، المصدر نفسه، ج3 ص109، ابن كثير، المصدر نفسه، ج1 ص219-220، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، بعناية عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ج3 ص860، ابن العماد، المصدر نفسه، ج2 ص262-263، الزركلي، المرجع نفسه، ج6 ص29، الثامري، المرجع نفسه، ص145.

(3) السمعاني، نفسه، ج1 ص178 ـ 180، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، =

والجدير ذكره أن بعض المصادر الأندلسية قد احتفظت بنصوص قيّمة تؤكد على تردد طلاب العلم الأندلسيين إلى خراسان والسماع بها، ومما يزيد من أهمية هذه النصوص أن بعضها قد نقل من مصادر مشرقية محلية مهمة فقدت معظم أقسامها، منها: تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري (ت 405هـ/ 1014م)؛ فقد ذكر الخشني أن أحد طلاب العلم القرطبيين دخل خراسان في رحلته الثانية بعد عام 230هـ/ 844م، وسمع من أحد رجالها[1]، وذكر ابن الفرضي أن أحدهم وكان معتنيًا بالحديث «صار إلى خراسان، فكتب هناك كثيرًا»[2]، واحتفظ ابن بشكوال بخبر مُهم عن رحلة تاجر أندلسي من رجال القرن الرابع الهجري إلى مدينة مَرْو بخراسان، وسماعه من مشاهير شيوخها[3]، وترجم المقري لأحدهم نقلاً عن الحاكم النيسابوري فقال: إنه تردد على همذان، وأصبهان، ثم ورد نيسابور فسمع بها الكثير، ثم خرج منها إلى مرو، ومنها إلى بخارى فاستوطنها، وحدّث بها[4]، ونقل عنه أيضًا أن أحد

= ج3 ص861، **سير أعلام النبلاء**، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج12 ص108، 106، ابن العماد الحنبلي، نفسه، ج2 ص373 ـ 374.

(1) الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، رقم 137 ص124.

(2) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 834 ص278. وانظر أيضاً: رقم 929 ص314، Imamuddin, **The Economic History of Spain,** p.356.

(3) ابن بشكوال، نفسه، رقم 693 ص260–262.

(4) المقري، **نفح الطيب**، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1986م، ج2 ص356.

مشاهير قُراء الأندلس المتقدمين في علم القراءات، قد ورد بلاد خراسان، فدخل نيسابور وسمع بها[1].

وكان بطوس مشايخ أجلة وفقهاء كبار[2]، وخرج منها ما لا يحصى من أئمة العلم والفقه «عُقِمَ الزمان بمثلهم»[3]، منهم: الحافظ أحمد بن محمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري الواعظ (ت 339هـ/ 950م)، وكان واحد عصره في الحفظ والوعظ، وكان قد خرّج صحيحًا على وضع كتاب مسلم[4]، والإمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف الطوسي شيخ الشافعية (ت 344هـ/ 955م)، وكان أحد مشاهير العلماء، وصنف الصحيح على كتاب مسلم، وجلس للفتوى سبعين سنة[5].

وقد احتضنت سيراف بعض المُحدثين الذين وفدوا إليها من البلدان الفارسية المجاورة وحدّثوا بها. ونستدل من نص مهم لابن الفرضي على دخول بعض المرتحلين الأندلسيين إليها، وسماعهم بها، منهم: التاجر مسلمة بن القاسم

(1) المقري، المصدر نفسه، ج2 ص355.

(2) المقدسي، نفسه، ص250. وطوس إحدى مدن خراسان، بينها وبين نيسابور مرحلتان، وبها قوم من العرب، وأكثر أهلها عجم، وتشتمل على محلتين: طابران، ونوقان، وكان يتبعها قرى كثيرة (اليعقوبي، **كتاب البلدان**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص47، ياقوت، نفسه، م4 ص49، القزويني، **آثار البلاد**، ص411).

(3) القزويني، **آثار البلاد**، ص411.

(4) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص892.

(5) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص893.

القرطبي، وقد سمع بها من جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني، وكتب عنه[1]. كذلك خرج أحد الأندلسيين «إلى أرض فارس فسمع هناك، وجمع كتبًا عظيمة، وأقام بها»[2]، وذكر الخشني أن عبد الرحمن بن محمد الصفواني القرطبي التاجر دخل البصرة في رحلته من الأندلس، ثم خرج منها إلى سيراف، فنال بها وجاهة عظيمة، وكانت له هناك حلقة يروى بها الحديث[3].

وكان لجُرجان شأنٌ عظيمٌ في التاريخ العلمي الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فقد كانت تعج بالنابغين من العلماء في مختلف فروع المعرفة[4]، منهم: المُحدث أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي (ت 323هـ/ 859م)، وكان أحد الأئمة الحُفاظ، وكان مُقدمًا في الفقه والحديث، وله تصانيف فيهما، وكانت الرحلة إليه في أيامه[5]، ومنهم أيضًا: الإمام أبو

---

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2، رقم 1423 ص129.

(2) المقري، نفسه، ج2 ص417 ـ 418. وانظر أيضاً: الرافعي القزويني، **التدوين في أخبار قزوين**، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج1 ص184 ـ 185.

(3) الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، رقم 324 ص242-243.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1989م، م2 ص688.

(5) السهمي، **تاريخ جرجان**، نشر تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، 1987م، رقم 466 ص276، ابن كثير، نفسه، ج1 ص206 ـ 208، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص817.

بكر الإسماعيلي، وكان غزير العلم، والفهم والجلالة[1]، ولم يختلف أهل العلم على مكانته، فاستحق أن يكون شيخ المحدثين والفقهاء بالشرق، وكان له صيت حَسَن، فتوافد عليه طلاب العلم من الغرباء وأهل البلد، فاكتظ بهم مجلسه[2]. وكان أبو أحمد عبد الله بن عدي حافظًا متقنًا، عديم النظر حفظًا وجلالة، لم يكن في زمانه أحد مثله «وقد طال عمره وعلا إسناده، وجرّح وعدّل وصَحّحَ وعلل، وتقدم في هذه الصناعة»[3]. كما اشتهرت بسطام بكثرة شيوخها رواة العلم، وقد حدّثوا ببلدهم، وغيرها من بلاد خراسان، وحدثوا أيضًا ببغداد، ودمشق، وقد أكد السمعاني على ذلك، فقال: «وجماعة كثيرة من رواة العلم بسطاميون»[4].

2/ 3 إعجاب طلاب العلم الأندلسيين بعلماء عُمان وبلاد فارس وتقديرهم لهم

تردد بعض الرّحالة المسلمين إلى عُمان وبلدان فارس وطافوا بها وبغيرها، ووصفوا مجمل أحوالها، وقد استثنى المقدسي علماء الخليج وأدباءه عن عيوب بقية سكانه، ونزهَهُم

(1) السهمي، المصدر نفسه، ص110 ـ 111، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص949، 947.

(2) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12 ص 381، ابن كثير، نفسه، ج1 ص306.

(3) السهمي، نفسه، ص267، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص941، **سير أعلام النبلاء**، ج12 ص287.

(4) السمعاني، نفسه، ج1 ص351 ـ 352.

عنها، فقال «وكلما نذكر من عيوب أهل البلدان، فأهل العلم والأدب عنه بمعزل، خاصة الفقهاء، لأني رأيت الفضل فيهم»[1]. وقد انجذب طلاب العلم الأندلسيون، ومنهم البياني إلى بعض علماء عُمان وبلاد فارس، لما عرفوه عنهم من كريم السجايا وحميد الأخلاق، بالإضافة إلى علو كعبهم في المجال العلمي، والتعلق الشديد بالسنة والأثر، فقد كان الإمام محمد ابن محبوب كما وصفه الفقيه أبو المؤثر الخروصي المعاصر له مضرب المثل في العلم والرأي والزهد والصلاح والتقوى والحكم[2]، وكان الحسن بن علي الطوسي جليل القدر، محمود السيرة، واشتهر بالدفاع عن السنة، حتى عُرف بأسد السنة[3]. وكان الأصم النيسابوري متدينًا، سخي النفس، حسن المذهب والخلق، ولم تكن الرحلة في بلد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، وقد طال عمره وبَعُد صيته، وتزاحم على بابه جمع غفير من طلبة العلم، ومنهم: الأندلسيون[4] ونستدل من نص قيّم لابن بشكوال على شدة ترحيب الأصم بطلاب العلم، خصوصًا أصحاب الحديث المتحلقين حوله وتقديره لهم، فقد

---

(1) المقدسي، نفسه، ص43.

(2) أبو المؤثر، **كتاب الأحداث والصفات**، ص3.

(3) الرافعي القزويني، نفسه، ج2 ص426 ـ 427.

(4) السمعاني، نفسه، ج1 ص179، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص861، **سير أعلام النبلاء**، ج12 ص108، 106، إحسان الثامري، نفسه، ص67.

نظم عدة أبيات شعرية تعبر عن هذه المشاعر تجاههم، فقال: (من الكامل)[1]:

أهلاً وسهلاً بالذين أحِبهُم ... وأودُّهُم في اللـه ذي الآلاء

أهلاً بقوم صَالحين ذوى تقا ... غُرّ الوجوهِ وزَيْنِ كلّ ملاءِ

يا طالبي علم النبىّ محمدٍ ... ما أنتم وسِوَاكُمُ بسَواءِ

وقد اتصف شيوخ جُرجان وفضلاؤها بالكرم والمروءة ومكارم الأخلاق[2]، وكان أبو بكر الإسماعيلي أجلهم في الرياسة والمروءة والسخاء، و«كان يُرحل إليه لعلمه»[3]. وكان مجلسه يعج بطلاب العلم من الغرباء وأهل البلد، وكان يتردد إليه منهم بين الأربعين والخمسين نفسًا يوميًا[4].

2/ 4 شهرة عُمان وبلاد فارس التجارية

نشطت الحركة التجارية في عُمان وبلاد فارس نشاطًا كبيرًا؛ فكانت قوافلهم وسفن تجارهم تجوب كثيرًا من البلاد الشرقية وبحارها. وكان ازدهار النشاط التجاري الخليجي جزءًا من النشاط التجاري الإسلامي الذي بلغ ذروة ازدهاره في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتى بات كما يذكر آدم متز

---

(1) ابن بشكوال، نفسه، ص131.

(2) ابن حوقل، نفسه، ص324، السهمي، نفسه، رقم 101 ص121، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م2 ص688.

(3) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12 ص380.

(4) السهمي، نفسه، ص110 ـ 111، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص948 ـ 949، **سير أعلام النبلاء**، ج12 ص381، ابن كثير، نفسه، ج1 ص306.

مظهرًا من مظاهر أبهة الإسلام، حيث أحرزت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية[1]، وقد كان طريق الخليج يمون أقاليم المشرق وبلاد البحر المتوسط وأوروبا، فقد كان أقصر الطرق التجارية[2].

وكانت عُمان من أشهر المراكز التجارية قبل الإسلام وبعده، وقد أدرك المسلمون ما كانت تتمتع به من نشاط تجاري مزدهر، فتطلع من تعذرت عليه التجارة للسفر إليها، للحصول على الأرباح الطائلة التي تدرها تجارتها، وقد حثهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقال: «مَنْ تعذرت عليه التجارة، فعليه بعُمان»، أخرجه البغدادي[3]. وقد احتفظت بتلك المكانة حتى عصر المقدسي، فقد أدلى بشهادة صادقة

---

(1) آدم متز، المرجع نفسه، ج2 ص246.

(2) عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، 1999م، ص49.

(3) الخطيب البغدادي، **موضح أوهام الجمع والتفريق**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1959م، ج1 ص95، وأخرجه الطبراني بلفظ «مَنْ تعذرت عليه الضيعة فعليه بعمان» (**المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م، ج7 رقم 7214 ص306، أحمد بن محمد بن خليل، **إتحاف الأعيان بذكر ما جاء في فضائل أهل عمان**، سلطنة عمان، 1424 هـ، ص72). وقد ورد هذا الحديث عند أبي عبيد الله البكري بلفظ «من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان»، غير أنه لم ينسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما جعله مثلاً من الأمثال (البكري، المصدر نفسه، ص38، الحميرى، نفسه، ص413). وانظر أيضاً: ياقوت، نفسه، ج4 ص150، القزويني، نفسه، ص56.

نابعة من ممارسة التجارة بنفسه، فقال: «ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر»[1]، مما يدل على أنها كانت المركز الرئيس للتجارة في الخليج، ومركز جذب لتجار الآفاق[2].

وكان موقع عُمان الجغرافي الذي أتاح لها الإشراف على الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي، من أبرز العوامل التي هيأت لها مكانتها العظيمة في مجال النشاط التجاري؛ فكانت من أكبر المرافئ الإسلامية على المحيط الهندي[3]، وقاعدة التجارة البحرية مع الهند والصين وإفريقية، ومركز استقطاب للتجارة العالمية[4]، كما وفرت الجبال التي كانت تحيط بمعظم شواطئها، وحمتها من الرياح القوية، ظرفًا مناسبًا لنشوء الموانئ، وأهلتها لتكون المركز الرئيسي للساحل الغربي من الخليج، ووسيطًا للتجارات الذاهبة أو العائدة من الشرق الأقصى[5]، أضف إلى ذلك اهتمام الأئمة الإباضية بالبحرية

---

(1) المقدسي، نفسه، ص43.

(2) العاني، المرجع نفسه، ص196، وللمؤلف نفسه: **دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري**، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، العدد 26، ديسمبر 1981م، ص19.

(3) آدم متز، نفسه، ج2 ص290.

(4) تشانغ زون يان: **الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ**، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، بدون تاريخ، ص5.

(5) رجب محمد عبد الحليم، **العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين**، مكتبة العلوم، مسقط، 1989م، ص43.

العُمانية؛ فقد أنشأ الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي (192 ـ 207هـ/ 807 ـ 822م)، أسطولاً كبيرًا، استطاع به حماية سواحل عُمان وتجارتها البحرية من عبث القراصنة الهنود[1]، مما أدى إلى ازدهار التجارة بها، وتدفق التجار عليها من الآفاق، خصوصًا في عهد الإمامين المهنا بن جيفر (226 ـ 237هـ/ 840 ـ 851م)، والصلت بن مالك (237 ـ 272هـ/ 851 ـ 885م)[2]، فانتعشت مدنها الساحلية المطلة على الخليج، ومنها: صُحار، فقد كانت كما يتضح من أقوال الرّحالة والجغرافيين أعْمَر مدينة بعُمان وأكثرها مالاً، ولم يكن على بحر الصين بلد أجمل منه، فقد اشتهرت بأسواقها العجيبة، فكانت مقصدًا للمراكب، ومجتمع التجار من جميع الآفاق، ومنها يتجهز بأنواع التجارات لكل بلدة، وإلى بلاد الهند والصين «دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن»[3]. وكانت مسقط فرضة صُحار محطة تجارية مهمة على الخليج؛ فكانت السفن القادمة من سيراف ترسو بها، فَيَتَموّن التجار الماء العذب من آبارها، ثم

(1) الكندي، **المصنف**، ج11 ص163، مجهول، **تاريخ أهل عمان**، ص60 ـ 61، السالمي، **تحفة الأعيان**، ج1 ص121، أمبو سعيدي، نفسه، ص200-201.

(2) السالمي، نفسه، ج1 ص148، 166، رجب محمد عبد الحليم، **العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام**، ص49.

(3) المقدسي، نفسه، ص87، ابن حوقل، نفسه، ص44، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص156، الحميري، نفسه، ص354 ـ 355، العاني، **دور العمانيين**، ص30، سليمان إبراهيم العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، القاهرة، 1972م، ص112.

تقلع مراكبهم منها إلى بلاد الهند[1]، كما كانت مقصدًا أيضًا للسفن القادمة من اليمن[2].

واشتهرت نيسابور بأسواقها الفسيحة[3]، فأصبحت مركز جذب للتجار، فرحلوا إليها، وقصدوها من سائر البلدان[4]، وحملوا بضائعها إلى الآفاق[5]، وقد فطن المقدسي إلى ازدهار مكانتها التجارية، فقال إنها كانت «فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والري وجُرجان»[6].

واشتهر إقليم فارس بكثرة خيراته، واتساع تجاراته[7]، وكانت سيراف أكبر مراكز التجارة به وأشهرها، وكانت ببضائعها وما احتوته أسواقها «خزانة فارس وخراسان»[8]،

---

(1) سليمان السيرافي، **أخبار الصين والهند**، طبعة يوسف الشاروني، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م، ص37، المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ج1 ص152 ـ 153، البكري، نفسه، ص35.

(2) المقدسي، نفسه، 88، ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة «تاريخ المستبصر»**، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ص314، العاني، **تاريخ عمان**، ص82.

(3) المقدسي، نفسه، ص247.

(4) المقدسي، نفسه، ص247، الحميرى، نفسه، ص588.

Honigmaan (E.-) Bosworth (C.E.), Nishapur, P63.

(5) المقدسي، نفسه، ص247.

(6) المقدسي، نفسه، ص247.

(7) المقدسي، نفسه، ص323.

(8) المقدسي، نفسه، ص326، نعيم زكي فهمي، **طرق التجارة الدولية** =

وكانت تعد من أهم الموانئ التجارية في شرق الخليج، فتمر بها صادرات فارس ووارداتها[1]، وكانت السفن تقصدها من جميع البلاد، واتخذتها قاعدة لنقل تجارة العرب والفرس إلى بلاد الصين، وقد فطن الحميري إلى ذلك، فقال: «ومنها يتجهز التجار إلى عدن وعُمان وديبل الصين وغيرها من النواحي»[2]. وقد بلغت هذه التجارة من الازدهار مبلغًا جعل من سيراف منافسًا للبصرة في الغنى والثروة[3]، وكان تجارها مياسير، وكانوا أغنى تجار فارس كلها، وقد اشتهروا بولعهم «بكسب المال واستجلابه على أي وجه أمكن، وهم أكثر عباد الله تغربًا ومخرًا على الآفاق»[4].

= **ومحطاتها بين الشرق والغرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص120 ـ 121، حسن منيمنة، **تاريخ الدولة البويهية (مقاطعة فارس)**، الدار الجامعية، بيروت، 1987م، ص372،

Bosworth (E.), Siraf, **The Encyclopedia of Islam**, New Edition, Leiden, 1997, Vol.IX, pp.667-668.

(1) الأصطخري، **المسالك والممالك**، ص34، آدم متز، نفسه، م2 ص290، جمال الدين سرور، **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق**، القاهرة، 1965م، ص152 ـ 153، ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم، **النشاط التجاري لمدينة سيراف في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ منتصف العاشر الميلادي**، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير 2005م، ص44 ـ 45، 46 ـ 48.

(2) الحميرى، نفسه، ص333.

(3) جمال الدين سرور، المرجع نفسه، ص152، سليمان إبراهيم العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي**، ص105- 109.

(4) الحميري، نفسه، ص333، ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم، **النشاط التجارى لمدينة سيراف**، ص80، 82 ـ 84، .Bosworth (E.), Siraf, p.668

أما نرماسير، وهي مدينة مشهورة من أعيان مدن كرمان[1]، فكانت كما وصفها المقدسي المطرح والمغوثة، وكانت خزانة مقصودة نفيسة، وبها تجار كبار[2]، وأكد الإدريسي على ازدهارها التجاري وتنوع التجارة بها، فقال: «وهي مدينة فيها أسواق وعمارة وتجارات داخلة وخارجة»[3]. واشتهرت مدن جرجان وقراها بكثرة أسواقها، وتنوع السلع المتداولة بها[4]، كما اشتهر تجارها بكثرة التغرب في الآفاق، يحملون محاصيل بلدهم ومنتجاتها، وقد فطن المقدسي إلى ازدهار النشاط التجاري بها، فذكر أنها حسنة الأسواق ثقيلة الخراج[5]، ونستدل من الروايات على ازدهار النشاط التجاري ببِسْطامُ، فكانت بها أسواق كثيرة عامرة، وكان يرتفع منها جبايات ضخمة[6].

---

(1) اليعقوبي، نفسه، ص54، ياقوت، نفسه، م5 ص281، لسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وزميله، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص337.

(2) المقدسي، نفسه، ص348، لسترنج، المرجع نفسه، ص351.

(3) الإدريسي، المصدر نفسه، م1 ص435 ـ 436.

(4) المقدسي، نفسه، ص283، لسترنج، نفسه، ص417 ـ 421،

Frye (Richard N.), **The Golden Age of Persia The Arabs in the East, Weidenfeld and Nicolson, Landon** 1975, p67.

(5) المقدسي، نفسه، ص273 ـ 274، 284،

Hartmann (R.)- Boyle (J.A.), Gurgan, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition, Brill, Leiden, 1983, p.1141.

(6) المقدسي، نفسه، ص272 ـ 273، ياقوت، نفسه، م1 ص421، الحميري، نفسه، ص114. وهى بلدة كبيرة بقومس من إقليم الديلم على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين (ياقوت، نفسه، م1 ص421، الحميري، نفسه، ص116).

2/ 5 تشجيع الدولة العباسية لحرية التجارة بين المراكز التجارية الإسلامية

كان انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى بغداد من أهم العوامل التي شجعت الدولة العباسية على العناية بشؤون التجارة؛ فقد صاحب تأسيس بغداد اهتمام العباسيين بمراكز التجارة على الخليج، تلبية لمطالب العاصمة الجديدة وتوفيرًا لأسباب الرخاء الاقتصادي لها[1]، وتزخر كتب الرّحالة والجغرافيين بكثير من الروايات التي توضح أهمية بغداد التجارية، فقد كانت سوق الدولة الإسلامية الكبير، ففيه كانت تلتقي جميع التجارات والمنتجات، وكان يمسك أيضًا بزمام المال والاقتصاد، ويتحكم صيارفته في ملايين الدنانير والدراهم[2]، وكانت البصرة كما ذكر اليعقوبي «مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها»[3]، ولهذا فقد قصدها التجار من بقاع بعيدة، وقد عبر ابن الفقيه الهمداني عن ذلك بقوله بأنها كانت «مأوى كل تاجر وطريق كل عابر»[4]، وأصبح ميناؤها يعج

---

(1) العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص77-93.

(2) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص233- 238، 250، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص 217، المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص124، التطيلي، **رحلة بنيامين**، ترجمها عن أصلها العبري وعلق عليها عزاز حداد، الطبعة الأولى، بغداد، 1945م، ص139،

(3) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص323.

(4) ابن الفقيه الهمداني، **مختصر كتاب البلدان**، ص93.

بحركة السفن البحرية والنهرية، والحركة التجارية دائبة مستمرة بين شحن وتفريغ، وقد وصف الجاحظ أهميتها في حركة التجارة الدولية، وتجارة العراق خصوصًا، فقال: إنها «باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا»(1).

وقد أولت الحكومة العباسية الطرق التجارية جانبًا كبيرًا من اهتمامها؛ فقامت بحمايتها وتنظيمها لتسهيل سبل التجارة، فنشطت هذه الطرق نشاطًا عظيمًا وارتادها التجار المسلمون، فسلكوا بقوافلهم آمنين طرقًا برية واضحة المعالم(2). وقد التزم العباسيون ورجال دولتهم بمبدأ حرية التجارة في الدولة الإسلامية. وكان اتباعهم لهذا المبدأ من ثمار التطور الكبير الذي طرأ على المجتمع الإسلامي، إذ حرص العباسيون على اتباع مبدأ المساواة بين جميع رعاياهم من العرب وغيرهم، وفتح المجال أمام الجميع للمساهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية، وتجلت النتيجة الأولى لهذا التطور في مراكز التجارة بالخليج، حيث عمل العرب والعجم على دعم اقتصادياتها، واتخاذ الميدان التجاري سبيلاً لامتزاجهم في

(1) الجاحظ، **التبصر بالتجارة**، ص3-5، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص94-101، المسري، **تجارة العراق في العصر العباسي**، ص233.

(2) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص164، المسري، **تجارة العراق في العصر العباسي**، ص226- 231.

وحدة واحدة، والانصراف إلى التعاون في الكسب من ذات اليد، بدلاً من التفرغ للصراع أو التنافس غير المحمود[1].

واتضح التنفيذ العملي لمبدأ حرية التجارة حين رفع العباسيون كل القيود على نقل السلع من الميادين الزراعية والصناعية إلى مراكز التجارة على الخليج، وصار كل مركز منها ينظم أحواله الاقتصادية حسب موقعه ودوره في حركة التبادل التجاري على امتداد طرق الخليج. وقد شجعت حرية التجارة اتجاه كثير من سكان المراكز التجارية في الخليج على المساهمة في التجارة، وظهور طبقة من التجار أخذت تزداد عددًا وثراءً، فقد اشتملت التجارة في تلك المراكز على تجارة التصدير والاستيراد على نطاق عالمي واسع، وأخذت طبقة التجار توسع نشاطها في ظل حرية التجارة، وتبسط نشاطها إلى سائر الجهات التي تكفل لها تحقيق مطالبها التجارية. واكتسبت تجارة الخليج في العصر العباسي نتيجة التنظيم الاقتصادي وما ارتكز عليه من سياسة العباسيين في دعم حرية التجارة، عاملاً قويًا، جعلها مركز جذب لجميع التجار من جميع البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا[2]، ومنهم تجار بلاد المغرب والأندلس.

---

(1) جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م، ص197، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص114.

(2) العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص121.

ثالثًا: خط سير رحلة البياني إلى عُمان وبلاد فارس واللغة المستخدمة فيها

لم يتعرض ابن الفرضي للطريق التي سلكها التاجر البياني ليصل إلى عُمان وبلاد فارس، ولم يتتبع أيضًا خط سير رحلته بينها، فدفعنا ذلك للوقوف على شبكة الطرق التي كان يسلكها أهل الأندلس إلى المشرق. وكانت مصر تشكل حلقة وصل بينهما ذهابًا وإيابًا؛ فقد كان المرتحلون الأندلسيون يرتادون الطرق المؤدية إليها، ومنها يواصلون السير إلى الجزيرة العربية، ومنها إلى بلاد فارس. وقد كانوا يسلكون طرقًا برية وأخرى بحرية؛ فكانوا يعبرون من موانيهم الجنوبية والشرقية المطلة على البحر المتوسط، خصوصًا الجزيرة الخضراء، وتدمير[1]، وبجانة فرضة الأندلس القبلية[2]، إلى العدوة المغربية، وإلى غيرها من موانئ شمال أفريقية، ثم يستأنفون مسيرهم برًا بحذاء الساحل إلى الإسكندرية ومنها إلى الفسطاط، وكانت محطة مهمة في الطريق البري من المغرب إلى الجزيرة العربية حتى القرن الثالث الهجري، فقد كانت كما يذكر المقدسي فصلاً بين

---

(1) اليعقوبي، نفسه، ص110، ابن الفرضي، نفسه، ق1 ص258،

Imamuddin, **The Economic History of Spain,** pp.276-280.

(2) ابن حيان، نفسه، 1979م، ص179، ابن غالب، **فرحة الأنفس** تحقيق د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1995م، ج2، ص283، ياقوت، نفسه، م5 ص119،

Constable (O.R.), **Trade and Traders in Muslim Spain,** Cambridge University Press, 1994, p.18.

المغرب وديار العرب، و«خزانة المغرب ومطرح المشرق»[1]، وقد كان هذا الطريق كما أكد ابن خرداذبة هو الطريق البري الرئيسي الذي يصل الأندلس بالمشرق[2]. بينما امتدت خطوط المواصلات البحرية من موانئ الأندلس الجنوبية والشرقية على البحر المتوسط إلى موانئ شمال أفريقيا، خصوصًا وهران وكانت فرضة الأندلس[3]، وتنس[4]، وإلى موانئ مصر والشام، كما كان هناك خط ملاحي منتظم يربط بين بجانة (المرية) والإسكندرية مباشرة[5]، وهذا هو الطريق البحري الذي كان يربط الأندلس بالمشرق مارًا بمصر. وقد أكد المقدسي ارتياد أهل الأندلس للبحر المتوسط حتى صاروا

(1) المقدسي، نفسه، ص167 ـ 168.

(2) اليعقوبي، نفسه، ص99 ـ 110، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، 79-82، ابن حوقل، نفسه، ص69 ـ 96، آدم متز، نفسه، ج2 278 ـ 279، جمال الدين سرور، نفسه، ص149 ـ 150.

(3) ابن حوقل، نفسه، ص79.

(4) اليعقوبي، نفسه، ص110، ابن حوقل، نفسه، ص78،

Delgado (J.L.), **El poder naval de Al-Andalus en la epoca del Califato Omeya,** Universidad de Granada,1993, pp.122-123.

(5) وقد ارتاده أهل الربض بقرطبة الفارون من الأندلس عند فشل ثورتهم على الأمير الحكم الربضي سنة 202هـ/ 822م (ابن سماك العاملي، **الزهرات المنثورة**، ص114 ـ 117). وانظر أيضاً: خوان برنيت، **هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط الملاحية**، ترجمة أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري بمدريد، مدريد، 1953م، العدد الأول، ص75، السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م، ص90.

«أخبر الناس به وبحدوده وخلجانه؛ لأنهم يسافرون فيه ويغزون من هو يليهم، وفيه طرقهم إلى مصر والشام»[1].

ويسهب الجغرافيون في وصف شبكة الطرق المنطلقة من مصر نحو عُمان وبالعكس؛ فكان هناك الطريق البري الرئيسي الذي كانت تسلكه قوافل الحج والتجارة من مصر إلى الحجاز، وينطلق من الفسطاط حتى القلزم، وهي مجتمع التجار الذين يجهزون الميرة من مصر إلى الحجاز واليمن[2]، فأيلة وهي ملتقى حجاج الشام ومصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة[3]، ثم يسير الركب إلى محطات أخرى حتى يصل إلى مكة والمدينة[4]، وهناك أيضًا الطريق البحري من موانئ مصر المطلة على البحر المتوسط، كالإسكندرية ودمياط والفرما، ويسير الركب في طريق بري من الفرما إلى القلزم، ثم يستأنفون رحلاتهم بحرًا من القلزم إلى جُدّة والجار وكانتا خزانتي مصر[5]، وكان المرتحلون يسلكون الطريق البحري من جُدّة إلى عُمان مرورًا بسواحل اليمن، كعدن وحضرموت والشحر،

---

(1) المقدسي، نفسه، ص28،

Constable, **Trade and Traders in Muslim Spain,** p.30.

(2) اليعقوبي، نفسه، ص98.

(3) اليعقوبي، نفسه، ص98.

(4) ياقوت، نفسه، ج 4 ص388، الحميري، نفسه، ص70.

(5) ابن خرداذبة، نفسه، ص131، المقدسي، نفسه، ص91، البكري، نفسه، ص101 ـ 102، نعيم زكي فهمي، المرجع نفسه، ص133-135،

Constable, **Trade and Traders in Muslim Spain,** p.30.

لصعوبة الطريق البري، نظرًا «لكثرة القفار وقلة السكان بالبرية»[1]. وهناك أيضًا طريق الحج البري الذي يربط بين الحجاز والعراق، ومنها إلى عُمان، وبلاد فارس[2]. وثمة طريق آخر يربط بين مصر والشام، ومنها تنطلق القوافل التجارية برًا إلى الفرات، ثم يركبون دجلة إلى الأبلة، ومنها إلى عُمان، والهند والصين[3].

والجدير ذكره أن معظم المرتحلين الأندلسيين كانوا يؤثرون السفر إلى الجزيرة العربية برًا خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ لتحقيق المكاسب التجارية والعلمية في طريق الرحلة البرية، وتجنبًا لمخاطر الرحلة البحرية[4]؛ فقد أقر الحكام الرستميون بتاهرت، والأغالبة بإفريقية الأمن، ومنحوا الطرق جانبًا من عنايتهم، فأنشأوا المحارس والمخافر على طول الساحل، وكان السفر مأمونًا[5].

---

(1) ابن حوقل، نفسه، ص27، 45 ـ 47. وانظر أيضاً: إبراهيم القادري بوتشيش، **التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب «دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع»**، الطبعة الأولى، منشورات جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2000م، ص51 ـ 52. وانظر أيضاً: ابن خرداذبة، نفسه، ص126 ـ 127.

(2) البكري، نفسه، ص51-54، آدم متز، نفسه، ج2 ص278.

(3) ابن خرداذبة، نفسه، ص132، آدم متز، نفسه، ج2 ص246، عبد الأمير عبد دكسن، **عُمان في كتابات جغرافيي القرنين الثالث والرابع للهجرة**، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980م، العدد الثالث، ص47.

(4) خالد البكر، نفسه، ص175.

(5) ابن وردان، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق محمد زينهم عزب، =

ونستدل من الروايات أن التاجر البياني سلك طريق المغرب البري وصولاً إلى مصر ذهابًا وإيابًا، فقد دخل طرابلس وبرقة وكانتا من أهم مراحل هذا الطريق[1]، ثم رحل من مصر إلى الشام، لطلب العلم والتجارة، فابن الفرضي يذكر أنه دخل المَصّيصة (من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس)[2]، وسمع من شيخها أبي عمران موسى بن القاسم الأشيب[3]، وكانت المَصّيصة تشتهر بصناعة الفراء الفاخرة التي بلغ ثمن الواحد منها ثلاثين دينارًا، وكانت تحمل منها إلى الآفاق[4]، وكانت رحلته من الشام إلى عُمان تتطلب أن يدخل العراق أولاً، فلعله سلك الطريق البري من أنطاكية إلى العراق، وكان التجار يسلكونه دائمًا في القرن الثالث الهجري، ثم سلك الطريق البحري من البصرة إلى صُحار؛ فقد ارتبطت حركة التجارة بينهما بالطريق الموازي لسواحل الخليج العربية والجزر

= مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ص57-58، ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص104، آدم متز، نفسه، ج2 ص278، سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م، ج2 ص500، 498، المسري، **تجارة العراق في العصر العباسي**، ص290.

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص54.

(2) كانت المصيصة وهي من ثغور الإسلام المشهورة تقع على شاطئ جيحان، وقد رابط بها الصالحون (ياقوت، نفسه، م5 ص145).

(3) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص54.

(4) ياقوت الحموي، نفسه، م5 ص145.

القريبة منها، كقطر، والبحرين، والدمام، وكاظمة[1]، بسبب وجود المراكز التجارية من شمال الخليج حتى جنوبه، وانتشار بعض التجمعات البشرية على الساحل الغربي؛ مما يوفر الأمن والأمان للسفن والبحارة، ويساعد على تنشيط تجارة العبور[2]، وغالبًا ما كانت السفن الصغيرة تسلك هذه الطريق[3].

ومما لا شك فيه أن التاجر البياني دخل خراسان وأرض فارس قادمًا من صُحار عبر أحد موانئ الخليج الفارسية التي ترتبط بها بحريًا. فقد كان طريق الخليج البحري المؤدي إلى بلاد فارس والهند والصين مفضلاً على الطريق البري؛ فالمسعودي يذكر أن التجار كانوا يُبحرون من البصرة إلى عُمان، ومنها إلى الموانئ الفارسية والهندية والصينية، وبالعكس[4]. وكانت صُحار ترتبط بحريًا ببلاد فارس عبر طريقين رئيسيين؛ الأول منهما ينطلق من صُحار إلى سيراف ميناء فارس المهم على الخليج، فقد بلغ هذا الميناء ذروة نشاطه

(1) ابن خرداذبة، نفسه، ص61، نعيم زكي فهمي، نفسه، ص123، محمد حسن العمادي، **التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع**، مؤسسة حمادة، اربد، 1997م، 278، محمد الشحات قرقش، صحار وتراثها البحرى، ضمن كتاب «**صحار عبر التاريخ**»، الطبعة الأولى، مسقط، 2000م، ص115، 113.

(2) قرقش، المرجع نفسه، ص114 ـ 115. وانظر أيضاً: نفسه، ص110 ـ 111.

(3) ابن خرداذبة، نفسه، ص61، المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص256.

(4) المسعودي، نفسه، ج1 ص105، 139 ـ 142، الحميري، نفسه، ص413.

التجاري في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكان «دهليز الصين وخزانة فارس وخراسان»[1]. وقد أكد التاجر سليمان السيرافي على الارتباط الوثيق بين بلده وصُحار، فذكر أن المتاع تحمل إليها من البصرة وعُمان وغيرهما[2]، وأورد الحميري نصًا يزيد الأمر وضوحًا فقال: «وتحمل من سيراف الأمتعة إليها (عُمان) والحمولة في قوارب»[3]. ويستفاد من نص مهم للمسعودي أن النواخذة السيرافيين كانوا نشطاء في نقل التجار والبضائع بمراكبهم بين الميناءين طوال العام، وقد ركب المسعودي نفسه معهم من صُحار إلى سيراف عبر الخليج[4].

والطريق الثاني يربط صُحار بكرمان، فقد كانت البضائع كما يذكر ابن المجاور تصعد من صُحار إلى كرمان، ومنها إلى سجستان، ثم تتفرق في خراسان وغيرها[5] ويعتقد الباحث أن التاجر البياني سلك الطريق الثاني، فقد دخل نرماسير إحدى مدن كرمان، للتجارة وطلب العلم كما سنرى. ثم ساحل

---

(1) المقدسي، نفسه، ص326.

(2) السيرافي، المصدر نفسه، ص37، بزرك، **عجائب الهند بره وبحره وجزائره**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص141.

(3) الحميري، نفسه، ص413، الحبيب الجنحاني، **دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول**، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط، 1981م، م3 ص53.

(4) المسعودي، نفسه، ج1 ص151، 107، المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص232.

(5) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة «تاريخ المستبصر»**، ص314.

كرمان، وهي بلاد هرموز، وهرموز مقابلة لمدينة سنجار من بلاد عُمان، ثم يلي ساحل كرمان ويتصل به على ساحل هذا البحر بلاد مكران، وهي أرض الخوارج الشراة، وهذه كلها أرض نخل، ثم ساحل السند، وفيه مصب نهر مهران، وهناك مدينة الديبل، ثم يكون مارًا متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض، وإليها يضاف القنا البروضي[1].

ومن نافلة القول الإشارة إلى اللغة التي استخدمها هذا التاجر الأندلسي أثناء وجوده بعُمان وبلاد فارس. فلا شك أنه تعامل بالعربية لغته الأصلية، فقد كانت اللغة السائدة في مراكز الثقافة الخليجية العربية والفارسية على السواء. ونرجح أنه تعلم اللغة الفارسية أيضًا؛ ليستخدمها أقله في معاملاته التجارية في كل من صُحار وخراسان، يؤيد هذا التخريج استخدام الفارسية لغة رئيسية إلى جانب العربية في صُحار، خصوصًا في المعاملات التجارية، لكثرة تجارها من الفرس وكانوا من أعظم الجاليات الموجودة فيها، فالمقدسي يذكر أن العربية كانت لغة أهل عُمان «إلا بصُحار فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية»[2]، بالإضافة إلى ذلك فإن طول إقامته ببلاد فارس وتردده إلى

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص86.

(2) المقدسي، نفسه، ص91. ويذكر المنذري أن صحار كانت عربية، وكانت كل مجريات الحياة بها تتم باللغة العربية، إلا أنه يمكن أن تكون هناك لغة ثانية يتقنها بعض العمانيين إضافة إلى الفرس الموجودين فيها (**تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص157).

مراكزها التجارية المشهورة اقتضت ـ بلا شك ـ تعلم اللغة الدارجة التي يستخدمها التجار في الأسواق، خصوصًا وقد ترتب على المكانة التجارية العظيمة التي بلغتها سيراف، أن اللغة الفارسية أصبحت أكبر لسان يتكلم به تجار المسلمين الذين يقصدون الهند وشرق آسيا[1]، وهناك قرينة أخرى على إلمام التاجر البياني الأندلسي باللغة الفارسية، فقد دخل أرمينية تاجرًا، وكانت الفارسية كما أكد ابن حوقل اللغة المستعملة هناك[2]. وأخيرًا فقد كان لنشاط الأندلسيين التجاري المتولد من رحلاتهم إلى الآفاق دور مُهم في تفعيل التواصل اللغوي بينهم وبين أهالي هذه البلاد، فمن التجار مَنْ «ساح في الأرض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة، وكان يتكلم بألسنة شتى»[3].

رابعًا: أصناف السلع التي تاجر بها في مراكز التجارة بعُمان وبلاد فارس

لم يشر ابن الفرضي إلى طبيعة السلع التي حملها التاجر البياني معه من الأندلس إلى مراكز التجارة بعُمان وبلاد فارس، كما لم يُلمح أيضًا إلى السلع التي نقلها من بلد إلى آخر وتاجر بها هناك. ومع ذلك ففي بعض الإشارات المصدرية،

(1) آدم متز، نفسه، م2 ص291، حسن منيمنة، **تاريخ الدولة البويهية**، ص380.

(2) ابن حوقل، نفسه، ص299.

(3) المقري، نفسه، ج2 ص243، أحمد الطاهري، نفسه، ص72.

والاستنتاجات المنطقية ما يكشف عن طبيعة هذه السلع؛ فقد اشتملت الصادرات الأندلسية إلى الآفاق على بعض المنتجات الغذائية التي اشتهرت بها، ومنها: التين، واللوز، والزبيب، وزيت الزيتون، والزعفران، وأصناف المعادن، ومنها: الزئبق، والكحل، والكبريت، وكانت للمنسوجات الأندلسية شهرة فائقة في معظم أنحاء العالم، منها: الديباج والحلل الموشية، والأقمشة الكتانية، والمنسوجات الصوفية، والبُسط الفاخرة التي لقيت رواجًا كبيرًا في المشرقين الإسلامي والأقصى، وكان يُغالى في ثمنها هناك[1]. كما صَدّرت الأندلس أيضًا جلود

---

(1) عن صادرات الأندلس في العصر الأموي، انظر: ابن حوقل، نفسه، ص109، ابن حيان، نفسه، 2003م، ص291، الإدريسي، نفسه، م2 ص212-213، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ص37، 35، 24، ابن غالب، المصدر نفسه، ج2، ص284-285، الدمشقي، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق محمود الأرناؤط، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1999م، ص29، الزهري، **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، نشر بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق، 1968م، ص31، 128، 93، 207، المقرى، نفسه، ج1 ص140 ـ 143، 147 ـ 148، ج4 ص207 ـ 209، مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1 ص42، 62، السيد عبد العزيز سالم، **تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي**، ص67 ـ 71، المسري، **تجارة العراق في العصر العباسي**، ص370- 374،

Levi- Provencal, L'Espagne Musulmane au Xe Siecle, Paris, 1932, pp.179-185, La description de L, Espagne de Ahmed al- Razi, R. Al-Andalus, Vol.XV11, Madrid, 1955, pp.37,68,98, Imamuddin, The Economic History of Spain, pp.213,331-335, Tapia Garrido (J.), Almeria Musulmana, Almeria,1986, pp.375-378, Constable, op.cit, pp.22,30,32-38, Marin(M), Individuo y Sociedad en Al-Andalus,ed. Mapfre, Madrid, 1992, p.202, Vallve (J.), EL Califato de Cordoba, ed. Mapfre,Madrid, 1992, pp.325-326, Lirola Delgado, El poder naval de Al-Andalus, pp.166-167,181-186,216-217.

القنليات والثعالب إلى بلاد الديلم بفارس، لشدة البرودة بها[1].

ومن المرجح أن التاجر البياني حمل معه أصنافًا من السلع الغذائية، ليتاجر بها ببلدان الخليج، خصوصًا وأن بيّانة مسقط رأسه اشتهرت بأسواقها العامرة، ومنتجاتها الغذائية، فقد كانت كثيرة البساتين والكروم والزيتون والتين[2]. ولا نستبعد أيضًا أنه حمل معه أصنافًا من المنسوجات الأندلسية إلى خراسان، فابن حوقل يذكر أن تجار الأندلس حملوا منها شيئًا «إلى أقاصي خراسان وغيرها»[3]، واحتفظت المصادر الأندلسية بتراجم لبعض البزازين الأندلسيين الذين دخلوا مدن خراسان للتجارة، والعلم[4]. وقد تردد البياني بين عُمان ومراكز التجارة الفارسية يحمل بعض المنتجات المحلية التي تشتهر بها كل منها، وغيرها من البضائع التي كانت ترد إلى أسواقها من البلدان الأخرى وشكلت سلعًا رئيسية للتجارة الدولية؛ فنقل من عُمان بعض منتجاتها والسلع الواردة إليها، ومنها: مصين عُمان وهو نوع من التمر امتازت به[5]، والعطور، واللؤلؤ، والديباج، والعقيق اليماني، والتوابل الهندية، والعاج والأبنوس، والجلود

(1) الزهري، المصدر نفسه، ص66.

(2) مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1 ص45، ياقوت الحموي، نفسه، م1 ص518، الحميري، نفسه، ص119.

(3) ابن حوقل، نفسه، ص105، .Imamuddin, Ibid, p.334

(4) ابن بشكوال، نفسه، رقم 693 ص260-262.

(5) المقدسي، نفسه، ص93.

الإفريقية، وغير ذلك[1]، ليتاجر بها في أسواق المدن الفارسية التي قصدها، ومنها: نرماسير؛ فقد كانت خزانة مقصودة نفيسة، كثيرة المتاع، وكان بها تجار كبار «ومنها يصدر نفر خراسان، وإليها يُحمل متاع عُمان»[2]. ويؤكد هذا التخريج أن البياني قد ارتحل إلى نرماسير، والتقى الفقيه أبا علي الحسين ابن علي الأصبهاني المؤدب هناك، وسمع منه[3].

واشتهرت نيسابور بصناعة أفخر أنواع الثياب، وقد حُملت منها إلى الآفاق[4]، فكان يرتفع منها: المقانع، وثياب البيض الحفية، والملاحم القزية، والمصمت، والعتابي[5]، وكانت هذه الثياب مما تؤثره الملوك ويتنافس فيه الرؤساء[6]، كما اشتهرت طوس بصناعة الفراء وسائر الوبر من السّمور، والفنك[7]، وكان لإقليم فارس فضل في اتخاذ السيوف والدروع والجواشن، كما كان لهم الثياب الجبائية، والأكسية الصوفية، والأدهان السابورية[8]، فكان يرتفع من مرو الأبريسم

(1) المقدسي، نفسه، ص92، تشانغ يان زون، **الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان**، ص14.
(2) المقدسي، نفسه، ص348.
(3) ابن الفرضي، نفسه، ق2، ص54.
(4) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص47.
(5) ابن الفقيه، نفسه، ص254، المقدسي، نفسه، ص253، 247، ابن حوقل، نفسه، ص377، لسترنج، نفسه، ص471.
(6) الحميري، نفسه، ص588.
(7) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص47.
(8) الجاحظ، **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، =

والقز، والقطن الجيد إلى كثير من البلاد[1]، ومن أصبهان العتابى، والوشى، وسائر ثياب الأبريسم والقطن، ومعدن الكحل، ومنها يتجهز به إلى الآفاق[2]، وكان يتجهز من سيراف بالأكسية العجيبة، والستور، وثياب الكتان، والديباج، والسجاد، والمصنوعات المعدنية، وسبائك الذهب والفضة[3].

كما اشتهرت جُرجان بمحاصيلها ومنتجاتها التي كانت تحمل إلى سائر البلاد، منها: العنّاب الجيّد، والنِشاب، والظروف، والأطباق المصنوعة من خشب الخَلنج[4]، والتين والزيتون والبلح[5]، كما اشتهرت أيضًا في صناعة ثياب الأبريسم الحريرية مما ليس عند غيرهم، والمقانع القزّيات، وأكسية الديباج التي كانت تُحمل إلى جميع الآفاق[6]، وكانت تباع بمبالغ مالية كبيرة[7]. وهذا يدل على جوْدتها، والأرباح

= الطبعة الثانية، القاهرة، 1935م، ص41، 22، 19، ابن الفقيه، نفسه، ص254، المقدسي، نفسه، 367، حسن منيمنة، نفسه، ص356 ـ 360.

(1) اليعقوبي، نفسه، ص48 ـ 49، ابن حوقل، نفسه، ص365، ص377، لسترنج، نفسه، ص472.

(2) الحميري، نفسه، ص43، آدم متز، نفسه، ج2 ص238.

(3) المقدسي، نفسه، ص323، جمال الدين سرور، نفسه، ص152.

(4) اليعقوبي، نفسه، ص46، المقدسي، نفسه، ص282.

(5) المقدسي، نفسه، ص282، ياقوت الحموي، نفسه، م2 ص119.

(6) اليعقوبي، نفسه، ص46، الجاحظ، المصدر نفسه، ص41، ابن الفقيه، نفسه، ص254، ياقوت، نفسه، م2 ص119، القحطاني، **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1424 هـ، ص348 ـ 351.

(7) المقدسي، نفسه، ص274، 282، لسترنج، نفسه، ص421،

Frye, **The Golden Age of**, p.14,84.

الكبيرة التي كان يجنيها تجار البز الجُرجانيون، وغيرهم من الغرباء الذين دخلوا بلادهم وتاجروا في هذا الصنف من السلع. أما بسطام فقد اشتهرت بكثرة بساتينها وأسواقها، وتفاحها المعروف بالبسطامي، وكان يُحمل إلى الآفاق، لجودته، وحُسن صبغه، وإشراق لونه[1].

والجدير ذكره أن بعض البضائع الفارسية الفاخرة اتخذت طريقها إلى الأندلس وفقًا لحركة التبادل التجاري بين الجانبين، وقد لقيت رواجًا كبيرًا بها، ومنها: الثياب المروية، والجُرجانية[2]. ولاشك أن هذه السلع وصلت وغيرها من نفائس المشرق وبضائعه إلى الأندلس بواسطة بعض التجار المشارقة، ومنهم: البزازون الخراسانيون[3]، الذين ترددوا إليها في دولتي الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 ـ 238 هـ/ 822 ـ852 م)[4]، وخليفته وولده الأمير محمد (238ـ 273 هـ/ 852 ـ 886 م)، فقد دخلت في أيام الأخير كما يذكر ابن حيان صنوف من المتاع الفاخر، والرياش النادر «ما لم يدخل في أيام من قبله من الخلفاء»[5]، وأيضًا عن طريق بعض البزازين الأندلسيين العائدين من المشرق، وخصوصًا البجانيين[6]، فقد

---

(1) المقدسي، نفسه، ص272 ـ 273، ياقوت الحموي، نفسه، م1 ص421.

(2) الإدريسي، نفسه، م2 ص562، المقري، نفسه، ج1 ص157، السيد عبدالعزيز سالم، المرجع نفسه، ص156 ـ 157.

(3) ابن بشكوال، نفسه، رقم 264 ص104، الطاهري، نفسه، ص62.

(4) ابن حيان، نفسه، 2003م، ص291، ابن عذارى، نفسه، ج2 ص91.

(5) ابن حيان، نفسه، 1973م، ص276، وانظر أيضاً: نفسه، ص164.

(6) كانت بجانة من أشهر مراكز صناعة النسيج بالأندلس، وكان =

اكتسبت مدينتهم بجانة بحكم موقعها الجغرافي المتميز على البحر المتوسط، كميناء ومرسى، شهرة عظيمة في التجارة العالمية، وعرفت بأنها باب الشرق ومفتاح الغرب، ولذلك اكتظت أسواقها بضروب التجارات الواردة عبر البحر من بلدان المشرق والمغرب[1].

خامسًا: المدة التي استغرقتها رحلته إلى عُمان وبلاد فارس وبنيته العُمرية

أشارت المصادر الأندلسية المتاحة بين أيدينا إلى المدة الزمنية التي كانت تستغرقها رحلات بعض الأندلسيين إلى بلدان المشرق الإسلامي، طلبًا للعلم والرزق، وهي مدد تتفاوت قصرًا وطولاً، وقد راوحت بين سنتين[2]، وسبع وأربعين سنة[3]. غير أن بعض هذه المصادر لم تكن تقدم معلومات

= الوشي والديباج وجميع ما يعمل بها من الحرير، يفوق مثيله في المشرق وفي بلاد النصارى (ابن سعيد، نفسه، ج2 ص193 ـ 194). وكانت أرديتها تحمل إلى مختلف الآفاق (ابن حوقل، نفسه، ص109). وتفيد المصادر أن كثيرًا من بزازيها قد رحلوا إلى المشرق للتجارة (ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 134 ص41 ـ 42، عياض، نفسه، م2 ص111، ابن بشكوال، نفسه، رقم 693 ص260 ـ 262، ياقوت، نفسه، م5 ص119،

Tapia Garrido, op.cit, pp.256-257).

(1) ابن غالب، نفسه، 283، ياقوت الحموي، نفسه، م5 ص119، ابن سعيد، نفسه، ج2 ص193، المقري، نفسه، ج1 ص156، السيد عبد العزيز سالم، نفسه، ص168-169،

Levi- Provencal, La description, p.67, Constable, op.cit, p.18.

(2) ابن بشكوال، نفسه، رقم574 ص219.

(3) عن تحديد المُدد الزمنية لرحلات الأندلسيين المشرقية، راجع: =

كافية عن المُدد الزمنية؛ فأحيانًا كانت تشير إلى تاريخ خروج المرتحلين من الأندلس، وتاريخ وصولهم إلى المشرق، وتواريخ تنقلهم بين بلدانه وإقامتهم فيها، دون ذكر سنة رجوعهم إلى أوطانهم[1]، وأحيانًا أخرى تنعدم السنوات تمامًا[2]. أما بخصوص رحلة البياني الخليجية، فلم يذكر ابن الفرضي تاريخ خروجه من بلده، ولا تواريخ وجوده ببلدان الخليج العربية والفارسية، غير أنه أشار إلى وجوده بطرابلس الغرب سنة 332 هـ/ 944 م، وببرقة سنة 338 هـ/ 949 م[3]. ففسح في المجال بذلك أمام الباحثين ليجتهد كل منهم لحل هذه الإشكالية، فأدى ذلك إلى اختلافهم في معالجتها؛ فقد ألمح أحدهم دون تصريح إلى تاريخ وجوده بعُمان، فذكر أنه التقى الفقيه أبا عبد الله محمد بن محبوب البُناني بها[4]، وكان هذا العالم قد توفي في سنة 223هـ/ 835م، كما أسلفنا القول، مما يعني أن البياني رحل من بلده إلى هناك قبل هذا التاريخ.

= الخشني، نفسه، تراجم 12، 58، 411، 434، 515، ابن الفرضي، نفسه، تراجم: 1042، 1077، 1166، 1218، الحميدي، نفسه، ص68 ـ 69، ابن بشكوال، نفسه، تراجم 237، 374، 514، المقري، نفسه، ج3 ص266 ـ 267، خالد البكر، المرجع نفسه، ص209 ـ 212.

(1) الخشني، نفسه، تراجم: ، ابن الفرضي، نفسه، تراجم: 1003، 1004، 1136، 1205، ابن بشكوال، نفسه، تراجم: 16، 37، 471.

(2) ابن الفرضي، نفسه، تراجم 1001، 1011، 1012، 1018، 1037، 1051، 1055، 1057، 1063، 1066، 1148، 1177، ابن بشكوال، نفسه، تراجم 8، 15، 20، 26، 30، 43، 64.

(3) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص54.

(4) خالد البكر، نفسه، ص73.

بينما ذكر أحد الباحثين الليبيين، وكان يعرض لترجمة أحد أعلام بلده كتب عن البياني بطرابلس سنة 332 هـ/ 944 م، أنه قام برحلته في السنة نفسها، وعاد منها سنة 338هـ/ 949م[1]. فتغافل بذلك عن ذكر رحلته إلى عُمان ولقائه ابن محبوب، ودخوله نرماسير وسماعه على أبي على الحسن بن علي الأصبهاني المؤدب هناك.

وقد رصدنا تواريخ خروجه من الأندلس، ووجوده بعُمان وبعض المراكز التجارية والثقافية الفارسية على وجه التقريب، من خلال لقائه علماء هذه البلاد وسماعه منهم؛ فلا شك أنه التقى أبا عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي (وليس البناني كما ذكرنا آنفًا) بصُحار قبل وفاته عام 260هـ/ 873م[2]، كما التقى الأصبهاني المؤدب بنرماسير قبل وفاته أيضًا سنة 312هـ/ 924م[3]. وتذكر الروايات أن الأصم النيسابوري جلس للرواية ببلده بعد رجوعه من رحلته العلمية سنة 277هـ/ 890م، وبلوغه مكانة علمية بارزة، وأنه ظل يُحدث سبعين سنة حتى وفاته سنة 346هـ/ 865م[4]، وتفيد الروايات أيضًا أن أبا بكر الإسماعيلي قد رحل في طلب العلم عام 296هـ/ 908م[5]، وأن أبا أحمد بن

(1) الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، الطبعة الثالثة، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص76.

(2) السالمي، نفسه، ج1 ص164.

(3) الذهبي، تذكرة، ج3 ص787.

(4) الذهبي، سير، ج12 ص108.

(5) السهمي، نفسه، رقم 98 ص109.

عدي قد رحل في العام التالي (297هـ/ 909م)[1]، وأنهما جلسا للرواية ببلدهما جُرجان في بدايات القرن الرابع الهجري بعد عودتهما من رحلتيهما العلمية، وبلوغهما مبلغًا عظيمًا في الرواية، وإحرازهما مكانة علمية سامية جذبت إليهما أنظار طلاب العلم من مختلف الآفاق، فشدوا الرحال إليهما وقصدوهما، ليستفيدوا منهما، وينهلوا من فيض علمهما.

وهكذا يتضح مما سبق أن هناك مددًا زمنية طويلة بين وفاة بعض شيوخ البياني، وجلوس بعضهم الآخر للرواية بعد عودتهم من رحلاتهم العلمية، ووجوده بطرابلس وبرقة محدثًا، وأن هذه المدة قاربت ثمانين سنة (260 ـ 338 هـ). ورغم أن ابن الفرضي لم يُشر إلى بُنيته العُمرية، وتعدد رحلاته إلى بلدان الخليج، فالرأي عندي أنه لم يلتق كل هؤلاء الشيوخ في رحلة واحدة، إنما رحل أكثر من رحلة خلال هذه المدة، وكانت رحلته الأولى إلى الخليج في مطلع شبابه قبل سنة 260 هـ/ 873 م، ففي هذه المرحلة العُمرية يتمتع المرتحل بقوة البدن التي تمكنه من القدرة على تحمل مشاق السفر، وعناء الرحلة، والتجوال بين الأقطار سعيًا وراء الرزق والعلم، وبعد أن تنقل بين بلدان الخليج، عاد إلى الأندلس. ويبدو أنه كان مشغولاً بتجارته، فلم يجلس للحديث بمحطات طريق العودة، وببلده الأندلس، أو أنه حدّث يسيرًا،

---

(1) السهمي، نفسه، رقم 443 ص267.

غير أن رواياته لم تنتشر بين طلاب العلم الذين أقبلوا على أعلام شيوخ الأندلس في عصره، فظل مغمورًا[1]، ثم رحل ثانية في مرحلة الكهولة وسلك الطريق نفسه الذي سلكه في رحلته الأولى إلى الخليج، وأخذ العلم الكثير من علمائه، ومكث هناك طويلاً، وفي طريق عودته إلى بلاده توقف بطرابلس وبرقة تاجرًا ومحدثًا بين عامي 332 ـ 338هـ/ 944 ـ 949م، فقد ألفَ الغربة، ونضجت شخصيته العلمية بما حصّله من علوم شيوخه الخليجيين، وأصبح لديه ما يُحدث به طلاب العلم الذين تحلقوا حوله هناك، وكتبوا عنه[2]. ويؤيد هذا التخريج تعدد رحلات بعض الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي، لطلب العلم والتجارة؛ فبعضهم رحل مرتين، ورحل البعض الآخر ثلاث رحلات، وكان للبعض منهم كما أفادت المصادر رحلات كثيرة[3]. وكان بعضهم يدخلون البلدان نفسها التي دخلوها في رحلاتهم السابقة أحيانًا، وقد تخلل هذه الرحلات سنوات توقف طويلة بالأندلس بلغت أقصاها قرابة نصف قرن؛ فابن الفرضي يذكر أن عبدوس بن محمد بن عبدوس الطليطلي رحل إلى المشرق رحلتين: كانت الأولى في سنة 256هـ/ 869م، وكانت الثانية في سنة 271 هـ/

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

(2) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

(3) الخشني، نفسه، رقم 279 ص218، ابن الفرضي، نفسه، ق1، أرقام 757 ص247، 776 ص257، ابن حيان، نفسه، 2003م، ص224.

884م «ودخل الشام في رحلتيه جميعًا»[1]، ورحل عبد الله بن محمد التجيبي القرطبي إلى المشرق رحلتين، دخل فيهما العراق «وكان متصرفًا في التجارة»[2]، ورحل عبيد الله بن محمد القيسي القرطبي، فسمع بمصر والشام سنة 342هـ/953م، و«رحل إلى المشرق رحلة ثانية بعدما أسن، فحج سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة»[3]، والفقيه أحمد بن واضح من أهل بجانة، وكان قد «رحل مرات كثيرة حاجًا وتاجرًا، وطلب العلم»[4]، والتاجر أصبغ بن محمد بن يوسف القرطبي (ت 300 هـ/912م) «ولم يزل يختلف إلى المشرق تاجرًا حتى ضعف»[5].

سادسًا: علماء عُمان وبلاد فارس الذين تتلمذ عليهم

أشار ابن الفرضي إلى العلماء الذين لقيهم البياني الأندلسي بعُمان ومراكز الثقافة الفارسية، كما أشار أيضًا إلى بقية شيوخه الذين تتلمذ عليهم في البلدان المشرقية الأخرى[6]. ولاشك أن

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 1003 ص340.
(2) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 757 ص247.
(3) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 1004 ص342.
(4) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم 134 ص41 ـ 42، القاضي عياض، نفسه، م2 ص111. وانظر أيضاً: الخشني، نفسه، رقم 30 ص26 ـ 27.
(5) ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشره عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، والمثنى ببغداد، 1956م، ج1 ص205، خالد البكر، نفسه، ص80.
(6) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص54 ـ 55، السيد عبد العزيز سالم، **تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي**، ص63.

ابن الفرضي لم يقدم لنا قائمة بكل العلماء الذين لقيهم البيّاني، إنما أشار فقط إلى جلتهم وأعلامهم، فقد كانت عُمان ومراكز الثقافة الفارسية التي دخلها، للتجارة وطلب العلم، تعج بالعلماء في النصف الثاني من القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجريين، لاسيما وأن هذه الفترة الزمنية كانت تعد فترة توهج الحضارة الإسلامية وازدهارها في مختلف الميادين. وللأسف فإنه لم يُلمح أيضًا إلى الروايات التي سمعها البياني من شيوخه، ولم يذكر مؤلفاتهم التي نقلها عنهم، وحدّث بها عند عودته من رحلته. ونعرض فيما يلي لأفكار مشاهير شيوخه العُمانيين والفرس ومواقفهم الدينية، ومؤلفاتهم العلمية التي سمعها منهم، ثم حدّث بها عنهم عند قفوله من رحلته، كما سنشير إلى كيفية سماعه ـ كغيره من طلاب العلم ـ منهم.

1/6 أبو عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي بمدينة عُمان (صُحار)

آلت الرئاسة العلمية إلى محمد بن محبوب بعُمان عن جدارة واستحقاق، لعلمه وورعه وشجاعته، وقد اعترف له فقهاء أهل زمانه بذلك. وقد اشتهر الإمام محمد بن محبوب بآرائه الدينية السديدة ومواقفه السياسية الجريئة، منها: موقفه من شرعية بعض الأئمة الإباضية بعُمان والبراءة منهم، وموقفه الصارم من قيام القدرية والمرجئة بصُحار بإظهار دينهم وكثرة المستجيبين لهم، وسعيه لقطع دابرهم، وكان موقفه من قضية خلق القرآن من المواقف المهمة التي اشتهرت عنه؛ فقد تبنى الرأي بأنه مخلوق، ثم عاد عنه عندما اعترض عليه أئمة المذهب بشدة، خوفًا على وحدة الصف الإباضي من التشتت،

وتوصل معهم إلى موقف وسط لا تصريح فيه بخلق القرآن ولا بقدمه[1]، مما يدل على عمق فكره وبُعد نظره، حيث لم تعوزه الحجة للانتصار لموقفه، لكنه آثر وحدة الجماعة، خصوصًا وأن الأشياخ لم يذهبوا إلى القول بقدم القرآن وهو الرأي الذي لم يقتنع به[2]. ومن الآثار الفقهية للعلامة ابن محبوب جامعه المشهور الذي عرف باسمه «جامع محمد بن محبوب»، وكان في سبعين جزءًا[3]، ومنها أيضًا: كتابه إلى أهل حضرموت، حول الأسباب الموجبة لعزل الأئمة، وسيرته (رسالته) لإباضية المغرب، وتتضمن أجوبته عن مجموعة الأسئلة التي وردت إليه منهم[4].

ونستدل من الروايات على كيفية لقاء التاجر البياني بالإمام ابن محبوب، وجلوسه إليه للسماع عليه، والأخذ منه، فعندما

---

(1) الكندي النزواني، **كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأئمة وعلماء عمان**، تحقيق د. سيدة كاشف، القاهرة، 1985م، ص81 ـ 83، وانظر أيضاً: نفسه، ص200 ـ 201، السالمي، نفسه، ج1 ص153 ـ 159.

(2) الجعبيري، **البعد الحضاري**، ص351-354، وللمؤلف نفسه: **حياة الإمام محمد بن محبوب**، ص51 ـ 65.

(3) الدرجيني، نفسه، ج2 ص357، الشماخي، نفسه، ص338، الجعبيري، **حياة الإمام محمد بن محبوب**، ص80 ـ 81.

(4) الكندي النزواني، **كتاب الاهتداء**، ص81 ـ 83، مجهول، **السير والجوابات**، ج2 ص223 ـ 268، مسلم بن ساعد بن علي الوهيبي، آراء الإمام محمد بن محبوب الكلامية، ضمن كتاب **«الإمام محمد بن محبوب الرحيلي»**، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2006 م.

وصلت المركب التي كانت تقله إلى صُحار، صعد إليها كباقي رفقاء الرحلة، ومكث بها مدة للتجارة، وانتهز الفرصة للسماع عليه، فابن المجاور يذكر أن المراكب القادمة من أطراف الدنيا إلى صُحار كانت ترسو بها، وكان التجار يصعدون إليها يبتاعون ويتشاورون[1].

2/6 أبو علي الحسن بن علي الأصبهاني الطوسي المؤدب بمدينة نرماسير

بلغ الحافظ أبو علي الحسن بن علي الأصبهاني الطوسي، وكان يعرف بكردوش، مكانة عالية في رواية الحديث، فكان يروي قراءات أبي حاتم السجستاني وهي عدة أجزاء، كما كان له عدة تصانيف تدل على معرفته، منها: كتاب الأحكام والفوائد[2]. وقد أدرك كثير من طلاب العلم ببلده والوافدين عليه ذلك، فقصدوه وتحلقوا حوله، للسماع عليه والأخذ منه، وقد روى كثير منهم عنه، كما روى عنه أيضًا بعض شيوخه، منهم: أبو حاتم الرازي، وجعفر الكرابيسي. وكان الطوسي قد رحل إلى قزوين مرتين؛ الأولى قبل سنة 300 هـ/ 912م، فكتب عنه الكبار، والثانية في سنة 307 هـ/ 919م، فكتب عنه الصغار والكبار[3]. وكان الأصبهاني الطوسي من أقرب تلاميذ القاضي الزبير بن بكار

---

(1) ابن المجاور، نفسه، ص314.

(2) الرافعي القزويني، نفسه، ج2 ص427. ج1 ص183.

(3) الرافعي القزويني، نفسه، ج2 ص426.

إليه، وأكثرهم رواية عنه، واشتهر بروايته لكتابه الأنساب، ولذلك كان يعرف بصاحب الزبير[1].

3/6 أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ بنيسابور

بلغ الإمام الحافظ أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ في رواية الحديث مكانة علمية عالية؛ لثقته وصدقه وأمانته، وصحة سماعه، وامتداد زمن روايته، وتزاحم الطلبة عليه، فقد كان كما يذكر الحاكم النيسابوري مُحدث الشرق في عصره بلا مدافعة، وحدّث في الإسلام ستًا وسبعين سنة، وألحق الأحفاد فيه بالأجداد[2]. وقد اشتهر أبو العباس الأصم بروايته لأمهات كتب الشافعية حتى صار راويًا لهذا المذهب، ومن هذه الكتب: الأم للشافعي، ومعاني القرآن لمحمد بن عبد الوهاب الفرّاء، وبلغ في روايته لكتاب المبسوط مكانة عظيمة، وكان فيه ثقة مأمونًا، وانفرد بروايته حتى قيل: «ما بقي لكتاب المبسوط راوٍ غير أبي العباس الورّاق»[3]. وكان أبو العباس الأصم يُحدث تلاميذه، ومنهم: الأندلسيون في مجلس عند باب داره[4]، وعندما كان

---

(1) الرافعي القزويني، نفسه، ج2 ص426 ـ 427، الذهبي، تذكرة، ج3 ص788.

(2) السمعاني، نفسه، ج1 ص178 ـ 179.

(3) الذهبي، سير، ج12 ص108 ـ 109، تذكرة، ج3 ص861 ـ 862، ابن قاضي شهبة، نفسه، ج1، رقم 89 ص106 ـ 107، ابن كثير، نفسه، ص270–272، الزركلي، نفسه، ج7 ص145،

Blachere (R.), Al-Asam, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition, Vol.1, Leiden, 1986, p.686.

(4) السمعاني، نفسه، ج1 ص178 ـ 179، الذهبي، تذكرة، ج3 ص861، سير، ج12 ص108، 106.

يكتظ مجلسه بالناس والغرباء من كل فج عميق كما يذكر السمعاني، ويضيق بهم، كانوا يحملونه «على عواتقهم من باب داره إلى مسجده»(1)، ليُحدثهم هناك.

4/6 أبو أحمد عبد الله بن عدي المعروف بابن القطان الجُرجاني

كان الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي أحد الأئمة الأعلام، ونقاد الأنام، وأركان الإسلام(2)، وكان قد جمع أحاديث مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان الثوري، وجماعة من المقلين، كما سمع ابن عدي من شيوخه بالعراق والحجاز والمجاورين به، والشام سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رواها لتلاميذه الجُرجانيين، والوافدين عليه بجُرجان(3)، ومن الآثار العلمية لابن عدي الجُرجاني بعض الكتب، نذكر منها: علل الحديث، والانتصار على مختصر المزني في فروع الشافعية، ومعجم عن شيوخه الذين زادوا على ألف شيخ، كما صنف كتابًا في ضعفاء المحدثين اسمه الكامل في ستين جزءًا، أخرج فيه اثني عشر ألف حديث مسندِ، واثني عشر ألف مقطوع، وكان فيه الكفاية في علم الجَرْحِ والتعديل(4)، وقد تأثر

---

(1) السمعاني، نفسه، ج1 ص180، ابن قاضي شهبة، نفسه، ج1 ص119، الذهبي، سير، ج12 ص108 ـ 109، إحسان الثامري، المرجع نفسه، ص67.

(2) ابن كثير، نفسه، ج1 ص283.

(3) السهمي، نفسه، رقم 179، ص155، الذهبي، سير، ج12 ص288.

(4) السهمي، نفسه، ص267، ابن كثير، نفسه، م1، رقم 186 ص271 ـ 272، الذهبي، سير، ج12 ص287، أكرم ضياء العمري، **بحوث** =

تلاميذه بهذا الكتاب على وجه الخصوص، واستفادوا منه[1].

5/6 أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجُرجاني

كان الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجُرجاني (ت 371 هـ/ 981 م) من أبرز علماء الحديث في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكان قد أظهر نبوغًا كبيرًا في علم الحديث منذ صغره؛ حتى صار أحد أكبر الشافعية فقهًا، وحديثًا وتصنيفًا[2]، وقد جمع الإسماعيلي بين الفقه والحديث ورسالة الدين والدنيا[3]، وصنف تصانيف كثيرة قيمة تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، منها: المستخرج على صحيح البخاري، والفرائد، والعوالي، ومعجم الصحابة، ورسالة في العقيدة، وبعض المجموعات والتصانيف الفقهية، والمسند الكبير في نحو مائة مجلد، جمع فيه أحاديث لجماعة من الصحابة، وقد أجاد فيه وأفاد[4] وقد طافت شهرته ومصنفاته

= **في تاريخ السنة المشرفة**، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م، ص157، الزركلي، نفسه، ج4 ص103.

(1) السهمي، نفسه، ص267، الذهبي، تذكرة، ج3 ص940 ـ 941.

(2) ابن كثير، نفسه، ج1 ص305.

(3) ابن قاضي شهبة، نفسه، ج1، رقم 93 ص111.

(4) عن مؤلفات الإسماعيلي، راجع: أبو بكر الإسماعيلي، **كتاب المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي**، دراسة وتحقيق د. زياد محمد منصور، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1990م، ص166 ـ 187، الزركلي، نفسه، ج1 ص86.

الآفاق، وكان علماء مصر والعراق وغيرهما يسألون تلاميذه عنها[1].

ومن آراء الإسماعيلي المشهورة عنه: أنه كان يرى أن مذهبَ أهل الحديث الإقرارُ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله، وما صحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا معدل عن ذلك، ويعتقدون أن الله مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا اعتقاد كيف، واستوى على العرش بلا كيف وذكر سائر الاعتقاد[2]. وتذكر الروايات أن أبا بكر الإسماعيلي كان يجلس لتلاميذه الجُرجانيين والغرباء، ومنهم: البياني يلقي عليهم دروسه في مسجده بجُرجان[3]، ولم تقتصر دروسه على علوم الفقه والحديث فحسب، إنما كان يتطرق أيضًا إلى التفسير، والأخبار، والشعر والأدب، و«غير ذلك من سائر العلوم»، وكان جماعة الغرباء وأهل البلد يكتبون ما يُمليه عليهم، ويُعلقون عليه بمقدار فهمهم وحفظهم[4].

6/ 6 بقية شيوخه الخليجيين

وقد التقى البياني أيضًا بعض علماء الخليج وشيوخه خلال

(1) السهمي، نفسه، ص110.

(2) الذهبي، تذكرة، ج3 ص949، سير، ج12 ص381.

(3) أبو بكر الإسماعيلي، المصدر نفسه، ج1 ص27، السهمي، نفسه، ص491.

(4) السهمي، نفسه، ص110 ـ 111.

تردده إلى مراكز الثقافة هناك، فسمع منهم، ثم حدّث عنهم، ومنهم: أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن نوح الطوسي، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن أبي عامر البسطامي، لقيه بمدينة بسطام، وأبو عبد الرحمن محمد بن حسام بن سعد بمدينة نيسابور[1]. وللأسف لم نعثر على تراجم وافية لهؤلاء العلماء في المصادر المتاحة بين أيدينا، فحُرمنا بذلك من الوقوف على مروياتهم، وآثارهم العلمية التي نقلها البيّاني عنهم، ثم حدّث بها طلاب العلم الذين تحلقوا حوله في المدن الليبية التي دخلها تاجرًا ومحدثًا.

سابعًا: أثر رحلته إلى عُمان وبلاد فارس في الثقافة الدينية لبلاد المغرب والأندلس

ارتبطت الدولة الأموية في الأندلس بعلاقات ودية وطيدة ببعض الدويلات المغربية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، منها: الدولة الرستمية بتاهرت، ودولة بني مدرار بسجلماسة، لأسباب سياسية واقتصادية[2]، وقد انعكس ذلك

---

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص54.

(2) عن علاقات الدول الأموية بالأندلس بالرستميين وبني مدرار، راجع: ابن حيان، نفسه، 2003م، ص410 ـ 411، ابن عذاري، نفسه، ج2 ص87 ـ 88، السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م، ص483 ـ 485، عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م، ص98 ـ 104، 110 ـ 114، محمد عيسى الحريري، **مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي**، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت، 1983م، ص214 ـ 221.

على نشاط الحركة التجارية والعلمية بينهم؛ فكانت السفن تتردد بين موانئ الأندلس، منها: بجانة، وتدمير، وشاطبة، والجزيرة الخضراء، وإشبيلية، وموانئ المغرب، منها: تاهرت، ووهران، وتنس، وسجلماسة، تحمل المتاجر والعلماء والمسافرين إلى كل من البلدين(1). ورغم توتر العلاقات السياسية بين الأمويين والأدارسة بالمغرب الأقصى(2)، والأغالبة بالمغرب الأدنى، ثم بينهم وبين الفاطميين الذين سيطروا على بلاد المغرب منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين، فإن ذلك لم يؤثر في الطرق البرية المغربية، فلم تكن مغلقة أمام المرتحلين الأندلسيين، فقد كانوا يسلكونها ويتوقفون بأشهر المدن الواقعة عليها، كالقيروان، وهي كما يذكر المقدسي «فرضة المغربين ومتجر البحرين»(3)، وطرابلس وبرقة، للتجارة، وطلب العلم اقتباسًا واستزادة على يد علمائها والوافدين عليها، حتى يصلوا إلى مصر في طريقهم إلى المشرق، وعند عودتهم منه إلى بلادهم كانوا يتوقفون بهذه

---

(1) اليعقوبي، نفسه، ص110، الاصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر (مصورة من طبعة ليدن)، بيروت، بدون تاريخ، ص39، ابن حوقل، نفسه، ص78 ـ 79، مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1 ص62، السيد عبدالعزيز سالم، المرجع نفسه، ص483، 491،

Lirola Delgado, op.cit., pp.122-123.

(2) محمود إسماعيل، **الأدارسة في المغرب الأقصى**، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م، ص164 ـ 184.

(3) المقدسي، نفسه، ص186، ابن حوقل، نفسه، ص94.

المدن أيضًا، للأسباب نفسها[1]، وتذكر الروايات أن بعضهم قد استوطن المراكز العلمية المغربية ولازموها، ومات بعضهم بها، ودفن هناك، منها: تاهرت، والقيروان، وسوسة، وطرابلس، وحدّثوا بها بما استفادوه من علوم المشارقة والأندلسيين، فأثروا في أهلها تأثيرًا عظيمًا، وحببوهم بالعلم والرحلة في طلبه[2].

ويتضح من الروايات أن البياني الأندلسي لم يمكث بقية عمره مترددًا بين المراكز التجارية والثقافية بعُمان وبلاد فارس، والمراكز المشرقية الأخرى، إنما قفل عائدًا منها نحو بلاده[3]، وكان من الطبيعي أن يحمل عند رحيله عن بلدان الخليج بعض مظاهر الحياة العلمية السائدة بها، وخصوصًا العلوم الدينية (الفقه والحديث) التي حصّلها على يد شيوخه هناك، وأن

---

(1) اليعقوبي، نفسه، ص110، الخشني، نفسه، تراجم: 3، 9، 10، ابن الفرضي، نفسه، رقم 1218 ص46، ابن حيان، 2003م، ص373، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ج12 ص126، المقري، نفسه، ج2 ص353، صالح مفتاح، **برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر**، رسالة ماجستير نوقشت بآداب القاهرة، 1975م، ص216 ـ 218، يوسف بن أحمد حواله، **الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م، ص 195 ـ 196.

(2) الخشني، نفسه، أرقام 27، 278، 515، ابن الفرضي، نفسه، رقم 1568 ص184، عياض، نفسه، م1 ص505 ـ 509، ابن عذارى، نفسه، ج2 ص257.

(3) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

يُحدّث بها ـ مثل بقية الأندلسيين العائدين من رحلاتهم العلمية ـ عند نزوله ببعض المحطات التجارية والعلمية على طريق العودة، فأثر بذلك في ثقافتها الدينية.

ونستدل من الروايات أن البياني الأندلسي قد أثر في الثقافة الدينية لبرقة وطرابلس بشكل مباشر؛ فابن الفرضي يذكر أنه توقف بهما، وحدّث بروايات شيوخه الخليجيين ومصنفاتهم التي حملها عنهم[1]. ومن المرجح أن اقتصاد هاتين المدينتين المزدهر، كان وراء نزوله بهما، وتدل روايات الجغرافيين على مقومات هذا الازدهار؛ فقد كانت طرابلس كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة في شرقيها، وكان بها أسواق كبيرة حافلة جامعة[2]، وكان أهلها تجار يسافرون برًا وبحرًا، وهم أحسن الناس معاملة للتجار الغرباء[3]. وقد أكد ابن حوقل على ضخامة أسواقها، وكثرة تردد التجار إليها، فذكر أن المراكب تحط بمينائها على مرّ الأوقات ليلاً ونهارًا، وترد بالتجارة «من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم»[4]. وكان موقع برقة الجغرافي المتميز على جادة مصر سببًا لاستقبالها ضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب[5]، فتضخمت أسواقها، واستأثرت بوجود

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.
(2) ياقوت الحموي، نفسه، م4 ص25.
(3) الحميري، نفسه، ص389.
(4) ابن حوقل، نفسه، ص72.
(5) ابن حوقل، نفسه، ص69.

بعض السلع التي شحت في الأسواق الأخرى، كما سعى أهلها، وكانوا أهل خير وصلاح إلى استقطاب التجار والغرباء إليهم، فأحسنوا معاملتهم[1]، فلم ينقطعوا «عنها طلابًا لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مُغربين ومُشرقين»[2].

ومن المرجح أن بعض طلاب العلم المغاربة قد أدركوا قيمة البياني العلمية، فتكاثروا عليه وتحلقوا حوله ينهلون من فيض علمه، فسمعوا منه، ورووا عنه. ولم يزودنا ابن الفرضي الذي ترجم له بأسماء جميع تلاميذه المغاربة، إنما اكتفى بالإشارة إلى واحد منهم فقط، فذكر أن أبا جعفر أحمد بن الحسين بن محمد المؤدب التقى البياني ببلده طرابلس في شوال سنة 332هـ/ مايو 944م، وسمع منه روايات شيوخه الخليجيين وغيرهم، وكتب عنه[3]. والجدير ذكره أن أحد الباحثين الليبيين قد ذكر ـ مستندًا إلى رواية ابن الفرضي ـ أن أبا جعفر الطرابلسي كتب عن البياني أثناء توقفه بطرابلس في طريقه إلى المشرق في شوال سنة 332هـ/ مايو 944م، غير أنه لم يشر إلى الروايات التي كتبها عنه[4]. وبطبيعة الحال ما كان البيّاني ليحدث بروايات جميع شيوخه الخليجيين إلا بعد اكتمال تحصيله منهم، وعودته من رحلته الأخيرة، وليس قبل ذلك.

(1) المقدسي، نفسه، ص186.
(2) ابن حوقل، نفسه، ص69. الحميري، نفسه، ص91.
(3) ا بن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.
(4) الطاهر أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص76.

وكان أبو جعفر الطرابلسي تلميذ البياني فقيهًا فاضلاً صالحًا مجتهدًا في عبادته، وقد أقام مرابطًا أربعين سنة بقصر دويد داخل أسوار مدينة المنستير(1)، وكان مجاب الدعوة(2)، وذكر صاحب كتاب «الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية» أنه مات سنة 347هـ/ 958م(3). ونستدل من نصين مُهمين لابن بشكوال وابن خلكان أنه كان حيًا في عامي 380، 380هـ/ 990، 992م(4)، ونستدل من الروايات أيضًا أنه جلس

---

(1) كانت المنستير ميناء يقع بين سوسة والمهدية، وكانت في الأصل رباطاً أو قصراً بناه هرثمة بن أعين الوالي العباسي سنة 180 هـ/ 796م، يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من غارات البيزنطيين البحرية، ثم انتجعه الناس وبنوا بيوتهم حوله حتى أصبح مدينة عامرة كثيرة السكان. لمزيد من التفاصيل، راجع: البكرى، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، نشره دي سلان، الجزائر، 1911م، ص36، السيد عبد العزيز سالم، نفسه، ص366 ـ 367. والمصادر والمراجع المذكورة هناك.

(2) عن ترجمته، انظر: المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان**، تحقيق بشير البكوش، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج2 ص433 ـ 436، أحمد بن الحسن النائب الأنصاري، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تقديم وتحقيق د. محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، 1994م، رقم 31 ص80، وللمؤلف نفسه، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م، ص95، الطاهر أحمد الزاوي، نفسه، ص76، وللمؤلف نفسه، **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، الطبعة الأولى، دار البيارق، عمّان، 1999م، ص68 ـ 69.

(3) الطاهر أحمد الزاوي، **الجواهر الإكليلية**، ص69.

(4) ابن بشكوال، نفسه، رقم37 ص34، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ج3 ص150، حمزة أبو فارس، **المدرسة الفقهية المالكية في ليبيا خلال القرون الستة الأولى للهجرة**، مقال على شبكة الانترنت http: majda.maktoob.com

للرواية ببلده طرابلس وبقصر المنستير، فقصده كثير من طلاب العلم الليبيين والوافدين والعابرين عليها، فحدّثهم بروايات شيوخه، ومنهم البياني، فساهم بذلك في نشر الثقافة الدينية الخليجية هناك[1].

وهناك قرينة مُهمة تدل على إقبال طلاب العلم الطرابلسيين على البياني الأندلسي، فقد كانت غالبية أهالي طرابلس وخصوصًا أهالي جبل نفوسة كما يذكر اليعقوبي يدينون بالمذهب الإباضي[2]، وكانوا يترقبون قدوم القوافل التجارية القادمة من بلدان الخليج، فيجلسون للأخذ من التجار وطلاب العلم المرافقين لها، فتمكنوا بذلك من تحصيل علوم كثيرة، منها: علوم القرآن والحديث والفقه الإباضي[3]، وكان البياني كما أسلفنا القول قد دخل عُمان، والتقى أبا عبد الله محمد بن محبوب الرحيلي إمام الإباضية بها، وسمع منه. فلا شك أنهم عندما علموا بشأنه، وتتلمذه على الرحيلي، وما يحمله معه من رواياته، أقبلوا عليه وتحلقوا حوله، فحدّثهم بها.

والجدير ذكره أن مصير التاجر الفقيه البياني غير معروف، فابن الفرضي يذكر أنه لم يجد له خبرًا بالأندلس، ولم ير له

---

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55، ابن بشكوال، نفسه، رقم 37 ص34.

(2) اليعقوبي، نفسه، ص103، ابن حوقل، نفسه، ص93، صالح مفتاح، نفسه، ص57 ـ 67.

(3) ابن سلام، **الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية**، تحقيق شفارتز وسالم يعقوب، بيروت، 1985م، ص 149، الشماخي، نفسه، ج1 ص127، بوتشيش، المرجع نفسه، ص17، 20.

حديثًا إلا عند تلاميذه، ومنهم: بعض الأندلسيين الذين أخذوا منه بليبيا كما سنرى[1]. ومن المرجح أنه لم يرجع إلى الأندلس، وأنه مكث بليبيا آخر سنوات عمره، واستوطنها حتى قضى بها نحبه ودفن هناك؛ ويؤيد هذا التخريج عدة استنتاجات منطقية؛ منها: أنه كان سيجلس للرواية شأن معظم طلاب العلم الأندلسيين العائدين من رحلاتهم العلمية المشرقية، خصوصًا وأنه حدّث فعلاً بطرابلس وبرقة، كما كانت رواياته ستنتشر في نواحي الأندلس عن طريق تلاميذه هناك، وكانت أصداؤها سترد في كتب التراجم والطبقات المختلفة، وأخيرًا فقد كان ابن الفرضي نفسه سيشير في ترجمته له إلى ذلك، بدلاً من تأكيده على عدم وجود خبر عنه بالأندلس.

وهكذا يتضح أن الفقيه البياني قد أثر في الثقافة الدينية للأندلس بشكل غير مباشر عن طريقين؛ الأول: بواسطة تلاميذه الأندلسيين الذين كتبوا عنه بليبيا، ومنهم: حماد بن شقران بن حماد الصوفي الأستجي، وكان قد توقف عند عودته إلى بلاده من رحلته المشرقية ببرقة سنة 338 هـ/ 949 م، للسماع على شيوخها والوافدين عليها، فالتقى البياني هناك، وسمع منه روايات شيوخه الخليجيين وغيرهم، وكتب عنه[2]. وكان حماد ابن شقران الأستجي قد رحل إلى المشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره، وسمع بمصر من إبراهيم بن أحمد الصوفي،

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

(2) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

وتأثر باتجاهاته الصوفية؛ فعند عودته إلى الأندلس كان كثير الرباط في الثغور متكررًا إليها حتى وفاته سنة 354هـ/ 964م[1]. ومن المرجح أن الزاهد الأستجي حدّث رفقاء الرباط بالثغور، وتلاميذه الذين تحلقوا حوله عند عودته من رحلته المشرقية، ومنهم: ابن الفرضي، بروايات البياني، فكتبوها عنه[2].

وكان الطريق الثاني بواسطة تلاميذه المغاربة؛ فيتضح من تحليل الإشارات المصدرية أن روايات علماء الخليج ومصنفاتهم التي حدّث بها البيّاني تلاميذه المغاربة، قد انتقلت إلى الأندلس، فساهمت في تشكيل ثقافتها الدينية؛ فقد حدّث بها أبو جعفر أحمد بن الحسين الطرابلسي طلاب العلم الأندلسيين المرتحلين إلى المشرق والعائدين منه، عند توقفهم بطرابلس، فكتبوها عنه، ثم حدّثوا بها، منهم: أحمد بن محمد ابن عبيدة الأموي الطليطلي، وكان محمودًا فاضلاً زاهدًا ورعًا، وكان قد كتب عنه في سنة 380هـ/ 990م[3]، وابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس[4]، وكان قد كتب عنه وهو في طريقه إلى المشرق في سنة 382هـ/ 992م[5].

---

(1) ابن الفرضي، نفسه، ق1، رقم390 ص124-125، إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، **مظاهر الحضارة بمدينة أستجة الأندلسية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية**، مجلة كلية التربية، جامعة كفرالشيخ، 2006م، العدد الثاني، السنة السادسة، ص76.

(2) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

(3) ابن بشكوال، نفسه، رقم 37 ص34.

(4) ابن الفرضي، نفسه، ق2 ص55.

(5) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج3 ص150.

الخاتمة

يتضح من حصيلة هذه الدراسة، أن التاجر الفقيه أبا عبد الله محمد بن عيسى البياني الأندلسي، قد رحل إلى عُمان واتخذها معبرًا إلى المراكز التجارية والثقافية الفارسية، بهدف التجارة وطلب العلم، وأنه قصدها بسبب رغبته في طلب العلم والرزق بها، وشهرتها التجارية والعلمية، والسمعة الطيبة لعلمائها، وإعجابه وتقديره لهم. ويتضح منها أيضًا أنه كان بزازًا، فقد كانت الأندلس، وطرابلس، وبرقة[1]، وكل المدن الخليجية التي دخلها للتجارة، كمدينة عُمان (صُحار)، وبلاد فارس، وبقية بلدان المشرق تشتهر بصناعة المنسوجات الفاخرة وتجارتها. وأثبتت الدراسة أنه كان طالب علم مغمورًا، فلم يترجم له أصحاب كتب التراجم والطبقات الأندلسية عدا ابن الفرضي، بينما أغفلته المصادر المشرقية، ولم تأتِ على ذكره صراحة، إنما ألمحت إليه إجمالاً في عداد المغمورين الأندلسيين الذين رحلوا إلى الخليج وتاجروا ببلدانه، وتتلمذوا على مشاهير علمائه. ورجحت هذه الدراسة أنه تعلم اللغة الفارسية؛ ليستخدمها في معاملاته التجارية إلى جانب اللغة العربية في كل من صُحار والمدن الفارسية.

وتبين من دراستنا أيضًا أنه تلقى العلم عن شيوخه العُمانيين

(1) كان بطرابلس كما يذكر ابن حوقل «الجهاز الكثير من الصوف المرتفع، وطيقان الأكسية الفاخرة الرزق» (ابن حوقل، نفسه، ص71) وكان «البرقة أسواق حادة حارة من بيوع الصوف» (ابن حوقل، نفسه، ص69).

والفرس بلقائهم والسماع منهم، وكتابة ما كانوا يُملونه في حلقاتهم، وكان بعضها يعقد عند أبواب دورهم، وبعضها الآخر في المساجد، كما تبين منها أيضًا أن تلاميذه المغاربة والأندلسيين أخذوا العلم عنه باللقاء والكتابة. وقد كشفت هذه الدراسة عن الدور المهم الذي تلعبه الرحلة التجارية في تفعيل التبادل الثقافي بين بلدان العالم الإسلامي؛ فقد ساهم هذا التاجر بدور مهم في نشر الثقافة الدينية العُمانية والفارسية بطرابلس وبرقة (ليبيا) والأندلس، بنقله لروايات شيوخه العُمانيين والفرس ومصنفاتهم، وما زال بعضها مفقودًا، وأن هذه الروايات ظلت متداولة يرويها تلاميذه الليبيون للمرتحلين الأندلسيين عند توقفهم بطرابلس وإفريقية قرابة نصف قرن (332 ـ 382 هـ)، فصار بذلك أحد جسور الثقافة التي ربطت بلدان الخليج العربية والفارسية بالغرب الإسلامي؛ مما أكد على وحدة الفكر الإسلامي مشرقه ومغربه.

ويتضح من هذه الدراسة أيضًا أن عدد تلاميذه الذين أشارت إليهم المصادر قليل، لا يتناسب ومكانته العلمية كراوٍ لبعض مشاهير علماء عُمان وبلاد فارس في القرنين الثالث والرابع الهجريين، واتساع رحلته، وطول عمره. وقد تبين منها أيضًا أنه كان من المُعَمِّرين، فقد خرج من الأندلس شابًا ووصل إلى عُمان قبل سنة 260هـ/ 873م، واختتم حياته العلمية سنة 338هـ/ 949م، أو بعدها بقليل، وأن مصيره غير معروف، ورجحنا أنه لم يرجع إلى بلده الأندلس، وأنه مكث بطرابلس آخر عمره واستوطنها حتى قضى بها نحبه ودفن هناك.

الدراسة الثانية

عُمان مَعْبرًا لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد الزنج في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ابن طُنّيْز الأنصاري المَيُوْرْقي نموذجًا

1. موضوع الدراسة وأهميتها

ارتبطت عُمان مع شرق أفريقيا بعلاقات تاريخية وحضارية منذ أقدم العصور، وتعود بواكير هذه الصلات إلى القرن الأول الميلادى تقريبًا[1]. وقد أكد الملاح الإغريقي المجهول صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريتري (المحيط الهندي)، تلك العلاقات القديمة بين عرب سواحل شبه الجزيرة العربية، خصوصًا اليمنيين والعُمانيين، والساحل الشرقي لأفريقيا؛ فكتابه يزخر بمعلومات قيمة عن شرق أفريقيا، وحالة العرب وتجارتهم هناك في منتصف القرن الأول الميلادي، وقد أبدى مصنفه الذي زار المنطقة، إعجابه بكثرة عدد السفن العربية التي تتردد إلى هذا الساحل، لتتبادل

(1) سعيد بن علي المغيري، **جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، تحقيق عبدالمنعم عامر، مطابع الحلبي، 1979م، ص15.

التجارة مع سكانه، وعن اختلاط العرب وتزاوجهم من الأفارقة، كما يعرض لتعدد العناصر الموجودة على الساحل الشرقي لأفريقيا، وتطلعها إلى التعرف إلى اللغة العربية، ومحاولة التحدث بها، لما تتيحه لهم من آفاق واسعة في عملية التبادل التجاري مع التجار العرب(1).

وكان لهؤلاء العرب تأثير واضح في ساحل شرق أفريقيا، فالإغريق والرومان كانوا يطلقون عليه ساحل عزانيا Azania، نسبة إلى مملكة عزان، وهي مملكة عربية قديمة ظهرت في جنوب الجزيرة العربية قرابة القرن السابع الميلادي، وانتقل سكانها إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، وكان هذا الساحل تحت سلطان ملك عزانيا(2). واستمرت الهجرة تتدفق على هذا الساحل من اليمن، وعُمان، وشرق الجزيرة العربية، وبلاد فارس، فساهموا في إنعاش التجارة، وكلما تكاثروا هناك، تمكنوا من بسط نفوذهم، وأدى ذلك إلى قيام دويلات صغيرة على طول الساحل الشرقي لأفريقيا بين

(1) David Son, **The Lost Cities of Africa,** U.S.A.,1959, P.174. Chittick Nevlle, Kilwa, and the Arabe Settlement of the African Coast, journal of the African History, vol.1v.2.1963, p.79 sq,

جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص84 ـ 85، جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص63 ـ 64.

(2) Ingrams, Zanzibar **Its History and Its people,** Frank Cass co. LTD. 1967, pp.60-68.

القرنين الثالث ـ الخامس للهجرة / الثامن ـ الحادي عشر للميلاد[1].

وكان الملاحون العُمانيون المهرة قد توصلوا إلى أسرار الرياح الموسمية في المحيط الهندي، ومواسم هبوبها بدقة[2]، فأصبح لديهم الجرأة على الملاحة لمسافات طويلة في عمقه إلى أقصى الشرق والغرب، وقامت الرياح الموسمية بالدور الرئيسي في حركة التجارة فيه[3]، فوصلوا إلى الصين والهند وحوض نهر السند، وشرق أفريقيا، وارتبطوا معها بعلاقات تجارية كثيفة[4]. وقام العُمانيون أيضًا بفضل موقع بلادهم الفذ بدور مهم كوسطاء تجاريين بين جنوبي العراق وسواحل الخليج

---

(1) محمد أحمد مشهور الحداد، **حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية**، دار الفتح، بيروت، 1973م، ص103.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص88.

(3) عبد المنعم عامر، **عُمان في أمجادها البحرية**، سلسة تراثنا، سلطنة عمان، 1980م، العدد الثامن، ص62 ـ 63، شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص87، السيد عبد العزيز سالم، الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الإسلامي، ضمن كتاب «**بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**»، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، القسم الأول، ص158.

(4) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص74، 87 ـ 88، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص44، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2 ص435 ـ 436، محمود أبو العلا، **جغرافية إقليم عُمان**، مكتبة الفلاح، 1988م، ص179 ـ 187، حمد بن صراي، **عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي**، مكتبة الفلاح، 2005م، ص160-162، ص175 ـ 176، Gupta (P.), **Geography in Ancient Indian Inscriptions**, Delhi, 1973, pp. 57,63-64.

وبلاد اليمن وشرق أفريقيا من جهة، وبلاد الهند والصين من جهة أخرى. ويذكر كيركمان أن الشيء الثابت دون شك أن كمية كبيرة من المصنوعات الفارسية والهندية والصينية قد وصلت إلى شرق أفريقيا من خلال العُمانيين، وفي سفن عُمانية قادمة من صُحار[1]، وقد كانت من أكبر المرافئ على المحيط الهندي، وقاعدة التجارة البحرية مع العراق، وبلاد فارس، والهند، والصين، واليمن، وشرق أفريقيا، ومركز استقطاب للتجارة العالمية قبل الإسلام وبعده[2]. وقد حملت حركة التجارة العُمانية مع مختلف هذه البلاد في أعطافها: المؤثرات الحضارية، والاتجاهات الفكرية، والفنية، والدينية، والأخبار، بالإضافة إلى الهجرات المتبادلة، وهذا كله يؤدي إلى الانفتاح واتساع الفكر، وانتعاش الحضارة[3].

ونستدل من الإشارت المصدرية على وجود ملاحة مباشرة ومنتظمة بين عُمان وشرق أفريقيا، ونستدل منها أيضًا على أن

---

(1) جي كيركمان، **التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، 1980م، م5 ص271.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص156، الحميري، **الروض المعطار**، ص354 ـ 355. وانظر أيضاً: الاصطخري، **مسالك الممالك**، ص25، البكري، **جزيرة العرب**، ص37، تشانغ زون يان: **الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ**، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، بدون تاريخ، ص5.

(3) الألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، طبعة محمد بهجة الأثري، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص213، 387، سعيد عبد الفتاح عاشور وزميله، **عُمان والحضارة الإسلامية**، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2001م، ص5 ـ 6.

عُمان كانت مركزًا لهذه الملاحة؛ فالمراكب العُمانية كانت تقوم بنقل السلع والتجار العُمانيين والسيرافيين[1]، وغيرهم، من الموانئ العُمانية إلى موانئ الساحل الشرقي لأفريقيا وجزره المتاخمة له، ثم تعود محملة بالسلع الإفريقية، فالإدريسي يذكر «وليس للزنج مراكب يسافرون فيها، وإنما تدخل المراكب من عُمان وغيرها إلى جزائر الزّانج، فيبيعون بها متاعهم ويشترون متاع الزنج»[2]. ويذكر المسعودي أن التجار كانوا يُبحرون من البصرة إلى صُحار، ومنها إلى الموانئ الفارسية والهندية والصينية وموانئ شرق أفريقيا، وبالعكس[3]، وقد ركب المسعودي نفسه من صُحار إلى جزيرة قنبلو بالساحل الشرقي لأفريقيا[4]، وكانت آخر مرة ركب فيها من هذه الجزيرة عائدًا إلى صُحار سنة 304هـ/ 917م[5].

وقد استثمر بعض التجار والعلماء الأندلسيين المُقيمين بجنوب العراق موقع عُمان الجغرافي، ووساطتها التجارية بين بلدان العراق والخليج من ناحية، وشرق أفريقيا من ناحية

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، تحقيق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006م، ص87 - 93، 98، حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص230.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60 - 61.

(3) المسعودي، نفسه، ج1 ص105، 139 - 142، الحميري، **الروض المعطار**، ص413.

(4) المسعودي، نفسه، ج1 ص84 - 85.

(5) المسعودي، نفسه، ج1 ص 85.

أخرى، فقدموا من البصرة إلى عُمان، للتجارة وطلب العلم، ثم انتقلوا منها بالمراكب العُمانية عبر البحر إلى شرق أفريقيا، فمارسوا التجارة بها، وجلسوا هناك لنشر العلم زمنًا، ثم عادوا بالطريقة نفسها متبضعين بالسلع الإفريقية إلى عُمان، ومنها إلى البصرة. والجدير ذكره أن أهل الأندلس ـ كما ذكرنا في الدراسة الأولى من هذا الكتاب ـ قد اشتهروا بنشاطهم التجاري الواسع داخل بلادهم وخارجها؛ ولذلك نعتهم المقدسي بتقدير العلم وأهله، وكثرة التجارات والتغرّب[1]، كما أشار الحميدي وابن سعيد الأندلسيان أيضًا إلى ولعهم بالتنقل والتغرّب، والطواف بالبلاد في طلب العلم[2].

وتلقي هذه الدراسة الضوء على رحلة التاجر الفقيه المُحدّث النحوي أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري المَيُوْرْقي الأندلسي (نسبة إلى مَيُوْرْقة Mallorca كبرى جزر الأندلس الشرقية «البليار Baliares»[3]) ويعرف بابن ظُنّيْر، من البصرة إلى عُمان، طلبًا

(1) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص195.

(2) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص94، ابن سعيد، **المغرب في حلي المغرب**، ج2 ص72، وانظر أيضاً: ابن عذارى، **البيان**، ج2 ص 205، 191، 143، 109،

Makki, Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana, pp. 9-11.

(3) أطلق اليونان ومن بعدهم الرومان اسم Baliares على مجموعة من الجزر في غرب البحر المتوسط، وتتكون من خمس جزر رئيسية، هي ميورقة، ومنورقة، ويابسة، وفرمنتيرة، وقبريرة، بالإضافة إلى حوالى مائة جزيرة صغيرة وكتلة صخرية تتناثر حولها وما بينها. وتتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي خطير بين سواحل شرق إسبانيا وجنوب فرنسا وغرب =

للعلم والتجارة سنة 471هـ/ 1079م، ثم رحيله منها عبر ميناء

= إيطاليا، وسواحل بلاد المغرب الشمالية. وقد أطلق المسلمون عليها اسم الجزائر الشرقية، لوقوعها شرق الأندلس، ويعتبر الزهري جزر البليار أندلسية، لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس، وأمزجتهم واحدة. وكان غزاة البحر الأندلسيون يخرجون منها للجهاد في سواحل غربي البحر المتوسط وجزره. وهي جزائر خصب وسعة، وتتمتع بجمال طبيعي باهر، ومناخ معتدل، وتنوع في التضاريس. وقد أطلق الرومان اسم Majorica أي الجزيرة الكبرى على ميورقة واسطة العقد وكبرى جزر البليار، فمساحتها تعادل ثلاثة أرباع مساحة جزرها بأجمعها. وقد عرّبها المسلمون فأطلقوا عليها ميورقة، وميرقة، وكذلك مايرقة. والأكثر شيوعاً هو ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه، وياقوت الحموي في معجمه، وهو ميورقة، لأنها الأقرب إلى اللفظ اللاتيني. وهي من أخصب بقاع الأندلس، وأكثرها زرعاً ورزقاً، وأعدلها هواء وأصفاها جواً، ويصل فاضل خيرها إلى غيرها، ولأهلها ظرف وذمة، وفيهم حلاوة ورقاعة، وهم من أهل الحُسن والجمال، وقد وصف أحد الشعراء مدى جمالها، ونظافة ساحتها، وعذوبة نهرها، فقال:

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس

وكأنما تلك المياه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس

وقد فتحها المسلمون في سنة 290هـ/ 902م، إلى أن تغلب عليها صاحب برشلونة، وخربها في سنة 508هـ/ 1114م، وكان فيها من الحضارة والتمكن والتمصر، وعظم البادية ما يغنيها. لمزيد من التفاصيل، راجع: ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104، 184 ـ 185، الإدريسي، **نزهة المشتاق** م2 ص582، ابن عميرة المخزومي، **تاريخ ميورقة**، تحقيق د. محمد بن معمر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، 2007م، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص216، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص446، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه د. إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1975م، ص168، شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، الطبعة الأولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص190، الحميري، **الروض المعطار**، ص185، 188 ـ 191، المقري، **نفح الطيب**، ج4 ص207، 210، عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية «التاريخ الإسلامي لجزر البليار»**، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص15 ـ 26.

صُحار إلى بلاد الزنج، للتجارة ونشر العلوم الدينية والعربية، خصوصًا النحو، مدة تزيد على السنة، وعودته بعد أداء فريضة الحج سنة 473هـ/ 1081م، مرة أخرى إلى العراق مستخدمًا الطريق نفسه سنة 474هـ/ 1082م. وتتضح أهمية هذه الدراسة في أنها ستوفر للمتخصصين في مجال التواصل العُماني بالشرق الإفريقي والمهتمين به، ملمحًا جديدًا من ملامح هذا التواصل، كما أنها ستلقي أضواءً جديدة لم تدرس من قبل على تتلمذ بعض التجار والعلماء الأندلسيين على شيوخ عُمان عند عبورهم منها إلى ساحل شرق أفريقيا في القرن الخامس للهجرة، وجهود هؤلاء الأندلسيين في نشر الإسلام، واللغة العربية وآدابها بين أهالي بلاد الزنج، وتعود أهميتها أيضًا إلى أنها تقدم بعض الاجتهادات المتواضعة لتأكيد مواضع بشرق أفريقيا دار حول تحديدها نقاش طويل بين المتخصصين، وتحديد الموضع الذي نزله الميورقي الأندلسي ببلاد الزنج.

2. الدراسات السابقة

اهتم كثير من الباحثين المتخصصين فى مجال تاريخ الملاحة والتجارة في المحيط الهندي، والخليج، والبحر الأحمر بموضوع الصلات التجارية بين العراق والجزيرة العربية وبلدان الخليج العربية والفارسية من جهة، وشرق أفريقيا من جهة أخرى، ونذكر منهم: جورج حوراني، وعبد العزيز الدوري، وأنور عبد العليم، وسليمان العسكري، وحسين المسري، وعبد الكريم العاني، ورجب عبد الحليم، وشوقي

عثمان عبد القوي، وغيرهم ممن اعتمد عليهم هذا الكتاب. واهتم بعض الدارسين أيضًا بإلقاء الضوء على انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، فخصصوا دراسات قيمة عن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا واستقرارهم بالساحل والبر وأثرهم الحضاري هناك، نذكر منها: مؤلفات ترمنجهام، وشارل جيان، وحسن أحمد محمود، وحسن إبراهيم حسن، وجمال زكريا قاسم، وعبد الفتاح مقلد الغنيمي، ومحمد قرقش، ومحمد عبد الله النقيرة، ومحمود محمد الحويري، وسعيد بن سالم النعماني، وغيرهم ممن اعتمدت عليهم الدراسة. وقد حظيت الصلات الحضارية بين الأندلس ومراكز التجارة والثقافة بالمغرب ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن بجانب كبير من الاهتمام عند المتخصصين في الدراسات الأندلسية، وخصص نفر منهم بعض الدراسات القيمة التي تناولت موضوع التواصل الحضاري الأندلسي المشرقي، وما ترتب عليه من تأثيرات حضارية مشرقية وفدت على الأندلس كما ذكرنا في الدراسة الأولى من هذا الكتاب. غير أن هؤلاء الكُتاب لم يهتموا بدراسة الصلات الحضارية بين الأندلس وشرق أفريقيا، ولم يخصصوا لها دراسات وبحوثًا قائمة بذاتها. وربما كان السبب وراء ذلك قلة المعلومات الواردة في المصادر المتخصصة عن هذا الموضوع.

وقد أشارت بعض الدراسات المشرقية والأندلسية عرضًا إلى وجود ابن ظُنّيْر الميورقي في البصرة، ثم رحيله إلى عُمان

وعبوره منها إلى شرق أفريقيا؛ نذكر منها: «ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي» لمحمود محمد الحويري، و«الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية» لخالد عبد الكريم البكر. وقد اعتمد المؤلفان على رواية مقتضبة وردت عند ياقوت الحموي في معجم البلدان، دون أن يشيرا إلى نشاطه بالشام والعراق وعُمان، ولم يحددا الوجهة التي نزلها بساحل شرق أفريقيا. وقد أشار عصام سالم سيسالم في كتابه جزر الأندلس المنسية «التاريخ الإسلامي لجزر البليار» باقتضاب إلى ابن ظُنّيْر الميورقي كأحد العلماء الأندلسيين المهاجرين إلى المشرق، غير أنه اعتمد على بعض كتب التراجم الأندلسية وكتب الطبقات المشرقية عند حديثه عن تكوينه العلمي بميورقة ورحيله إلى العراق واستقراره ببغداد، وانتقاله منها إلى عُمان وزنجبار.

3. مصادر الدراسة

أمدتنا كتب الجغرافيين والرّحالة المسلمين منذ القرن الرابع الهجري بمعلومات قيمة عن بلاد الزنج، ومن أهمها: مروج الذهب للمسعودي، فقد رحل غير مرة إلى هذه البلاد، ووصل في بعض رحلاته إلى قنبلو وسفالة، وأقام هناك بعض الوقت، وقيمة هذا الكتاب أنه بمثابة دائرة معارف عن البحار الشرقية، خصوصًا بحر الزنج وجزره، وسكانه، ومنتجاته، وطرق الملاحة والتجارة فيه، بل إن مؤلفه تجاوز دور الرّحالة قوي

الملاحظة، فقام بدور المؤرخ السوسيولوجي النابه، فتعمق في وصف الزنوج، وأديانهم وعقائدهم، وعاداتهم وتقاليدهم. واعتمدت أيضًا على: كتاب الصحيح من أخبار البحار وعجائبها لأبي عمران موسى بن رباح الأوسي السيرافي، وقد استقى معلوماته عن أحوال الساحل الشرقي لأفريقيا من البحارة العُمانيين والسيرافيين الذين رحلوا إلى مختلف مدنه وجزره، وتاجروا مع سكانه. وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن بعض مظاهر الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية بعُمان، وبلاد الزنج.

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت عليها أيضًا: نزهة المشتاق للإدريسي، ورغم أن مصنفه لم يرحل إلى شرق أفريقيا، فإنه استمع كثيرًا كما ذكر في مقدمة كتابه لشهود العيان من العارفين بالبلاد المتجولين فيها، وللثقات المسافرين، والبحّارة الخائضين في البحار، وقرأ أكثر كتب الجغرافيين اليونان، والمسلمين، فأتى في وصفه بتفصيلات ودقائق هامة ضمنها كتابه، وأمدنا هذا الكتاب أيضًا بمعلومات قيمة عن مدينة صُحار وازدهارها التجاري. وقد حفظ لنا ابن سعيد المغربي وقائع رحلة ابن فاطمة الرحالة المغربي في القرن الخامس الهجري إلى الساحل الشرقي لأفريقيا حتى سفالة الزنج، وكانت المعلومات التي جمعها ابن سعيد معتمدًا على أسفار ابن فاطمة حول بلاد الزنج، تتصف بالجدة والأصالة، وقد ساعده ذلك على تحديد مواقع المدن، والجبال ومجاري

الأنهار في هذه المنطقة بكثير من الدقة، خصوصًا «جزيرة القمر» التي أورد تفصيلات كثيرة عنها، تطابق جزيرة مدغشقر إلى حد كبير.

أما ترجمة ابن ظنير الميورقي وتكوينه العلمي، وأخبار رحلته من البصرة إلى بلاد الزنج عبر عُمان ذهابًا وإيابًا، وأثره العلمي العظيم في أهالي بلاد الزنج، فقد تم كشفه بجلاء اعتمادًا على كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر. وقد استمد مصنفه جل رواياته من بعض شيوخه الشاميين والبصريين الثقات المعاصرين لابن ظنير الميورقي، ومنهم: تلميذه ابن الأكفاني الدمشقي، وكان ثقة شديد العناية بالتاريخ، وابن الماوردي البصري صديق ابن ظنير ورفيق دراسته عند شيوخ البصرة، وبمكة المكرمة. وقد نقل بعض أصحاب كتب التراجم والطبقات المشارقة ترجمة ابن ظنير الميورقي عن تاريخ دمشق لابن عساكر، نذكر منهم: ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق، وابن النجار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، والقفطي في إنباه الرواة على أنباء النحاة، والسيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ونقلها عن ابن عساكر أيضًا: ياقوت الحموي في معجم البلدان. وكذلك نقلها بعض أصحاب كتب التراجم الأندلسيين والمغاربة، ومنهم: ابن الأبار البلنسي في كتابه التكملة، وابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة، ويُحمد لهما أنهما أكدا أن ابن ظنير الميورقي رحل إلى عُمان، طالبًا الحديث

والعلم، وأنه نهل منهما الكثير. ومع ذلك، فيؤخذ عليهما، والقفطي والسيوطي، أنهم لم يذكروا أخبار رحلته إلى بلاد الزنج، رغم نقلهم عن ابن عساكر.

ولم نغفل المصادر العُمانية، وبعضها كان معاصرًا للعصر موضوع الدراسة، ومنها: بيان الشرع للكندي، والمصنف للنزوي، فقد زودتني بمعلومات قيمة عن الأحوال السياسية، والاجتماعية، والفكرية بعُمان في القرن الخامس الهجري، واعتمدت أيضًا على مصادر عُمانية أخرى، نذكر منها: تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة للأزكوي، وقصص وأخبار جرت في عُمان للمعولي الأفوي، والفتح المبين لابن رزيق، والسلوة في أخبار كلوة للصوافي.

4. منهج الدراسة

قدمت لهذه الدراسة بمبحث مطول عن تعريف بلاد الزنج حتى نهاية القرن الخامس الهجري (وقت وصول الميورقي إليها)، فأشرت إلى موقعها الجغرافي، وتحدثت عن سكانها وخصائصهم وعاداتهم، وسلعهم وأهم منتجاته، وختمت هذا المبحث بالحديث عن الأحوال السياسية ببلاد الزنج ونظم الحكم فيها. وأتبعت ذلك بالحديث عن علاقات عُمان ببلاد الزنج حتى نهاية القرن الخامس الهجري، فعرضت للطريق البحرية الموصلة من عُمان إلى بلاد الزنج، حيث سلكها

الميورقي عند رحيله إليها، وأشرت أيضًا إلى علاقاتهما التجارية والفكرية. ثم أفردت مبحثًا للحديث عن اسم العالِم الأندلسي وإشكالية لقبه، وتكوينه العلمي بالأندلس، ثم رحلته المشرقية في طلب العلم، فتوقفت عند تحديد تاريخها، ثم تحدثت عن أهم المراكز العلمية التي وصل إليها، وتعلم وعلّم بها، ومنها: صور ودمشق ببلاد الشام، ثم بغداد والبصرة بالعراق، وكنت أهدف من وراء ذلك أن نقف على العلوم والآداب التي برز فيها، فسوف تكون ذخيرته عند وصوله إلى بلاد الزنج، وجلوسه لتعليم أهلها.

وخصصت مبحثًا عن رحلة الميورقي إلى عُمان، أشرت فيه إلى تاريخها ومسارها، وأشرت أيضًا إلى نشاطه العلمي وتتلمذه على علمائها، ورجحت أنه مارس التجارة بها، ثم تحدثت عن رحلته عبر عُمان إلى بلاد الزنج، ونشاطه العلمي بها، ورجحت أنه استقر بجزيرة أنفوجة (إحدى جزر القمر)، التي وردت عند الإدريسي وابن سعيد وشيخ الربوة، وهي جزيرة قنبلو التي رحل إليها المسعودي من قبل. ورجحت أيضًا أنه مارس التجارة بها قرابة العام، قبل رحيله عنها بواسطة السفن العُمانية إلى اليمن، ومنها إلى الحجاز، لأداء فريضة الحج، ثم تحدثت عن رجوعه عبر عُمان أيضًا إلى العراق، وختمت الدراسة بمبحث عن وفاته، ناقشت فيه تاريخها، ومكانها.

أولاً: التعريف ببلاد الزنج حتى نهاية القرن الخامس الهجري

1/1 التسمية والموقع

الزنج هو الاسم الذي أطلقه الجغرافيون والرّحالة المسلمون في العصور الوسطى، للدلالة على الساحل الشرقي لأفريقيا وعلى سكانها السود، وكان الجغرافي ابن خرداذبة (ت 300هـ/ 912م) أول من ذكر لنا اسم الزنج[1]. والجدير ذكره أن المصادر الجغرافية الإسلامية تختلف فيما بينها حول تحديد امتداد «بلاد الزنج»؛ وفي اعتقادي أن سبب الاختلاف هو الخلط بين مفهوم الساحل الشرقي لأفريقيا، ومفهوم بلاد الزنج؛ فالقزويني يذكر أن بلاد الزنج مسيرة شهرين، شمالها اليمن وجنوبها الفيفافي[2]، وذكر ابن سباهي زاده أن بربرا (الصومال) تقع في بلاد الزنج[3]. أما الإدريسي فقد حدد بداية بلاد الزنج، فذكر أنها تلي مدينة بذونة آخر أرض بربرة، وينعتها ببلاد الكفرة السود[4]، وفي موضع آخر من كتابه يقول: وعلى جنوب البحر الهندي «بقايا من بلاد الكفرة السود، وما اتصل

---

(1) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص61.

(2) القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص22.

(3) ابن سباهي زاده: **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عيد الرّواضية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م، ص42.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص48 ـ 49، 58 ـ 59 . وفي موضع آخر يذكر أن بلدة النجا هي آخر أرض بربرة (المصدر نفسه، م1 ص48).

بها على البحر من بلاد الزنج»[1]. وعند ياقوت الحموي فإن بلاد بربرة تقع بين بلاد الحبش، والزنج، واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج[2]، ولكنه في موضع آخر يذكر أن مدينة مقديشو تقع في أول بلاد الزنج في جنوب اليمن، في بر البربر في وسط بلادهم[3]. وذكر شيخ الربوة أن بحر اليمن يليه قطعة من جنوب البحر تسمى بحر الزنج وبحر بربرا، ويسمى ساحلها بالزنجبار[4]، وبلاد الزنج في أقصى الجنوب تحت سهيل[5].

ويفهم مما تقدم أن ساحل بربرة غير ساحل الزنج، وإن كان متجاورين، ويأتي ساحل بربرة أولاً ثم يليه ساحل الزنج. وهو ما أكده الأوسي السيرافي، حين ذكر أن البحريين أجمعوا على أن بحر بربرا في الطريق إلى بلاد الزنج[6]، وذكر ابن سعيد أن بربرا قاعدة البرابر، وهي غير بلاد الزنج، ومن أول مدنها على ساحل البحر الهندي قرفونه[7]، ومن مدنها أيضًا مركة Marika[8]، ومقديشو Mogadisho، وكانت أبرز نواحيها،

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص58.
(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1 ص369.
(3) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م5 ص173.
(4) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص206.
(5) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218.
(6) الأوسي السيرافي: **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص140.
(7) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص81 .ويسميها الإدريسي قرقونة، وهي على البحر اليماني (**نزهة المشتاق**، م1 ص48).
(8) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص48، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82.

وأهلهما مسلمون[1]، ويقدم ابن سعيد لنا نصًا مهمًا يوضح بدقة حدود منطقتي بربرا والزنج، فذكر أن شرقي نهر النيل الذي ينصب في مقديشو «آخر حد البلاد البربرية، وأول حد بلاد الزنج»[2].

وكما حدد الإدريسي بداية بلاد الزنج، أمدنا أيضًا بنص مهم حدد به آخرها، فذكر «ومدينة البانس هي آخر بلاد الزنج، وتتصل بها أرض سفالة»[3]. ويتضح من النصوص التي أوردها ابن سعيد نقلاً عن الرّحالة المغربي ابن فاطمة أن بلاد السودان ومن بينها بلاد الزنج تنتهي شرقًا عند خليج القمر أو قناة موزمبيق، وجنوبًا عند رأس كوريانت الذي يتصل بالبحر المحيط من الجنوب، وبقناة موزمبيق من الشرق[4].

ويكون في الجزء الخامس من الإقليم الأول من المعمور أو ما أطلق عليه ابن سعيد «المعمور خلف خط الاستواء إلى الجنوب»[5]، من مدن الزنج المشهورة مَلَنْدة (بالسواحلية Malindi)، وهي على ضفة البحر على خور (خليج) ماء عذب، وهي مدينة كبيرة[6]، وعلى شاطئ هذا الخور عمائر

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82.
(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82.
(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60.
(4) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص64-65، 84-85.
(5) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص79. جعله الإدريسي الجزء السابع من الإقليم الأول (**نزهة المشتاق**، م1 ص58).
(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82 ـ 83.

كثيرة للزنج، وفي شرقي ملندة يقع الحراني، وهو جبل مشهور عند المسافرين(1)، ومنها إلى مدينة منبسة على الساحل مسافة يومين، وهي مدينة صغيرة للزنج، وهي على ضفة خور كبير في غربيها تدخله المراكب مسيرة يومين(2)، وفي هذه المنطقة تقع المفازة التي بين الزنج وسفالة(3)، وكانت مدينة كِلْوَةُ Kilwa كما ذكر ياقوت الحموي من أرض الزنج(4)، وكانت في الأصل جزيرة محاطة بالبحر، ولكنها تتصل أيضًا بالبر «فحين يهبط البحر، يمشي الناس بأرجلهم إلى البر»(5). وأشار ياقوت الحموي أيضًا إلى جزيرة عظيمة بأرض الزنج كانت تعرف بجزيرة لَنْجُوية، غير أن أهلها انتقلوا عنها في زمنه إلى جزيرة أخرى يقال لها تنباتو(6). ويرجح جيان أن وصف لَنْجُوية يمكن

---

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82 ـ 83، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص603.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59 ـ 60. وانظر أيضاً: ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83، Ingrams, Zanzibar, p.82.

(3) ابن سعيد، نفسه، ص83.

(4) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4 ص478.

(5) الصوافي، **السلوة في أخبار كلوة**، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1985م، ص 29، سليمان عبد الغني مالكي، سلطنة كلوة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص19 ـ 24،

Chittick (N.), **Kilwa An Islamic Trading City on the East Africa Coast,** Nairobi, 1974, V1, pp.6-10.

(6) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م5 ص23، ترمنجهام، **الإسلام في شرق شرق أفريقيا**، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي، القاهرة: الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1973 م. ص51.

تطبيقه على جزيرة زنجبار، وأن اسم أنجوية Unguja التي عرفت به هذه الجزيرة بالسواحلية مشتق من اسمها القديم، ورجح جيان أيضًا أن اسم تنباتو ينطبق على جزيرة صغيرة توجد بشمال غربي جزيرة زنجبار(1).

وكانت البانس من مدن بلاد الزنج المعروفة، وبينها وبين مدينة منبسة في البر ستة أيام، ومجرى ونصف في البحر، وهي آهلة بالسكان، وتتصل بها أرض سفالة الزنج المعروفة عند الجغرافيين العرب بسفالة الذهب، وسفالة التبر(2)، لكثرته بها، وهي من أرض الزنج(3)، فمنها إلى مدينة تنبته (بتهنة عند الإدريسي، وبتينه عند ابن سعيد)(4)، وهي أيضًا من أرض سفالة، ثمانية أيام في البر، ومجرى ونصف في البحر، وبينهما جون كبير يأخذ في جهة الجنوب(5)، وبين مدينتي البانس وبتهنة (تنبته) يقع جبل عجرد، وهو كما ذكر الإدريسي عالٍ عريض، طوله في البحر كما ذكر ابن سعيد نحو مائة ميل(6).

---

(1) شارل جيان، **وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا**، ص173-178، عربه ملخصاً الأمير يوسف كمال، القاهرة، 1937م، هيام عبد الرحمن، **شرق إفريقية عند الكتاب العرب**، ص199 وما بعدها.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، 79.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص86، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، 79، ياقوت، **معجم البلدان**، ج3 ص224.

(4) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص171، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، ابن سعيد، نفسه، ص83.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

وتتصل بأرض الزنج «قرى كثيرة، كل قرية منها على خور»[1].

وكانت صَيّونه (موزمبيق الحالية) قاعدة سفالة، وهي على خور كبير ينزل فيه نهر من جبل القمر إلى غربيها في جون كبير هي في شرقيه[2]. ويقع جبل الملطم شرقي صَيّونه، وعرف بهذا الاسم، لأنه كثيرًا ما يلطم المراكب التي تدفعها الرياح الموسمية الشمالية إليه، وهو كبير يمتد مع ساحل خليج القمر «قناة موزمبيق» نحو مائتين وستين ميلاً[3]، وبأرض سفالة مدينتان كالقرى الجامعة، وهما جنطمة، ودندمة، وهما على ضفة البحر الملح، وبينهما مجريان في البحر، وسبعة أيام في البر[4]، ومن نواحي سفالة أيضًا مدينة برخة[5]. وعلى جنوب البحر الهندي قطعة من بلاد سفالة، فمنها مدينة جسطة، وهي صغيرة على خور كبير تدخله المراكب للتجارة[6]، ومنها إلى مدينة دغوطة في البحر ثلاثة أيام بلياليها، وهي آخر بلاد سفالة[7]. ويذكر ابن سعيد أنها «آخر العمارة في البر المتصل

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص60.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص68، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص83.

(3) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص84.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص67 ـ 68.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص68.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص68، 79،

Harold D. Nelson (Edited), **Mozambique: a country study**, The American University, Third Edition, 1984, First Printing, 1985, p.9.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص79، الحميري، الروض المعطار، ص74، 244.

بهذا البحر»[1]، ولكن محقق كتاب ابن سعيد يتحفظ على هذا التحديد، فإن سفالة تقع في منتصف مجرى قناة موزمبيق تقريبًا، وليست في آخر المعمور[2]، ونؤيد محقق كتاب الجغرافيا في تحفظه؛ فاستنادًا إلى معلومات المسعودي والأوسي السيرافي والإدريسي كانت أرض الواق واق من أقاصي أرض الزنج، والأسافل من بحرهم، وتتصل بأرض سفالة[3]، وهي غير جزائر الوقواق التي تقع قبالة الصين[4].

ويقابل ساحل بلاد الزنج جزائر كثيرة تسمى جزائر الرّانج (النارجيل وهو الجوز الهندي)، وسميت به، لكثرته فيها[5]. ويذكر الإدريسي أن أرضها واسعة للغاية، ونذكر منها: جزيرة شربوة، و«جزيرة الأنجية»، ومدينتها التي يسكن فيها أهلها تسمى بلغة أهل الرّانج «الأنقوجة»، وبينها وبين مدينة البانس مجرى واحد، ودورها أربعمائة ميل[6]. (أنفوجة عند شيخ الربوة[7]) ولهذه الجزيرة عمارات كثيرة متصلة، وقرى كثيرة،

---

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص85.

(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص221 تعليق رقم 27.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، ج2 ص6، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص192 ـ 193، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79 ـ 80.

(4) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص192 ـ 193.

(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61 ـ 62.

(7) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص 202.

ويقسمها من العرض جبل يعرف بجبل ويره[1]، ويؤكد شيخ الربوة على اتساع هذه الجزيرة، فذكر أنها مستطيلة جدًا، يحيط بها ألفا ميل، وقال أيضًا : «وفيها من المدن نحو عشرين مدينة»[2]. ويذكر ابن سعيد أن عمائر جزيرة القمر (جزيرة مدغشقر) متصلة بالجبل المنسوب إليهم، ويقع فيها من المدن ليرانة، وذكر ابن فاطمة أنه دخلها، وأنها للمسلمين كمدينة مقديشيو، وهي بلد حط وإقلاع، وتقع على خور كبير[3]، ويذكر ابن سباهي زاده أن جزيرة القُمَر تقع «في وسط بلاد الزنج، وليس في ذلك البحر أكبر منها»[4]، وفي موضع آخر يحدد موقعها في أقصي جنوب بلاد الزنج، وبقربها جبل القمر[5]، ومن نواحي جزيرة القمر أيضًا: جزيرة قنبلو من جزائر الزنج، عامرة بهم[6]، وبينها وبين ساحل الزنج كما يذكر المسعودي نحو من يوم أو يومين[7]. ومدينة ملاي، وتقع شرقي ليرانة، وفي غربي ملاي خور ينزل من النهر الكبير النازل من ليرانة[8]. ويـوجـد بـالقرب من جزيرة القمر جبل

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.
(2) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص202.
(3) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84. ويسميها شيخ الربوة لقمرانة (نخبة الدهر، ص202).
(4) ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص531.
(5) ابن سباهي زاده، المصدر نفسه، ص98.
(6) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص218.
(7) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.
(8) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

الندامة[1]، ومن مدن جزيرة القمر أيضًا: دهمي[2]، وبلبق، وفي شرقيها جزيرة تنسب إليها[3]. والجدير ذكره أن بلاد الزنج شديدة الحر، وكانت الشمس سببًا لحلكة سواد الزنوج، لاحتراقهم بها[4]، وهم لا يعرفون الثلج والبرد[5]، وبلادهم قليلة المياه، قليلة الأشجار[6].

وهكذا كان الساحل الشرقي لأفريقيا يضم أربع مناطق جغرافية، هي بربرة، والزنج، وسفالة، والواق واق، وإن كان الجغرافيون لا يلحقون سفالة، والواق والواق ببلاد الزنج كما رأينا.

1/ 2 السكان

أطلق العرب على الرقيق الأسود اسم الزنوج، نسبة إلى زنجبار (الساحل الشرقي لأفريقيا)، فقد جلبوهم من هناك كعبيد، ومن ثم عُمم الاسم على جميع الجنس الأسود. ويعتقد بويلز أن اسم الزنوج كان يطلق على سكان المدن الساحلية

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84 ـ 85.
(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص85. وحدد كودين موقع هذه المدينة في خليج فوهيمار Vogemare (ابن سعيد، نفسه، ص221 تعليق رقم 28). وكانت زمن شيخ الربوة مدينة جزيرة القمر العظمى (**نخبة الدهر**، ص202).
(3) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص85.
(4) القزويني، **آثار البلاد**، ص22.
(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6.
(6) القزويني، **آثار البلاد**، ص22.

الذين كانت لهم ثقافتهم وممارساتهم الدينية الخاصة، قبل وصول السادة الأشراف في أواخر القرنين السابع والثامن الهجريين، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين كان الزنج هو الاسم الذي كان السكان العرب الأفارقة المختلطون والأقدم عهدًا يميزون به أنفسهم من الأفارقة والمهاجرين العُمانيين والشحريين الأحدث عهدًا[1]. وقد أدرك المسعودي أن الزنوج لا يشكلون أمة واحدة، وإنما هم قبائل شتى وشعوب مختلفة. فذكر تحت عنوان نسب الزنوج وأنواعهم «والزنج من ولد كوش بن كنعان، ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب، فصارت الزنج من المكير والمشكر وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج»[2]. واستقر الزنوج وغيرهم من أجناس الأحابش[3]، عن يمين النيل، أسافل البحر الحبشي، ثم انفصلت الزنج دون سائر الأحباش، وقطعت الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب إلى بحر الزنوج، فسكنت في ذلك الصقع «واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة، وهي أقاصي بلاد الزنج»[4]. ومقدار هذه المساكن واتصال مقاطنهم في الطول والعرض كما يقول المسعودي نحو سبعمائة فرسخ بين أودية وجبال ورمال[5].

---

(1) جي كيركمان، المرجع نفسه، ص282.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص5، Ingrams, **Zanzibar**, p.80.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6، 13، Ingrams, **Zanzibar**, p.80.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6،
Harold D. Nelson, **Mozambique: a country study**, p.5.

(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص7.

وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة[1]، قد يصل عددها كما قال بطليموس إلى سبعمائة جزيرة «متقاربات، متصل بعضها ببعض تسمى جزيرات زنجا، مسكونة بالزنج كلها»[2]، بينما تقلص العدد عند الإدريسي إلى ثلثمائة جزيرة «بين عامرة وخالية»[3]، بينما اشتط شيخ الربوة، فقال: «ويقال: إن فيه ما يزيد على أربعة آلاف جزيرة معمورة مشهورة»[4].

ويتضح من روايات الجغرافيين والرّحالة المسلمين أن سكان بلاد الزنج كانوا أخلاطًا من الزنوج وغيرهم، فأهل مدينة الأنقوجة (أنفوجة) كانوا كما ذكر الإدريسي أخلاطًا، وسمرًا جدًا[5]، ويفهم من رواية أخرى للإدريسي أن بعض هؤلاء السكان كانوا من الهنود والصينيين[6]. وكان أهل مدينة صيونه من أرض سفالة الزنج جماعات من الهند، والزنوج، وغيرهم[7]، وكذلك الحال في مدينة ليرانه، فإن أهلها أيضًا كانوا مجتمعين من الأقطار[8]. وأهالي بلاد الزنج كما ذكر

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.
(2) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص218.
(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص9.
(4) شيخ الربوة، المصدر نفسه، ص206.
(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.
(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62، Ingrams, Zanzibar, p.89.
(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68، Harold D. Nelson, **Mozambique: a country study**, p.5.
(8) ابن سعيد، نفسه، ص84.

الإدريسي «كثيرو العَدد، قليلو العُدد»[1]، وكانت جزيرة قنبلو كما ذكر شيخ الربوة «عامرة بهم»[2]. ويرجح ترمنجهام أن زنوج ممباسا الأصليين كانوا من قبائل النييكا Nyika، ومنهم: قبائل الشانجاموي Changamwe والكيلنيديني Kilindini والتانجانا Tangana [3].

وبطبيعة الحال كان هناك المسلمون من العرب والفرس الذين وفدوا من سواحل الخليج والجزيرة العربية، واستقروا بالساحل الشرقي لأفريقيا، وكان قدومهم إليه للتجارة حينًا، أو للاستيطان حينًا آخر. إلا أنه بمضي الزمن بدأ اختلاطهم يشتد بالسكان، فتزاوجوا من نساء القبائل الإفريقية، وأقاموا مراكز تجارية عدة على الساحل، للاشتغال بتجارة الذهب والعاج والرقيق[4]، وقد احتفظ هؤلاء العرب بسماتهم المميزة إلى حد كبير[5]. ونستدل من المخطوطات التي جمعها فران Frand

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

(2) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218. وهي غير جزيرة قنبلا الموجودة على البحر اليمني، وتقابل الحصن المعروف بمخلاف حكم من ساحل اليمن، وقد وصفها الإدريسي بأنها خالية من السكان (الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص49).

(3) سنبسر ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص46 ـ 47.

(4) F.B.Pearce, Zanzibar, **The Island Metropolis of Eastern Africa,** London, 1920, p.36, Harold D. Nelson, Mozambique: a country study,pp.5,9.

(5) R. Coupland, **East Africa, and Its Invaders, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said 1856,** Oxford, 1938, p. 16.
جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان (1741 ـ 1970 م)، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2000م، ص22.

على أن العرب الذين استقروا بقنبلو قد اختلطوا بإحدى القبائل الزنجية هناك، فتكون منهم شعب الانتيموروونا Antaimorona [1]، وهم يدّعون أنهم عرب من مكة المكرمة[2]. وقد نشأ من اختلاط العرب بالسكان الأصليين في جز القمر، جنس مختلط من السامي الخالص إلى السود البنتو، والملجاشي، ويعرف بالجنس القمري[3]، وامتزج السود في جزيرة مايوت القمرية بالدم العربي، ونشأ عن هذا الاختلاط ما يعرف بالجنس الماهوري[4].

واختص الزنج كما ذكر جالينيوس بأمور عشرة، وهي: سواد اللون، وفلفلة الشعر، وفطس الأنف، وغلظ الشفة، وتقشف جلود اليدين والقدمين، ونتن الرائحة، وكثرة الطرب، وقلة المعارف وفساد الأذهان، وأكل بعضهم بعضًا، فإنهم في الحروب يأكلون لحم العدو، ومن ظفر بعدو له أكله، وأكثرهم

---

(1) جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص231، جمال زكريا قاسم، **استقرار العرب بساحل شرق إفريقية**، حوليات آداب عين شمس، العدد العاشر، 1964 ـ 1965م، ص303، وله أيضاً: **المصادر العربية لتاريخ شرق إفريقية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، 1968م، محمد عبد الله النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية ومناهضة الغرب له**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982م، ص76 ـ 77.

(2) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص184 ـ 185.

(3) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص183 ـ 185.

(4) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص184.

عراة لا لباس لهم، ولا يرى زنجي مغمومًا، فالغم لا يدور حولهم، والطرب يشملهم كلهم[1]. وقد عزا الإدريسي أسباب ذلك إلى بعض العوامل الطبيعية، كالمناخ، والموقع الجغرافي، ومنها: قلة الرطوبة البحرية، وتوالي إحراق الشمس لهم، وممرها عليهم دائمًا[2]. ولم ينفرد الزنوج بهذه الخصائص وحدهم، إنما اختص بها أيضًا جميع أهل الصُحاري من سكان الإقليم الأول من المعمور، ومنهم: الزنج، والحبشة، والنوبة، وسائر السودان[3].

وتطرق الجغرافيون والرّحالة المسلمون إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ببلاد الزنج، فوصفوا أقواتهم، وأنواعها، فقالوا عن أهل جزيرة الانجية: وأكلهم الموز، وهو ببلادهم كثير[4]، والغالب على أقوات الزنج الذرة[5]، عدا بعض مدن سفالة، ومنها: جسطة، فعندهم الذرة قليلة[6]. ومن غذاء الزنج أيضًا: نبات يقلع من الأرض يقال له الكلاري، وهو

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص98، القزويني، **آثار البلاد**، ص22 ـ 23.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص98. وانظر أيضاً: القزويني، **آثار البلاد**، ص22.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص98.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، الأوسي السيرافي، المصدر نفسه، ص190، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79.

يشبه القلقاس الذي يكون بالشام ومصر، ومنه أيضًا: العسل واللحم، وفي جزائرهم النارجيل، ويعم أكله سائر الزنج[1]. ويذكر شيخ الربوة أن عيش أهل جزر الزنج الحمص، وهو عندهم كثير ولونه أسود[2]، ويزرعون بها أيضًا الأرز[3]، وكان قصب السكر يزرع بسفالة الزنج[4]، وبجزيرة الانجية[5]. ومن أكلهم أيضًا لحم الفيل، فكانوا إذا صادوه وأكلوا لحمه يلقون بالعاج في مكان بعيد، لأن العاج والعظام عندهم بالسوية[6]، ونستدل من رواية للإدريسي أن أهل مدينة ملندة كانوا يصطادون من البحر أصنافًا من الحيتان، ويأكلونها[7]، أما أهل جسطة فكانوا يأكلون السلاحف البحرية، ولحوم الصدف بكثرة[8].

ووصف المسعودي أيضًا ملابس الزنج، فقال إن هؤلاء

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص14 . وانظر أيضاً: شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص218، جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، ص31.

(2) شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ص218.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(4) الأوسي السيرافي، المصدر نفسه، ص190.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

(6) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص7، المغيري، **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، ص218.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

(8) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص171، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79.

القوم كانوا يلبسون جلود النمور الحمر[1]، غير أن بعض رجال الزنج، ومنهم: أهالي مدينة دغوطة بسفالة، وقرية دغرغه من أرض الواق واق، كانوا عراة لا يستترون بشيء من الثياب، ولكنهم كانوا يستترون «بأيديهم عند التقائهم الداخلين إليهم من سائر الجزائر المجاورة لهم»[2]، أما نساء دغوطة، فكن محجبات، ولا يدخلن الأسواق ولا المحافل، لأن الرجال بها عراة «فهن لذلك يلزمن أمكنتهن اللاتي يأوين إليها»[3].

وكانت سقوف بيوت الزنج من عظام الحوت[4]، وفي هذا قرينة أخرى على كثرة اصطيادهم للحوت، والاستفادة منه في وجوه أخرى غير الطعام. ونستدل من نص مهم للأوسي السيرافي على صغر بيوت الزنج، وأنها لم يكن بها مراحيض لقضاء الحاجة، والاستحمام، فكانوا يخرجون إلى البحر، لقضاء الحاجة والطهارة[5].

وللزنج عادات عجيبة كثيرة،[6]، منها: أكل العدو إذا ظُفر به، وقيل: إنها عادة بعضهم، وليس عادة الكل[7]، ومنها

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص5، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.
(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79 ـ 80.
(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79 ـ 80.
(4) القزويني، **آثار البلاد**، ص22.
(5) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص171.
(6) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6، القزويني، **آثار البلاد**، ص23.
(7) القزويني، **آثار البلاد**، ص23.

اتخاذهم نبيذًا مصنوعًا من شجر النارجيل، مَنْ شربها طُمس عقله، وذكر القزويني أنهم كانوا «يسقون منها منْ أرادوا الكيد به»[1]، ومن عاداتهم أيضًا: التحلّي بالحديد كما يتحلى غيرهم بالذهب والفضة، مع وفرة الذهب بمعظم بلاد الزنج[2]، وقد فطن القزويني إلى سبب ذلك، فقال إنهم: «يزعمون أن الحديد ينفر الشيطان، ويشجع لابسه»[3]. ومنها أيضًا: قتالهم خصوصًا زنج صيّونة على البقر، كما تقاتل النوبة على الإبل المهرية[4]، نسبة إلى قبيلة مهرة العربية بأرض الشحر [5]، وهي بقر كالخيل بسروج ولُجم[6]، والسبب في ذلك أن الخيل، والبغال، والإبل لا تعيش عندهم، ولا يعرفونها[7]، ولذلك فهم يتصرفون كما

(1) القزويني، **آثار البلاد**، ص23.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص13, الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68، القزويني، **آثار البلاد**، ص23، جمال زكريا قاسم، المرجع نفسه، ص32.

(3) القزويني، **آثار البلاد**، ص23.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص13، القزويني، **آثار البلاد**، ص23، ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

(5) الاصطخري، **مسالك الممالك**، ص25، البكري، **جزيرة العرب**، ص34، ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، ص102، وانظر أيضا: ص220 تعليق 23. ويذكر الإدريسي أن الإبل المنتجة عند عرب مهرة «لا يعدل بها شيء في سرعة جريها» (**نزهة المشتاق**، ج1 ص154).

(6) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص13.

(7) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6، ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، ص83، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص388 ـ 389.

يذكر الإدريسي «بأنفسهم، وينقلون أمتعتهم على رؤوسهم، وعلى ظهورهم إلى مدينتي منبسة وملندة، فيبيعون هناك ويشترون»[1]، ويفعل ذلك أيضًا أهالي مدينة جسطة بجنوب بلاد سفالة، فلم يكن لديهم مراكب، ولا دواب يتصرفون عليها، فكانوا «يتصرفون بأنفسهم، ويستخدم بعضهم بعضًا»[2]. ومن عجائب بلاد الزنج أيضًا أن من دخلها فلا بد أن يجرب[3]، حتى يفارقها[4].

وكان للعرب مكانة كبيرة ببلاد الزنج، بعد أن آل إليهم حكم معظم إمارات الساحل، وذكر الإدريسي بصدد ذلك أن للعرب «في قلوب الزنج رعب عظيم ومهابة، فلذلك متى عاينوا رجلاً من العرب تاجرًا أو مسافرًا سجدوا له وعظموا شأنه»[5].

وامتاز المجتمع الزنجي بروح التعاون والتعاضد بين أفراده في الأعمال التجارية، وغيرها، ونستدل من نص قيم للإدريسي على ذلك، فقد ذكر أن أهل جسطة بسفالة لم يكن لديهم مراكب ولا دواب ينقلون عليها بضائعهم، فكانوا يتصرفون بأنفسهم، ويستخدم بعضهم بعضًا[6].

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79.

(3) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 146، القزويني، نفسه، ص23.

(4) القزويني، نفسه، ص23.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61. وانظر أيضاً: الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص51 ـ 52.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص79.

وكان الزنج الكفار في مدينة صَيّونة يعبدون الأوثان والحجارة، ويصبون عليها دهن السمك الكبار، ويسجدون لها، وهم ثابتون على ذلك[1]، وهم يشتركون في هذا الاعتقاد الفاسد كما ذكر الإدريسي مع أهالي مدينة بروة آخر بلاد الكفرة الذين لا يعتقدون شيئًا[2]. أما أهالي مدينة البانس فكانوا يعبدون الرجيم، وهو «طبل كبير كالبتية، مجلد من وجه واحد، ويربطون في ذلك الجلد شريطًا يجذبونه به، فيكون له صوت هائل يسمع على ثلاثة أميال أو نحوها»[3]. وفي جزيرة قنبلو كما ذكر المسعودي خلايق من المسلمين، بين الكفار من الزنج[4]، ويرجح توماس أرنولد أن تحولهم إلى الإسلام كان قد تم على يد دعاة من بلاد العرب في وقت مبكر[5]. وكان أغلب أهالي مدينة الأنقوجة من المسلمين[6]. ويستفاد من نص قيم للأوسي السيرافي أن أهل سفالة وملكهم كانوا على دين الإسلام، وأنهم

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص58.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1، ص78، 84، ج2 ص14، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص43.

(5) توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمه إلى العربية وعلق عليه الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، 1970م، ص390، حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص185.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

اعتنقوه منذ بدايات القرن الرابع الهجري (310 ـ 315هـ/ 922 ـ 927م)[1]. ولكثرة تردد المسعودي إلى بلاد الزنج وإقامته بينهم مدة، فقد أدرك بعض خصائصهم، فقال إنهم كانوا أولي فصاحة في ألسنتهم، وكان فيهم خطباء بلغتهم، فكان الرجل الزاهد منهم يقف «فيخطب على الخلق الكثير منهم، ويرغّبهم في القرب من بارئهم، ويبعثهم على طاعته، ويرهّبهم من عقابه وصولته، ويذكّرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم»[2].

وكان السحر مشهورًا ببلاد الزنج، ومارسه بعض الأهالي، لاستئناس الحيوانات المفترسة كالسباع والنمور، ودفع خطرها، إلا لمن أرادوا ضره، فالإدريسي يذكر أن أهالي مدينة ملندة يزعمون أنهم يسحرون الحيوان الضار ببلادهم «حتى لا يضر إلا لمن أرادوا ضره والنقمة منه، وأن السباع والنمور لا تعدو عليهم بما يسحرونها به»[3]. ونستدل من رواية لابن سعيد على شهرة مدينة ملندة في ممارسة السحر، فقال: «وفي هذه المدينة سحرة الزنج»[4]. وكانوا يطلقون على الساحر بلغتهم اسم المقنقا[5].

---

(1) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص91 ـ 93، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص388، توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص379.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية**، ص42.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

(4) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

3/1 سلع بلاد الزنج

اشتهرت بلاد الزنج بسلع كثيرة متنوعة. فقد كانت الفيلة في بلادهم كثيرة للغاية، فهي لا تنتج ولا تتوالد كما يذكر المسعودي إلا بأرض الزنج والهند[1]، والزنج لا تستعمل منها شيئًا في حروب ولا في العمل، بل ينتفعون كما يذكر القزويني بعظامها، وجلودها، ولحومها[2]، فكانوا يصطادونها ويقتلونها، لأخذ أنيابها (العاج)[3]، وكانوا يصنعون من جلودها الدّرق[4]، ومن سلعهم أيضًا جلود النمور الحمر ذات الجودة العالية[5]، وكان أهل ملندة ومنبسة محترفين بالصيد، فكانوا يصيدون في البر النمور والذئاب[6]، وهي أكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها للسروج[7]، ومن أرضهم يحمل الذبل من ظهور السلاحف، وهو الذي تتخذ منه الأمشاط كالقرون[8].

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص10، 12.

(2) القزويني، نفسه، ص23.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص7. وانظر أيضاً: القزويني، نفسه، ص23- 24.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص10.

(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص5.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

(7) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص5.

(8) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص5، الأوسي السيرافي، المصدر نفسه، ص193، المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص243 ـ 244.

ومن سلعهم أيضًا بعض المواد العطرية، وأهمها العنبر، وذلك أن أكثره كان يقع إلى جزائر بلاد الزنج وساحلها، خصوصًا جزيرة قنبلو، وأجود أنواعه المدور الأزرق، ونوع آخر يبلعه الحوت المعروف بالأوال، فكان الزنوج يشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه[1]. وبلاد الزنج كثيرة الذهب[2]، واشتهرت جزيرة قنبلو، وسفالة الزنج بإنتاجه، وكان في غاية في الحمرة[3]، وكان ذهب سفالة الموجود بمعظم مدنها، كجسطة، ودغوطة، لا يعدله شيء في الطيب والكثرة، والعظم، وهو كبير المقدار يشف على غيره بالكبر، لأنه يوجد في التبرة منه مثقال ومثقالان وأكثر[4]، ويعود الفضل للإدريسي في وصف طريقة استخراجه من مناجمه، فقال: «وهم يسبكونه في البواذق بنار أرواث البقر الجاف، ولا يحتاجون إلى جمع بزيبق ولا غيره كما يفعل أهل المغرب»[5].

واشتهرت بلاد الزنج أيضًا بإنتاج الحديد، فهو يوجد كما ذكر الإدريسي في ملندة، وكان ابن سعيد أكثر تحديدًا، فذكر

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص117، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص32، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص193.

(2) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص98، المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6.

(3) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص388.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68، 79 ـ 80، Harold D. Nelson, **Mozambique: a country study**, p.9.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68.

أنه يوجد في جبل الحراني بشرقي ملندة، ومن غرائب هذا الجبل أن ما في البر منه فيه معدن حديد يعم بلاد الزنج، ويسافر به إلى غيرها[1]، وما في البحر منه فيه حجر المغناطيس الجاذب للحديد[2]، ويوجد الحديد بكثرة أيضًا في مدن بلاد سفالة، كجنطمة، ودندمة، وجبالها، وهو يفوق حديد بلاد الهند، فهو أكثر منه، وأطيب، وأرطب، ويذكر الإدريسي أن أهل جزائر الزّانج وغيرهم من ساكني الجزر المحيطة بهم يدخلون إليهم، ويخرجونه من عندهم إلى سائر بلاد الهند وجزائرها، فيبيعونه بأثمان باهظة[3]. وكان أهل ملندة كما ذكر الإدريسي محترفين بالصيد، فكانوا يصطادون من البحر ضروبًا من الحيتان، فيملحونها، ويتاجرون بها[4]. وببعض جزائر بحر الزنج مغاص اللؤلؤ الجيد[5]، واشتهرت جزيرة قنبلو بإنتاج البهار، وبعض أنواع الخشب الثمينة، ومنها: خشب الساج والأبنوس، والصندل[6].

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83، ابن سباهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ص603.

(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83، Ingrams, **Zanzibar**, p.83.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص67، آدم متز، **الحضارة الإسلامية**، ج2 ص369.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61، شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218- 219.

(6) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218.

1/ 4 الأحوال السياسية ونظم الحكم

واتخذ الزنج هذه المنطقة الشاسعة دار مملكة، ومَلكوا عليهم ملكًا، وكان لقبه وقليمي «وهو سمة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار»[1]. ويذكر الإدريسي أن ملوك الزنج كانوا يتوارثون الأسماء، فإذا «صار المُلك لمَلكٍ منهم تسمى باسم الملك الذي قبله، وأسماؤهم متوارثة بينهم لا ينتقلون عنها، وقد صار ذلك بينهم سيرة يتبعونها»[2]. وتفسير لقب ملك الزنج يعني ابن الرب «لأنه اختاره لملكهم والعدل فيهم، فمتى جار الملك عليهم في حكمه، وحاد عن الحق، قتلوه وحرموا عقبه المُلك»[3]. وهكذا يتضح لنا أن ملك الزنج كان يحكمهم بالتفويض الإلهي، ويتضح منه أيضًا أنهم لم يقدسوا هذا الحاكم، باعتباره ابن الرب، بل كانوا يثورون عليه، إن حاد عن الحق، ولم يقم العدل فيهم. ويقطعون المُلك عن نسله. ويتضح من هذه الرواية أيضًا أن نظام الملك ببلاد الزنج كان وراثيًا، وقد أكد المسعودي في رواية أخرى على ذلك، فذكر أن جزيرة قنبلو «يتوارثها ملوك من المسلمين»[4].

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6، وانظر أيضاً: نفسه، ج1 ص124، 128، القزويني، **آثار البلاد**، ص23.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص183 ـ 184. وهذه العادة موجودة عند ملوك الهنود، والنوبة، وغانة، والفرس، والروم، والصين، والترك، وغيرهم (الإدريسي، المصدر نفسه، ص183 ـ 185).

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، القزويني، **آثار البلاد**، ص23، الغنيمي، **الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا**، ص154.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.

ونستدل من رواية قيمة للمسعودي أن ملوك الزنج كانوا يسوسون رعيتهم بالأعراف، والتقاليد الموروثة، فلم يكن للزنج شريعة يرجعون إليها «بل رسوم لملوكهم، وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم»[1]. ونستدل من رواية مهمة للإدريسي أن ملوك الزنج كغيرهم من الحبشة، والنوبة، وسائر السودان، كانوا يتعلمون كيفية سياسة رعاياهم، بالاحتكاك بأهل العلم الذين يفدون عليهم من المناطق الأخرى الأكثر رقيًا، فقال: : «وإنما يكتسب ملوكها السياسة والعدل بالتعليم من أقوام يصلون إليهم من أهل الإقليم الرابع أو الثالث ممن قرأ السير وأخبار الملوك وقصصها»[2]. ويبدأ الإقليم الثالث عند الإدريسي من البحر الكبير المحيط بالجهة الغربية من الكرة الأرضية، ويضم شمال أفريقيا «بلاد المغرب»، ومصر، وبعض بلاد الشام، وجزر الخليج، وبلدانه العربية والفارسية، وبلاد الهند، والترك، والصين، وغيرها[3]، أما أهل الإقليم الرابع فهم سكان المغرب الأقصى، والأندلس، وأهل جزائر البحر المتوسط، وبعض أهل بلاد الشام، والعراق، وبلاد الروم، وغيرهم[4]. وكان الزنج كما ذكر المسعودي «يسمون الخالق عز وجل ملكنجلو، وتفسيره الرب الكبير»[5].

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، القزويني، **آثار البلاد**، ص23، النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية**، ص42.
(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص98.
(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص217 ـ 521.
(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م2 ص525- 722.
(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.

وقد اتخذ ملك الزنج مدينة ممبسة دار مملكة، وسكن له ولأجناده، وكان هؤلاء الأجناد يمشون رجالة، لعدم وجود الدواب ببلادهم[1]، ويفهم من رواية للإدريسي أن أهالي مدينة بذونة كانوا في طاعة الزنج[2]. وكان لجزيرة الانجية حاكم، نعته الإدريسي بصاحب الجزيرة[3]، وكان لجزيرة قنبلو ملك أيضًا[4]، أما ملك السفاليين[5]، فكان ينزل بمدينة صيونه[6]، وكان له «عساكر رجّالة لا خيل عندهم»[7]. ونستدل من رواية مهمة لابن سعيد نقلاً عن الرّحالة ابن فاطمة أن مدينة ليرانة من جزيرة القمر لم يكن يحكمها ملك، بل جماعة من أشياخها «وكانوا يدارون صاحب مدينة ملاي التي في شرقيها»[8]، ويضح من رواية أخرى لابن سعيد أن ملك ملاي قد يكون سلطانًا مستوليًا على جميع جزيرة القمر، أو أكثرها، ويرجع

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59 ـ 60، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83، ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص46، Ingrams, **Zanzibar**, p.82.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(4) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص194.

(5) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص88 ـ 93، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص68.

(8) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

السبب في ذلك كما ألمح ابن سعيد إلى بُعد المسافات بين نواحي الجزيرة «وتشتت الآراء والفرق»(1).

ثانيًا: علاقات عُمان مع بلاد الزنج حتى نهاية القرن الخامس الهجري

أكدت الروايات على أن العُمانيين قد ساهموا بنصيب كبير في الاتصال بالشرق الإفريقي؛ فكان موقع بلادهم الذي تحده الصحراء من الغرب، والمحيط الهندي من الجنوب والشرق، يوجههم إلى الملاحة والتجارة، باعتبارها الوسيلة الرئيسية لحياتهم، وقد ظهرت مهارة العُمانيين في صناعة السفن والملاحة الشراعية، وكان لهم دور كبير في تنمية التجارة العربية في مناطق المحيط الهندي، وفي الهجرة والاستقرار على سواحله الإفريقية(2).

1/2 العوامل المؤثرة في ازدهار هذه العلاقات

وفي الواقع إن علاقات عُمان بشرق أفريقيا قد ارتبطت بتاريخ التجارة بينهما منذ عصر مبكر(3)، وقد ساعد عليها عوامل كثيرة، نذكر منها: عوامل الجوار، ومعرفة العُمانيين لأسرار الرياح الموسمية في المحيط الهندي، ومواسم هبوبها

---

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84 .ويذكر شيخ الربوة «ومدينة الملك لقمرانة» (**نخبة الدهر**، ص202).

(2) جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية**، ص88.

(3) جي كيركمان، **التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، م5 ص272.

بدقة، وكثرة عدد الجزر بين الساحلين العُماني والإفريقي[1]، وكان موقع عُمان الجغرافي الذي أتاح لها الإشراف على الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي، من أبرز العوامل التي هيأت لها مكانتها العظيمة في مجال النشاط التجاري؛ فكانت من أكبر المرافئ الإسلامية على المحيط الهندي، وقاعدة التجارة البحرية مع الهند والصين وإفريقية، ومركز استقطاب للتجارة العالمية، وقد هيأ لها هذا الموقع أيضًا أن تكون بوابة الخليج إلى ساحل شرق أفريقيا، فقام العُمانيون بنقل معظم تجارته إلى أسواقهم، ليعاد تصديرها من جديد[2]. وساعد عليها أيضًا: شهرة سواحل شرق أفريقيا بالسلع القيمة التي تدر أرباحًا كبيرة، لذلك غامر العُمانيون لجلبها، وتحملوا الصعاب والمخاطر من أجل الحصول عليها[3]، وكان ظهور الإسلام عاملاً مهمًا في علاقة العُمانيين بساحل شرق أفريقيا، فقد تطلعوا لنشره هناك عن طريق تجارتهم التي ازدهرت حينئذ[4]. ونضيف إلى ما سبق عامل مهم وراء خروج العُمانيين إلى بلاد الزنج للتجارة، وهو العامل الأخلاقي، فقد سعى أهالي سفالة وجزيرة الأنجية إلى استقطاب التجار الغرباء إلى نواحيهم، بما بذلوه لهم من

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص 87 ـ 88.

(2) **عمان في التاريخ**، ص181 ـ 182.

(3) سبنسر ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص35 ـ 37.

(4) جمال زكريا قاسم، **عمان وشرق إفريقيا**، حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، 1980م، م3 ص81، **عمان في التاريخ**، ص182.

العدل، والتسامح، وحُسن المعاشرة والمعاملة، والإعفاء من الضرائب والمكوس[1].

2/2 هجرة العُمانيين إلى بلاد الزنج واستقرارهم بها

ونتيجة لهذه العلاقات الوطيدة بين عُمان والساحل الشرقي لأفريقيا، فقد نزح بعض العُمانيين إلى هناك، واتخذوا مدنه وجزره مستقرًا لهم، وزاولوا بها مختلف نشاطاتهم التي اعتادوها هناك منذ القدم. وتفيد الروايات أن بعض بني الجلندى ملوك عُمان وأنصارهم، كانوا في طليعة الجماعات العُمانية التي هاجرت إلى شرق أفريقيا، واتخذته مهجرًا لها في عصر صدر الإسلام، بسبب المنازعات السياسية مع دولة الخليفة عبد الملك بن مروان[2]؛ ففي أعقاب هزيمة سليمان وسعيد الجلنديين ملكي عُمان أمام جيوش الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق زمن الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 79هـ/ 698م، وكان قد تطلع إلى استعادة سلطان الأمويين على عُمان، اضطر أبناء الجلندى وبعض أنصارهم الأزد ومَنْ خرج معهما من قومهما إلى الهجرة نحو ساحل شرق أفريقيا سنة 80هـ/ 799م، فلحقا «ببلد من بلدان الزنج حتى ماتا

(1) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص87 ـ 93، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(2) جمال زكريا قاسم، **الجذور التاريخية**، ص68،

Zoe March, East Africa, Cambridge, 1961, p.5, Ingrams, Zanzibar Its History and Its people, pp.73- 74, Pearce, **Zanzibar**, The Island Metropolis of Eastern Africa, London, 1920, p. 45.

هناك»[1]. وكانت هجرتهم إلى إحدى جزر أرخبيل لامو Lamu، وقد اختلف الباحثون حول مكان استقرارهم هناك، فلم يحددوه على وجه الدقة، غير أن بعضهم رجح أن يكونوا استقروا في جزيرة مافيا Mafia[2]، بينما ذكر البعض الآخر، ومنهم ريتشارد رويش Richrd Reusch، أنهم هاجروا إلى جزيرة باتي Pate[3]، ومن المرجح أنهم نزلوا بجزيرة باتي، حسب كتاب «خبر لامو»، فقد أشار إلى استيطان سعيد بن الجلندى في بته «بات»[4]، وأن سبب نزوله بها، إنما يعود

---

(1) الأزكوي، **تاريخ عمان كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تحقيق عبد المجيد حبيب القيسي، سلطنة عمان، 1979م، ص42، المعولي الأفوي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، دراسة وتحقيق الدكتور سعيد بن محمد ابن سعيد الهاشمي، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2007م، ص87، ابن رزيق، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، تحقيق عبد المنعم عامر وزميله، الطبعة الخامسة، وزارة التراث القومي والثقافة، 2001م، ص189، السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الاستقامة، مسقط، 1997م، ج1 ص72 ـ 74، ولكنسون، بنو الجلندي في عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1982م، ص12، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، 1999م، ص120 ـ 121، Pearce, **Zanzibar**, p. 45.

(2) جمال زكريا قاسم، **دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا**، ص27.

(3) Reush (Richard), **History of East Africa**, London, 1954. p. Ingrams, Zanzibar, p.74.

(4) شيبو فرح بن حميد الباقري اللاموي، خبر لامو، ترجمة ونشر هتشنس بانتو، جوهانسبرج، 1938م، ص9، حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا**، ص397.

إلى وصول جماعة عربية قبله، واستقرارهم هناك[1]، وقد أخذ كثير من الباحثين بالرأي الأخير، ودليلهم على ذلك أن بيت سليمان الجلنداني ظل يحكم باتي قرابة خمسة قرون[2].

3/2 الطريق التجاري بين عُمان وشرق أفريقيا في القرنين الرابع والخامس للهجرة

أشار الجغرافيون والرّحالة المسلمون الأوائل إلى الطريق التجاري بين عُمان وشرق أفريقيا، غير أنهم لم يفصلوا كثيرًا في وصف مراحله، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى وجود طريق بحري بين عُمان وبلاد الزنج[3]، غير أن انتعاش النشاط التجاري لعُمان مع شرق أفريقيا منذ أوائل القرن الرابع الهجري، وما بعده، دفع الجغرافيين المسلمين، ومنهم: المسعودي، والسيرافي، والإدريسي إلى الكتابة بصورة تفصيلية عن هذا الطريق ومحطاته[4]. وكانت صُحار منطلق التجارة العُمانية مع

---

(1) خولة شاكر الدجيلي، **العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الإفريقي الشرقي**، بغداد، 1980م، ص77، عمان في التاريخ، ص183،

(2) Reush, **History of East Africa**, p. 74,
حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا**، ص396-397، **عمان في التاريخ**، ص183، رجب محمد عبد الحليم، **العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام**، ص204، سعيد بن سالم النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرن الأول والسابع الهجريين (دراسة سياسية وحضارية)**، منشورات النادي الثقافي بمسقط، سلطنة عمان، دار الفرقد، سوريا، 2011م، ص156 ـ 157، 183 ـ 185.

(3) ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، طبعة ليدن، 1819م، ص86، ابن الفقيه الهمداني، **مختصر كتاب البلدان**، ص12.

(4) **عمان في التاريخ**، ص184.

شرق أفريقيا، فكانت المراكب تقلع منها إلى مسقط، فهي «مجمع المراكب التي تخرج من صُحار»[1]، ثم تمر بموانئ ظفار، ومرباط[2]، وميناء عدن باليمن، ثم تتجه إلى جزيرة سقطرى[3]، وفي ذلك يذكر الهمداني «فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج، أخذ كأنه يريد عُمان وجزيرة سقطرى تماشيه عن يمينه حتى تنقطع، ثم التوى بها من ناحية بحر الزنج»[4]. ومن سقطرى إلى سائر سواحل بحر الزنج وجزائره، ومنها: ساحل بربرة، وجزائر أرخبيل لامو، ثم تتجه المراكب بعدها إلى مالندي، وممبسة، وكلوة وهي من المراكز التجارية المهمة، ومحطات لتوقف المراكب العُمانية، لشراء البضائع وبيعها[5]. ونستدل من الروايات الكثيرة التي يزخر بها كتابا

---

(1) البكري، **جزيرة العرب**، ص34- 35.

(2) وهي من مدن الشحر، وتقع على جون عظيم يدخل إلى الشمال، وفي شرقيها على الجون ظفار المحدثة، وكانت في زمن ابن سعيد قاعدة بلاد الشحر، وفرضتها المشهورة (ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص102).

(3) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص93، البكري، جزيرة العرب، ص35. وهي جزيرة واسعة، جليلة القدر، بهية الأرض، نامية الشجر، وأكثر نباتها شجر الصبر، وأكثر أهلها نصارى، وكان الإسكندر الأكبر قد نقل أهلها عنها، واستبدلهم باليونانيين الذين اعتنقوا المسيحية عند ظهور دين المسيح، وبقايا ذرياتهم بها إلى زمن الإدريسي (المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص16، الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص93-94، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص51، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص102).

(4) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص93.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59، جمال زكريا قاسم، **استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا**، ص292 وما بعدها، **عمان في التاريخ**، ص186.

مروج الذهب، والصحيح من أخبار البحار وعجائبها، على أن جزيرة قنبلو كانت إحدى المحطات المهمة للمراكب العُمانية ببلاد الزنج[1]، وقد حدد المسعودي نقلاً عن البحريين العُمانيين والسيرافيين الذين ترددوا إليها كثيرًا للتجارة، المسافة بينها وبين صُحار بنحو من خمسمائة فرسخ[2]، أما المرحلة الأخيرة للمراكب العُمانية في ساحل بحر الزنج، فكانت نحو بلاد سفالة[3]، وينفرد الأوسي السيرافي بتحديد المسافة بين قنبلو وبلاد سفالة، فذكر «فأما الموضع الذي تمضي إليه المركب فهو بعد قنبلة بنحو ألف فرسخ، وأقله ثمان مئة، وهو مسيرة اثنين وأربعين زامًا ونحوها»[4].

ونستدل من رواية للمسعودي على أن سفالة كانت آخر

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، ج2 ص6، السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار**، ص87 ـ 93، 194. وراجع أيضاً: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص56.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص78.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6.

(4) السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار**، ص194 .وردت زام عند ابن ماجد في مواضع كثيرة من الأرجوزة السفالية التي تقتضي معرفة المجاري والقياسات بالمحيط الهندي، ونواحي شرق إفريقيا (أحمد بن ماجد، **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكي، ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص18، 27، 32 ـ 33) .والزام وحدة قياس تعادل مسيرة 3 ساعات من الطريق البحري (أحمد بن ماجد، المصدر نفسه، ص 182، أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، الكويت، 1979م، ص30).

محطة للسفن العُمانية[1]. ويبدو أن العُمانيين لم يكابدوا مشقة السفر إلى بلاد الواق واق أقاصي بحر الزنج[2]، لأنهم لم يجدوا فيها من البضائع التي تغريهم بالسفر إليها. ويؤكد البيروني ذلك، فقال: «سفالة الزنج لا يتجاوزها مركب من عظم المخاطرة فيه»[3]، فكان الزنج يقومون بجلب تجارة الداخل التي يعرفون دروبها ومسالكها إلى السواحل، فتنقلها المراكب العُمانية إلى عُمان[4]، لتباع في أسواقها، سالكة الطريق نفسها التي مرت عليها[5]، وكان معدل ما تستغرقه الرحلة ذهابًا وإيابًا ومكوثًا ما بين ستة أشهر إلى ثمانية[6].

وكان نواخذة بحر الزنج من السيرافيين والعُمانيين يواجهون كثيرًا من الأخطار والأهوال عند سفرهم إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، وتعكس روايات الجغرافيين شدة تلك الأخطار[7]،

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، سليمان إبراهيم العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي**، ص201.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6.

(3) البيروني، **التفهيم لأوائل صناعة التنجيم**، حققه وترجمه إلى الإنجليزية رمزي رايت، لندن، 1934م، ص 122.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص 61، ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص39، شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص84 ـ 85.

(5) **عمان في التاريخ**، ص187.

(6) **عمان وتاريخها البحري**، سلطنة عمان، 1979م، ص92 ـ 94.

(7) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، 87-94، 107، 122- 123، 140، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م ص 94- 95.

ويقرر المسعودي وهو شاهد عيان أن أهوال بحر الزنج أشد من أهوال غيره من البحار، فيذكر أنه ركب عدة من البحار كبحر الصين، والروم، والخزر، والقلزم، واليمن، وأصابه فيها من الأهوال ما لا يحصى كثرة، فلم يشاهد أهول من بحر الزنج[1]. وقد أدرك البحارة العُمانيون خطورة أمواج هذا البحر، وأخبروا عنها، وشبهوه بالجبال الشواهق في ارتفاعه، وزعموا أنه موج مجنون، وكانوا يرتجزون، ويقولون[2]:

بربري وجفوني ... وموجه المجنون

جفوني وبربري ... وموجها كم ترى

ونتج من تلك الأخطار، تحطم بعض المراكب العُمانية، وغرق بحارتها، ومنها منطقة جبل الندامة حيث بحر الخراب، أو بحر سهيل[3]، ونتج منها أيضًا جنوح بعض المراكب إلى مناطق قد يتعرض فيها البحارة للموت، ومنها: نواحٍ ببلاد الواق واق بها صنف من الزنج يأكلون الناس، وهي كما ذكر الأوسي السيرافي على مسافة ألف وخمسمائة فرسخ من جزيرة

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص85، متز، ج2 ص369،
Ingrams, **Zanzibar**, p.80.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84، السيد عبد العزيز سالم، **الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الإسلامي**، ق1 ص161.

(3) الأوسي السيرافي: **الصحيح من أخبار البحار**، ص87، 90، 93 ـ 94، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84 ـ 85.

قنبلو[1]. ومن الأخطار التي تواجهه المراكب في بحر الزنج، نوع من السمك الضخم يسمى بافال (الغيدة)، يخاف منه على السفن، فهو بكسر المراكب مولع[2]، والمراكب تفزع منه في الليل والنهار، فكان البحارة تضرب له بالدبادب والخشب، فتنفر ويخرج لهم عن الطريق[3].

وقد تمكن الملاحون المهرة من أزد عُمان[4]، بفضل معرفتهم بأسرار الرياح الموسمية في المحيط الهندي، ومواسم هبوبها بدقة، وحركة المد والجزر فيه[5]، أن يتفادوا خطورة

---

(1) الأوسي السيرافي: **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص194. وانظر أيضاً: المصدر نفسه، ص88.

(2) الأوسي السيرافي: **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص57 ـ 58. وانظر أيضاً: نفسه، ص94.

(3) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص61، المسعودي، **مروج**، ج1 ص85، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص95، أحمد الطوخي، **شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين**، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، 1990م، ص86 .وقد خصص الدكتور العسكري مبحثاً عن أخطار الطرق الملاحية (التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص205 -212)، ولكنه أغفل الحديث عن تلك الأخطار التي واجهها بحارة الخليج أمام السواحل الشرقية لإفريقيا.

(4) اشتهر أزد عمان بمهارتهم في الملاحة، وكانوا يتوارثونها جيلاً بعد آخر، يتجلى في قول أحد الشعراء:

إذا أزدية ولدت غلاماً   فبشرها بملاح مجيد

(المسعودي، **مروج الذهب**، ج3 ص228، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج1 ص199 ـ 200).

(5) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص88، 91، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص92 ـ 93.

الرياح، والدوامات المائية، ويتجنبوا عبثها بمراكبهم، وكان لهم في ذلك كما ذكر المسعودي دلائل وعلامات يعملون بها إبان هَيَجَان البحر المحيط «وأحوال ركوده وثورانه»[1]، وقد أكد الإدريسي خبرة العُمانيين ومهارتهم في التعامل مع بحر الزنج وأهواله، فقال: إن «أكثر قعر هذا البحر أقاصير تتلف عليها المراكب، فلا يركبه إلا الربانيون العالمون بأقاصيره، المختبرون لطرقه ومجاريه»[2]. وتعكس روايات ابن سعيد قدرتهم على تفادي الأمواج العاتية عند جبال بلاد الزنج، ومنها: جبل عجرد، وجبل الملطم، بفضل معرفتهم بحركة الرياح هناك[3]. ونستدل من رواية للأوسي السيرافي على خبرة العُمانيين في التعامل مع بحر الزنج وأهواله، وقدرتهم على العودة إلى بلادهم بغالبية سفنهم سالمين، ففي سنة 332 هـ/ 945 م، دخلوا إلى بلاد الزنج بستة عشر مركبًا، عاد منها خمسة عشر مركبًا سليمًا، وانكسر واحد منها فقط[4].

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص88.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص10.

(3) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص83 ـ 84.

(4) الأوسي السيرافي: **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص93 ـ 94، علي بن حسن بن خميس اللواتي، **تاريخ عمان الحضاري منذ القرن الرابع حتى السادس للهجرة، دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية**، مجلس النشر العلمي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2011م، ص141.

2/ 4 السلع التجارية المتبادلة بين عُمان وبلاد الزنج

أشارت المصادر الجغرافية إلى عدم وجود قوى ملاحية إفريقية تشارك في تجارة المحيط الهندي[1]، ومع ذلك فقد استمدت سواحل شرق أفريقيا حيويتها ونشاطها وازدهارها بمشاركتها في حركة التجارة العالمية، باعتبارها المكان الذي تخرج منه المنتجات التي تشهد إقبالاً دوليًا شديدًا[2]. ولقد احتكر العُمانيون التجارة مع هذه السواحل تقريبًا، فحملوا إليها منتجاتهم، ومنتجات عرب الجزيرة، وفارس، والعراق، وحملوا إليها أيضًا منتجات الصين والهند، وعن طريق عُمان كانت كثير من سلع بلاد الزنج المتنوعة تأتي إلى العالم الإسلامي، ويعاد تصديرها أيضًا إلى بلاد الهند والصين[3]. وكانت المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها عُمان من أهم صادراتها إلى المناطق التي يجري المتاجرة معها، ومنها: التمور، فهي كثيرة النخل، وضروب الفاكهة، كالموز، والرمان، والتين، والعنب، والسفرجل، وكثير من الثمار العجيبة، والحنطة والشعير والزعفران واللبان والرياحين والورود[4]، ومن المؤكد أن التجار العُمانيين حملوا هذه

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص60 ـ 61.

(2) شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص83.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص7.

(4) البكري، **جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك**، ص37، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص155 ـ 158، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4 ص150، شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص287.

المنتجات معهم في رحلتهم إلى شرق أفريقيا، وحملت السفن العُمانية إلى شرق أفريقيا أيضًا الشعير العراقي، والزيت الشامي، وغيرهما، وحملت إليها أيضًا بعض المواد المستوردة من الهند والصين، مثل المنسوجات، والمصنوعات الحديدية والنحاسية والزجاجية[1]. ونستدل من نص مهم للإدريسي على أن التمر كان من أهم المنتجات الزراعية التي حملها التجار العُمانيون إلى بلاد الزنج في العصر موضوع الدراسة، ونستدل من هذا النص أيضًا أن الزنوج قد أقبلوا عليه بشدة، وكانوا يغبطون هؤلاء التجار لكثرة التمر ببلادهم، فكانوا يقولون لهم بلغتهم «هنيئًا لكم يا أهل بلاد التمر»[2]. وقد أدرك التجار العُمانيون شدة إقبال الزنوج على التمر، فلم يستخدموه كصنف من أصناف التجارة معهم فحسب، إنما استخدموه أيضًا كوسيلة مهمة في خداعهم، واسترقاقهم، ونقلهم إلى عُمان، وبيعهم عبيدًا في بلاد الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر، وغيرها[3].

---

(1) الحبيب الجنحاني، **دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول**، ص64 ـ 65، جي كيركمان، **التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، ص271، **عمان في التاريخ**، ص188 ـ 189، Harold D. Nelson, **Mozambique: a country study**, p.9.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61، ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص39، عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، الطبعة الثانية، عالم المعرفة، الكويت، 1985م، ص104.

وأفادتنا المصادر الجغرافية بروايات مهمة عن بعض طرائق التبادل التجاري بين العُمانيين وأهالي سفالة، نذكر منها: طريقة المقايضة المباشرة بين التاجر والمشتري[1]، ومنها أيضًا: التجارة الصامتة، فكان التجار يجلبون إليهم الأمتعة، ويتركونها ويمضون، ثم يجيئون وقد ترك الزنج ثمن كل شيء عنده، وهذه الطريقة معروفة أيضًا في بلاد التبر بجنوب المغرب[2].

وكان الذهب من أهم السلع التي جلبها العُمانيون من مناطق إنتاجه بشرق أفريقيا، وجلبوا منها أيضًا سلعًا أخرى كثيرة، وأعادوا تصديرها إلى مراكز استهلاكها بالبلاد العربية والإسلامية والصين والهند، لشدة الطلب عليها في هذه البلاد، ونذكر منها: العاج، والعنبر، وتم تصديرها إلى الصين، والهند، ولولا ذلك لكانت هذه السلع، خصوصًا العاج بأرض الإسلام كثيرة[3]، ومنها أيضًا الحديد، فكان العُمانيون يدخلون إلى سفالة «ويخرجونه من عندهم إلى سائر بلاد الهند وجزائرها، فيبيعونه بالثمن الجيد»[4]. وكانت الجلود أيضًا في قائمة التبادل التجاري بين عُمان وشرق أفريقيا، وكان يعاد تصديرها إلى الأسواق العربية والهندية والصينية[5]، وجلبت

(1) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص219.
(2) ياقوت، **معجم البلدان**، ج3 ص224، **عمان في التاريخ**، ص191.
(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص7 ـ 8 .وانظر أيضا: القزويني، نفسه، ص23- 24، ترمنجهام، **الإسلام في شرق أفريقيا**، ص36.
(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص67.
(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص59 ـ 60.

السفن العُمانية من بلاد الزنج البهار، وكثيرًا من أنواع الخشب الثمينة، ومنها: الأبنوس، والصندل، والساج، واستخدموها في صناعة السفن ببلادهم[1].

وتعكس كثير من النصوص أهمية عُمان كسوق ضخمة لتجارة العبيد الزنج[2]، فقد كانت مركزًا لتجميعهم من بلادهم، وتوزيعهم على سائر البلاد بما فيها الهند والصين[3]. وكان العُمانيون يحملون في مراكبهم التمور من بلادهم، وتمور البصرة والبحرين، فترسو في سواحل شرق أفريقيا، فيبيعون هذه التمور، ويشترون بأثمانها عبيدًا من الزنوج، وأفادت الروايات أيضًا أن بعض البحارة العُمانيين والسيرافيين كانوا يسرقون أبناء الزنوج بالتمر، ويحملونهم إلى بلادهم[4]، كما غدروا بأحد ملوك سفالة وبعض رجاله، فسرقوهم، وباعوهم ببلادهم بأثمان باهظة[5]. ولم يكن العُمانيون وحدهم الذين يسرقون الزنج، ويبيعونهم رقيقًا، فصاحب جزيرة كيش من بحر

---

(1) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص218، **عمان في التاريخ**، 188.

(2) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، 89 ـ 91، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص181.

(3) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص193، عبدالسلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، ص104.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61، عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، ص104.

(5) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص88، آدم متز، **الحضارة الإسلامية**، ج1 ص265.

عُمان كان «يغزو بمراكبه بلاد الزنج، فيسبي منهم خلقًا كثيرًا»[1]، وأهل جزائر الواق واق الصينية كانوا يهاجمون بلاد الزنج أيضًا، لسرقة أولادهم «لصبرهم على الخدمة وجَلدهم»[2]. وتعكس كثرة أعداد الزنوج الذين شاع استخدامهم في مختلف مناحي الحياة بعُمان[3]، والصين، وبقية الأقطار العربية والإسلامية، خصوصًا العراق الذي استأثر بنصيب كبير منهم في عصر الدولة العباسية[4]، ضخامة حجم هذه التجارة بين شرق أفريقيا وهذه البلاد عبر عُمان[5]. وهكذا يتضح أن تجارة الرقيق لم تكن تشكل سوى جزء يسير من التبادل التجاري بين بلاد العرب وشرق أفريقيا، عكس ما تروج بعض الكتابات الأجنبية، من أن تجارة العرب بالرقيق كانت هي السمة التي اتصف بها نشاطهم الاقتصادي في شرق أفريقيا، قبل اتصال أوروبا به اقتصاديًا[6].

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61،

Ingrams, **Zanzibar**, pp.80-81

(2) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص193.

(3) الكندي، **بيان الشرع**، ج20 ص144، ج21 ص152، ج30 ص27، 48، الكندي النزوي، **المصنف**، ج21 ص197، اللواتي، **تاريخ عمان الحضاري**، ص50، المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص161.

(4) عبد العزيز الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بغداد، 1984م، ، ص62، 66، 88، العسكري، نفسه، 181،

Ingrams, **Zanzibar**, pp.80-81.

(5) جي كيركمان، **التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، ص280.

(6) جمال زكريا قاسم، **الجذور التاريخية**، ص201.

2/ 5 بعض التأثيرات المتبادلة

ونستدل من رواية مهمة أوردها الإدريسي في كتابه، أن ثمة تأثيرًا عُمانيًا في الحياة الزراعية ببلاد الزنج، خصوصًا إنتاج المحاصيل الجديدة، فذكر أن الموز العُماني كان واحدًا من خمسة أنواع مشهورة بجزيرة الأنجية[1]. مما يدل على أن الزنج أخذوه من العُمانيين، وزرعوه ببلادهم، وكانت خصبة، فأثمر هناك. وكان للرقيق الزنوج بعض التأثيرات في المجتمع العُماني الذي استقروا فيه، فقد نقلوا معهم من بلادهم بشرق أفريقيا بعض المظاهر الاجتماعية والثقافية، ومنها: فنون الرقص والغناء، فقد اشتهروا بالإقبال على الحياة، والتمتع بها، ولذلك لا يُرى زنجي مغمومًا، فالغم كما ذكر القزويني «لا يدور حولهم، والطرب يشملهم كلهم»[2]. فالمصادر العُمانية تشير إلى أن وجود طبول الزنج التي كانت تصاحب رقصاتهم بعُمان[3].

2/ 6 العلاقات الفكرية بين عُمان وبلاد الزنج

وكان لعُمان دور بارز في انتقال المذهب الإباضي إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، ونستدل من الروايات على أن بعض مدنه، ومنها: كلوة أصبحت مقرًا لعدد كبير من إباضية عُمان

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(2) القزويني، **آثار البلاد**، ص23.

(3) النزوي، **المصنف**، ج20 ص144، ج30 27، 48، اللواتي، المرجع نفسه، ص161.

في منتصف القرن الخامس الهجري[1]. وتفيد هذه الروايات أيضًا أن رؤساء الإباضية بكلوة كانوا يقدرون المكانة العلمية الرفيعة لعلماء المذهب بعُمان، ومنهم العوتبي الصُحاري، وأنهم كانوا على اتصال دائم بهم، فكانوا يرسلون إليهم بكتبهم، يسألونهم شرح بعض المسائل الفقهية، باعتبارهم مرجعيات في الفقه الإباضي. وللعوتبي الصُحاري سيرة منسوبة إليه، هي السيرة الثالثة والعشرون من السير والجوابات، وقد تبين أن هذه الرسالة هي نفسها السيرة الموجودة بمجموعة المقامة الكلوية التي أنشأها الفقيه العُماني الشيخ محمد بن سعد الأزدي القلهاتي، وهي أجوبة موجزة كتبها العوتبي ردًا على تساؤلات أخوين من مشايخ الإباضية بكلوة بشرق إفريقية، كانا قد أرسلا إليه يلتمسان توضيح أصول المذهب الإباضي، وشرح أقاويل المسلمين[2]. والجدير ذكره أن الإشارات

---

(1) محمد بن سعيد القلهاتي، المقامة الكلوية، ضمن كتاب **المقامات العمانية من ابن دريد حتى عبد الله الخليلي**، تحقيق ودراسة ضياء خضير وكامل العتوم، الطبعة الأولى، منشورات جامعة صحار، سلطنة عمان، 2010م، ص85.

(2) العوتبي، **كتاب الضياء**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1990م، ج3 ص206، أحمد بن سعود السيابي، العوتبى نسابة، ضمن كتاب **«قراءات في فكر العوتبي الصحاري»**، أعده للطبع محمد علي الصليبي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي، مسقط، 2003م، ص79، محمود الريامي العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة (دراسة وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2002م، ص114، النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا**، 207 ـ 209.

المصدرية تؤكد على توسع العوتبي في الدرس والتحصيل، حتى صار مرجعًا ثقة في القضايا الدينية المتعلقة بالمذهب الإباضي داخل عُمان وخارجها[1].

ثالثًا: اسم الميورقي الأندلسي وإشكالية لقبه

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري الأندلسي الميورقي، ويعرف «بابن ظُنّيْر المغربي» بضم الظاء المعجمة، بعدها نون مشددة مفتوحة، وياء معجمة باثنتين من تحتها ساكنة وراء، هكذا رأه ابن النجار البغدادي مقيدًا في أصوله التي رجع إليها بخط ناصر بن محمد[2]، وورد بهذه الصيغة أيضًا في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر[3]، بينما ورد عند ابن عساكر نفسه في تاريخ دمشق، وفي بعض المصادر

(1) محمود الريامي، المرجع نفسه، ص84 ـ 92.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، صحح بمشاركة الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج3، رقم 579 ص81، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، انتقاء أحمد بن أيبك الحسيني المعروف بابن الدمياطي، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص179، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج20، رقم 169 ص109. انظر تعليق مصحح الأكمال، ج5 ص258.

(3) ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، الطبعة الأولى، دار الفكر، 1988م، ج17، رقم 65 ص182.

اللغوية بابن طُنّيْز»[1]، وعند ابن حجر العسقلاني «ابن الطبيز»[2]، وذكره ابن حجر العسقلاني بالنون أيضًا، وقال: «وجدت ابن النجار قد ضبطه بظاء معجمة، ونون مشددة مفتوحة، ثم ياء ساكنة وآخره راء؛ فيحرر. قلت: ظاؤه معجمة وقبل الراء تحتانية ساكنة»[3]، وورد في معجم الأدباء لياقوت الحموي بصيغة «ابن طَيِّز»[4]، وفي معجم البلدان لياقوت أيضًا، وفي كتاب التكملة لابن الأبار البلنسي، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي بصيغة «ابن طَيْر»[5]، وانتهى الشيخ

---

(1) ابن عساكر، **تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق وتعليق وتخريج علي عاشور الجنوبي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج44، رقم 4872 ص29، القفطي، **انباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، 1986م، ج2، رقم 433 ص230، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م، ج2، رقم 1658 ص144. وانظر أيضاً: تعليق **مصحح الإكمال**، ج5 ص258، عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص423.

(2) ابن حجر العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، 1967م، ق3 ص864.

(3) ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ق3 ص864.

(4) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج16، رقم 27 ص168.

(5) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1995م، ج3 ص117، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق د. إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1965م، السفر الخامس، القسم الأول، رقم 325 ص164.

المعلمي مصحح الإكمال لابن ماكولا إلى تسميته بالظنيري[1].

رابعًا: تكوينه العلمي بالأندلس

ازدهرت الحياة الثقافية بالأندلس في عصر ملوك الطوائف (400 ـ 484 هـ / 1009ـ1091 م)، وتجلى ذلك في مختلف المجالات، سواء الدينية، أو العلمية. وكانت جزر البليار قد التحقت بمملكة دانية في شرق الأندلس قرابة سنة 405هـ/ 1015م[2]، فكان طلاب العلم من أهل هذه الجزر، خصوصًا ميورقة، يتجهون إلى مدينة دانية، لأخذ العلوم الدينية، وعلوم اللغة العربية وآدابها عن علمائها، والعلماء الأندلسيين، والمغاربة، والمشارقة الوافدين إليها، وكان هؤلاء العلماء يجدون كل رعاية من ملكها مجاهد العامري (ت 436هـ/ 1045م)، فقد كان أكثر ملوك الطوائف علمًا بالثقافة، وكان كما ذكر ابن حيان فتى أمراء دهره، وأديب ملوك عصره، لعنايته الفائقة بالقرآن الكريم وعلومه، وباللغة العربية وآدابها، وقد أمّه «جملة العلماء، وأنسوا بمكانه، وخيموا في ظل سلطانه، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة»،

---

(1) ابن ماكولا، **الإكمال**، ج5 ص258.

(2) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص353، ابن الأبار، **الحلة السيراء**، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1963م، ج2 ص128، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج3 ص116،

Maria Jesus Rubiera, **La Taifa de Denia,** Alicante, 1985, p.66.

وعن إشكالية استيلاء مجاهد العامري على جزر البليار، راجع: عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص142-143.

فأكرمهم، وبالغ في برهم، وأجزل صلاتهم[1]، فشاع العلم كما ذكر ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان في دولته[2]، وقد حذا علي إقبال الدولة بن مجاهد (436 ـ 468 هـ/ 1045 ـ 1076م) حذو أبيه، من الإقبال على العلماء، ورعايتهم، وإكرامهم، فكان للأدب سوق رائجة في عهده[3].

وقد ازدهرت الحياة الثقافية بميورقة أيضًا منذ انضمامها إلى مملكة دانية، بفضل سياسة واليها الكاتب الأديب الفقيه المُحدّث أبي العباس أحمد بن رشيق (مات بعد 440هـ/ م)[4]، وزير مجاهد العامري ومدبر دولته، فقد كان يجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم، فأصبحت ميورقة ملاذًا لهم من نيران الحرب الأهلية في الأندلس، وكثرت المجالس والمناظرات العلمية بها، وكان لرعاية ابن رشيق لهؤلاء العلماء أثر كبير في تنشيط الحركة الثقافية بها[5]. وأفادت الروايات أن ابن ظنير

---

(1) الحميدي، **جذوة المقتبس**، رقم 829 ص354، ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1979م، ق3، م1 ص23، ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ج3 ص156، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، 1934م، القسم الثاني ص250

(2) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ق2 ص250.

(3) ابن بسام، **الذخيرة**، ق3، م1 ص22 ـ 23، ابن سعيد، **المغرب**، ج2 ص401، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج3 ص156 ـ 157. وانظر أيضاً: الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص311–312، عصام سالم سيسالم، المرجع نفسه، 519 ـ 520.

(4) ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، رقم 131 ص128.

(5) الحميدي، **جذوة المقتبس**، رقم 208 ص123، ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، رقم 131 ص128 ـ 129، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج3، رقم 9 ص33، جمعة شيخة، الحياة الفكرية والأدبية =

الميورقي تعلم في جزيرة ميورقة، وأخذ عن علمائها، ثم تتلمذ على بعض مشاهير علماء مدن شرق الأندلس، ومنها: دانية، وبلنسية، والوافدون عليها من بقية نواحي الأندلس، وأخذ منهم الفقه والآداب، وعلوم اللغة، نذكر منهم: الفقيه الإمام أبا محمد غانم بن وليد بن عبد الرحمن المخزومي من أهل مالقة (ت 470هـ/ 1077م)، وكان فقيهًا نحويًا مدرسًا، وأستاذًا في الآداب وفنونها، مجود مع فضل، وحسن طريقة، ووصفه تلاميذه بالعلم والدين[1]، وكان يروي لتلاميذه بعض المنتخبات القديمة، والدواوين الشعرية، وكتب الأدب، واللغة، نذكر منها: اختيارات المفضل والأصمعي، وشعر أعشى بكر، وأراجيز العجاج وابنه روبة، وشعر طفيل الغنوي، ومقصورة ابن دريد، وكتاب السرج واللجام لابن دريد، والعروض لابن درستويه، وكتاب سيبويه، وكتاب الكافي في النحو، وكتابي الأصول في النحو، والموجز في النحو لأبي بكر بن السراج، وكتاب المقنع في النحو أيضًا تأليف ابن النحاس، وكتاب الواضح في النحو لأبي بكر الزبيدي، وغيرها[2].

= بالجزائر الشرقية في القرنين 5هـ 6هـ، أعمال الملتقى الرابع الإسباني التونسي، المعهد العربي للثقافة، مدريد، 1983م، ص52.

(1) الحميدي، **جذوة المقتبس**، رقم 754 ص325- 326، ابن خير الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه، الطبعة الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص305 ـ 315، ص399 ـ 400، ابن بشكوال، **الصلة**، ج2، رقم 989 ص669، الضبي، **بغية الملتمس**، رقم 1280 ص441، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج16، رقم 27 ص167 ـ 169، المقري، **نفح الطيب**، ج4 ص370 ـ 370.

(2) ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص305 ـ 311، 390 ـ 391.

ومن شيوخ ابن ظنير الميورقي أيضًا: الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري الشافعي (سكن دانية، وتوفي بشاطبة سنة 463هـ/ 1070م)، صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ولم يكن «لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك»[1]، وكان إمام عصره، وواحد دهره، بالقراءات وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، وقال ابن حزم القرطبي عن مؤلفه القيم التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: «وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه»[2]، ولابن عبد البر أيضًا كتب لا مثيل لها، نذكر منها: الكافي في الفقه، وكتاب الاكتفاء، وهو في القراءات، وكتاب بهجة المجالس، وكتاب جامع بيان العلم وفضله، وغيرها[3]. وتتلمذ ابن ظنير الميورقي أيضًا على أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير المعروف بالحُصري (توفي بطنجة سنة

(1) المقري، نقلاً عن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين، ج4 ص166، وانظر أيضاً: المصدر نفسه نقلاً عن رسالة الشقندي، ج4 ص185. وانظر أيضا: ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص214 ـ 215.

(2) الحميدي، **جذوة المقتبس**، رقم 874 ص367– 369، ابن بشكوال، **الصلة**، ج3، رقم 1513 ص973 ـ 974، الضبي، **بغية الملتمس**، رقم 1446 ص489 ـ 491، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج2 ص348، المقري، نقلاً عن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين، ج4 ص166، ورسالة الشقندي، ج4 ص185.

(3) المقري، نقلاً عن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين، ج4 ص166– 167. وانظر أيضاً: ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص86، 91، 232، 251، 281، 327، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ق2 ص250.

488 هـ/ 1095 م)، وكان مقرئًا محققًا، وشاعرًا أديبًا مفلقًا، رخيم الشعر، وكان أيضًا عالمًا بالقراءات وطرقها، وكان قد طرأ على الأندلس بعد خراب وطنه القيروان بعد سنة 450 هـ/ 1058 م، وانتجع ملوكها ومدحهم، وأخذ جوائزهم[1]، فلعل الميورقي تتلمذ عليه بالأندلس قرابة هذا التاريخ. وتتلمذ الميورقي أيضًا على جماعة من المغاربة، وغيرهم كثير[2].

خامسًا: رحلته المشرقية في طلب العلم

وصل كثير من الأندلسيين إلى مستويات رفيعة من النضج

(1) ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1979م، ق4، م1 ص246، 272، الحميدي، **جذوة المقتبس**، رقم 716 ص314، الضبي، **بغية الملتمس**، رقم 1229 ص425، ابن بشكوال، **الصلة**، ج2، رقم 933 ص627. ولما خلع ملوك الطوائف، اشتملت عليه مدينة طنجة، ونزل أيضاً مدينة سبتة، وأقرأ الناس بها وغيرها القرآن الكريم، وله قصائد شعرية مشهورة، وديوان شعر معروف (ابن بسام، نفسه، ق4، م1 ص 246 ـ 283، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3، رقم 450 ص331- 334، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث ووفيات 481 ـ 490، رقم 281 ص259 ـ 261، وله أيضاً: **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 16 ص26 ـ 27، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص385 ـ 386.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44، رقم 4872 ص29، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص230، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص80 ـ 81، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص164، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج20، رقم 169 ص109، ابن حجر العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، ق3 ص864، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، رقم 1658 ص144.

والتبحر في العلم خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وظهر منهم بعض العلماء، والأدباء، والشعراء، الذين تفوقوا على أقرانهم في المشرق الذي كان يعتبر النبع الرئيسي للفكر والثقافة منذ العصر الأموي، وكانت الحياة في البلاطات الصغيرة لملوك الطوائف تسبح في مظاهر من الترف دونها مدن المشرق الكبرى، ورغم أن الأندلس نفسها بدأت تقلل شيئًا فشيئًا من نظرتها إلى المشرق، واحتذائها ما يجري فيه[1]، فإن بعض الأندلسيين ظلوا على سنتهم في التطلع إلى المشرق، فلم يتوقفوا عن ارتياد المراكز الثقافية بمصر، وبلاد الشام، والعراق، والجزيرة العربية، بقصد نهل العلم واكتساب المعرفة؛ فبغداد فيما يرى ابن حزم الأندلسي كانت «حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر»[2]، أما البصرة، فقد كانت كما ذكر ابن حزم أيضًا عين المعمور في كل ما ذكره عن بغداد[3]. وقد ركز الأندلسيون جل اهتمامهم على اغتراف ما يستطيعون من العلوم الدينية، كعلم الحديث، والقراءات

(1) هنري بيريس، **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ترجمة دكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1988 م،ص46.

(2) المقري، **نفح الطيب** نقلاً عن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين، ج4 ص162، هنري بيريس، المرجع نفسه، ص54.

(3) المقري، **نفح الطيب** نقلاً عن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين، ج4 ص162.

والأمور الفقهية، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وعروض، وما شابه ذلك[1].

1/5 تاريخها ومسارها

وبعد أن استكمل ابن ظنير الميورقي تحصيله ببلده، خرج عنها في رحلة مشرقية، لطلب العلم. ورغم أن المصادر لم تشر إلى تاريخ هذه الرحلة، فإننا نرجح أنه خرج من الأندلس في أواخر سنة 361هـ/ 1069م، أو بداية سنة 462هـ/ 1069 ـ 1070م؛ فالروايات تشير إلى وجوده بمدينة صور الشامية، وسماعه بها على شيوخها، والعلماء الوافدين عليها سنة 462هـ/ 1070 م. والجدير ذكره أن أحد الباحثين قد أفرد دراسة عن وجود الأندلسيين والمغاربة ببلاد الشام، بعنوان: «الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجري»، وخصص الفصل الأول من الباب الأول منها للحديث عن العلاقات بين الشام والأندلس منذ الفتح وحتى نهاية القرن الخامس الهجري، ومع ذلك فلم يأت على ذكر ابن ظنير الميورقي، رغم أنه ذكر بعض أبناء ميورقة ممن زاروا الشام، وتتلمذوا على شيوخها، ومنهم: أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[2]، وهو من شيوخ الميورقي كما سنرى.

---

(1) علي أحمد، **الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع**، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م، ص71 ـ 73.

(2) علي أحمد، **الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام**، راجع: الفصل الأول من الباب الأول.

وللأسف لم تمدنا المصادر المتاحة بأية إشارة عن الطريق التي سلكها ابن ظنير الميورقي من الأندلس إلى بلاد الشام. ومن المرجح أنه سلك الطريق البحري الذي يربط بين الأندلس وبلاد الشام، وكان قد اتخذ أهمية بالغة في عمليات الاتصال بين المشرق والمغرب، باعتباره الوسيلة الأسرع والمختصرة، للوصول من الأندلس إلى الشام ذهابًا وإيابًا، وكان لهذا الطريق مساران كلاهما يمر بجزيرة ميورقة مسقط رأسه، الأول منهما، وهو الرئيسي، يصل ما بين سواحل الأندلس والإسكندرية مارًا بسواحل الشام، ووصفه ابن جبير الأندلسي في رحلته، فقال: إنه انطلق من جنوب الأندلس إلى مدينة سبتة، وركب مركبًا مقلعًا إلى الإسكندرية، وكان الطريق في البحر محاذيًا لبر المدن الأندلسية، كمالقة والمنكب، والمرية وقرطاجنة ولقنت ودانية، مارًا بجزر يابسة، وميورقة، ومنورقة، وسردانية، وصقلية، ومنها إلى كريت، ومن ثم الإسكندرية[1]، وهناك رواية أخرى: سبتة، فمالقة، فالمنكب، فالمرية، فقرطاجنة إلى لقنت، ومنها إلى جزيرة يابسة، فميورقة إلى سردانية، ومنها إلى صقلية، وأقلع إلى كريت فقبرص، فمدينة عكا[2]، وهناك طريق بحري آخر يحاذي القسم الشمالى لإفريقية بين طنجة والإسكندرية، ثم إلى بلاد الشام، وقد استخذم بكثرة بعد سيطرة بيزنطة على

---

(1) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص7 وما بعدها.

(2) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، سفر5، ق2 ص689 ـ 690.

جزيرتي كريت وقبرص، وربما يكون هذا الطريق أقل خطرًا من الطريق الأول.

5/ 2 رحلته العلمية إلى بلاد الشام

5/ 2/ 1 صور

أفادت الروايات أن ابن ظنير الميورقي قدم الشام، يطلب العلم عن مشاهير شيوخه، والوافدين عليه، فدخل صور، فسمع بها الأديب أبا علي الحسين بن سعد بن الحسين الآمدي (ت 499 هـ/ 1105 م)[1]، وأبا نصر أحمد بن محمد بن سعد الطريثيثي[2]، وأبا بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي[3]، صاحب كتاب تاريخ بغداد، وكان من كبار شيوخ الشافعية، وهو أحد الأئمة المشهورين، والمصنفين المكثرين، والحفاظ المبرّزين معرفة وإتقانًا، وضبطًا للحديث،

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44، رقم 4872 ص29، ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج3، رقم 442 ص117، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص164 ـ 165. والآمدي نسبة إلى مدينة آمد، وكان لغوياً شاعراً، وكان قد انتقل إلى بغداد، والشام، وأصبهان، وأفاد واستفاد الناس منه، عن ترجمته، راجع: القفطي، **انباه الرواة**، ج1، رقم 212 ص358، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، م5، ج9 رقم24 ص266 ـ 269، السيوطي، **بغية الوعاة**، ص233،

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج3 ص137.

(3) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص81، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180.

وتفننًا في علله وأسانيده، وعلمًا بصحيحه وغريبه، وكان أبو بكر الخطيب قد خرج عن بغداد في فتنة البساسيري سنة 451هـ/ 1059 م، فدخل دمشق، وسكنها مدة، وحدث بها بعامة مصنفاته[1]، ثم خرج إلى صور سنة 459هـ/ 1066م، فاستقر بها، وحدّث بجامعها حتى أواخر سنة 462هـ/ 1070م، ثم توجه إلى طرابلس، وإلى حلب، وكان يقيم في كل منهما أيامًا يسيرة، ثم عاد إلى بغداد، فدخلها في مستهل 463هـ/ 1070م، إلى أن توفي ودفن بها في ذي الحجة 463هـ/ أغسطس 1071م[2]. ومن المرجح أن ظنير الميورقي تحلق حوله بجامع صور، فسمع منه وأخذ عنه، كما سمع منه الخطيب البغدادي، وروى عنه بها أيضًا، عكس ما ذهب إليه ابن عبد الملك المراكشي أن ابن ظنير الميورقي قدم بغداد، فأخذ بها عن الخطيب أبي بكر، وتدبج معه[3].

ونستدل من رواية لابن الأبار نقلاً عن أَبي بحر الأَسدي أن ابن ظنير الميورقي سمع مع جماعة من طلاب العلم سنن أبي داود من الخطيب البغدادي بصور، فقال: إن أَبا الفتح السمرقنْدي ذكر سماعه لسنن أَبي داود من أَبي بكر أحمد بن

---

(1) عن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج3، رقم 213 ص135 ـ 141.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج3، رقم 213 ص141.

(3) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.

ثابت الخطيب البغدادي، وذكر أيضًا: «وسمعه معي أبو الحسن عليّ بن أَحمد الجعْدي، وأَبو الفرج غيث بن عبد السلام الأَنْباري، وعلي بن أَحمد بن عبد العزيز الأنصاري الأندلسي، وسمي غيرهم»[1].

5/ 2/ 2 دمشق

مكث ابن ظنير الميورقي بصور مدة، ثم رحل عنها، وتجوّل في غيرها من مدن الشام، فالروايات تذكر أنه قدم دمشق، «فكان يسمع بها الحديث، وكتب الكثير»[2]، وأخذ بدمشق كما ذكر ابن الأبار عن العلامة القدوة المُحدث مفيد الشام شيخ الإسلام أبي الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي الزاهد[3]، ويعرف بابن أبي حافظ، وكان شيخ الشافعية في عصره بالشام، وله من التصانيف كتاب «الحجة على تارك المحجة»، وكان قد قدم دمشق، فأقام بها يدرس المذهب في جامعها في الزاوية الغربية الملقبة بالغزالية إلى أن مات سنة 490هـ/ 1096م[4]، وذكر ابن عساكر أنه سمع

(1) ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص178.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30.

(3) ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج3، رقم 442 ص177، ابن عبدالملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص164.

(4) كان إماماً علامة، ومفتياً ورعاً، عديم النظير، وحدث عنه الخطيب وهو من شيوخه. ولحقه أبو حامد الغزالي، وتفقه به، وناظره. وعن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 72 ص136 ـ 143، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص395– 396.

بدمشق أيضًا من الحافظ المُحدّث مفيد الدماشقة أبي محمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد التميمي الكتاني الصوفي (ت 466هـ/ 1073م)، وكان من المكثرين في الحديث كتابة وسماعًا، مع الصدق والأمانة، وكان يُملي من حفظه[1]، وسمع أيضًا من الشيخ الإمام المقرئ، خطيب دمشق أبي نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب القرشي الدمشقي (توفي بصيدا 470هـ/ 1077م)، وكان فاضلاً ثقة مأمونًا، كثير الدرس للقرآن[2]، وأبي الحسن علي بن

(1) الكتاني منسوب إلى صنعة الكتان، وكان أحد الرّحالين في طلب العلم، وله معرفة جيدة، روى عنه جماعة، منهم: أبو بكر الخطيب، وخرّج عنه في عامة مصنفاته، وأبو محمد الأكفاني، ووصفه بالصدق والاستقامة، وسلامة المذهب. وقال ابن ماكولا: كتبت عنه، وكتب عني. عن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج38، رقم 4183 ص184 ـ 186، ابن كثير، **البداية والنهاية**، وثقه وقابل مخطوطاته الشيخ علي محمد معوض وزميله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج12 ص120، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث ووفيات 461 ـ 470، رقم 181 ص202 ـ 204، وله أيضا: **سير أعلام النبلاء**، ج18، رقم122 ص248 - 250، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص325.

(2) وكان ابن طلاب مولى عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، حدّث عن: أبي الحسين بن جميع بمعجمه، وعطيه الصيداوي، وعدة .روى عنه: أبو الفتيان الرواسي، وإسماعيل بن السمرقندي، وآخرون .روى بإسناده عن ابن عمر، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطيب الكسب، فقال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»، عن ترجمته، راجع: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث ووفيات 461 ـ 470، رقم 317 ص317 ـ 319، وله أيضا: **سير أعلام النبلاء**، ج18، رقم 182 ص375 - 376، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص336.

الحسين بن أحمد التغلبي المعروف بابن صصري (ت 467هـ/ 1074م)، وكان محدثًا ثقة[1]، وغيرهم[2].

وقد احتفظ ابن النجار البغدادي بإحدى رواياته عن شيخه عبد العزيز بن أحمد الكتاني الدمشقي، فقال: أنبأنا أبو المظفر الواعظ، عن أبي العلاء وجيه بن هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي، ثنا والدي، أنبأنا الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري بقراءتي عليه، قلت له: حدثكم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني بدمشق، أنبأنا عبدالكريم بن حمزة الحداد، أخبرنا عبد العزيز الكتاني، ثنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرزاي، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب بن حذلم، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد ابن صالح بن سنان، وجعفر بن محمد بن عديس، قالوا: ثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو ثنا سليمان بن داود بن علي

(1) حدّث عن تمام بن محمد الرازي، وعبد الرحمن بن عمر بن نصر، وروى عنه أبوبكر الخطيب البغدادي، وعمر بن عبد الكريم الدهستاني، وذكر ابن عساكر أن أبا القاسم النسيب حدثه أن ابن صصري أخبره عن شيوخه، بإسناد عن سلمة بن قيس الأشجعي، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا توضأتَ فانثر، وإذا استجمرتَ فأوتر والأذنان من الرأس هكذا»، الحديث في **المعجم الكبير**، ج7 ص41. وعن ترجمة ابن صصري، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44، رقم 4963 ص137 ـ 138.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29. ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص81، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص164، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج20، رقم 169 ص109.

الهاشمي، ثنا إبراهيم بن سعيد، ثنا صالح بن كيسان، عن الأزهري، عن محمد عن أبي سفيان عن يوسف بن الحكم، عن محمد بن سعد، عن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يُرد هوان قريش أهانه الله»(1).

ونستدل من الروايات أن ابن ظنير الميورقي لم يكن متعلمًا بدمشق فحسب، إنما كان مُعلمًا أيضًا، فقد كان كما ذكر ابن النجار البغدادي عالمًا بالحديث، وله معرفة حسنة به(2)، وقال ابن عبد الملك المراكشي عنه أيضًا أنه كان مُحدثًا مكثرًا، وكان عدلاً ثقة(3)، فجلس للحديث، فروى عن شيوخه الأندلسيين، فسمع منه بعض كبار العلماء، وجمع من طلاب العلم هناك، نذكر منهم: عبد العزيز الكتاني، وهو من شيوخه كما رأينا(4)، مما يدل على علو مكانته العلمية. وسمع منه بدمشق أيضًا: الإمام الحافظ المحدث أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن علي الشيرازي (ت 486هـ/ 1093م)، وكان صوفيًا صالحًا كثير العبادة، وكان أيضًا ثقة خيرًا(5)، والشيخ الإمام الحافظ المكثر

---

(1) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص82 ـ 83، عن رواية هذا الحديث، انظر: السيوطي، **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، الطبعة الخامسة، مكتبة الحلبي، مصر، 1982م، ج2 ص190.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

(3) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.

(4) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ص10576، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص230، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247.

(5) شيخ عفيف صوفي فاضل، طاف البلاد، وكان كثير الفوائد، كتب بخراسان، والحرمين، والعراق، واليمن ومصر والشام، وغيرها، =

الجوّال الثقة أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه بن مهمت الدهستاني الرواسي[1]، والحافظ أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني (ت 524هـ/ 1129م)[2]. ونستدل من الروايات أن تلاميذ ابن ظنير الميورقي الدمشقيين قد عرفوا له مكانته العلمية، فقرظوه، وحدّثوا عنه بدمشق، فابن عساكر يذكر «حدثنا عنه أبو محمد بن الأكفاني، وذكر أنه ثقة»[3]. وذكر ابن عساكر نقلاً عن شيخه الإمام مفيد الشام ابن الأكفاني، وكان محدثًا أمينًا ثقة ثبتًا متيقظًا، أن

= وعمل تاريخًا لشيراز. عن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج67، رقم 8271 ص61، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12 ص157، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 11 ص17 ـ 19، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص379.

(1) شيخ مشهور، سمع ببلده، وطوّف بالبلاد طلباً للحديث، وكان بصيرًا بهذا الشأن محققًا، حدّث عنه أبو بكر الخطيب شيخه، وكان عارفًا بالطرق، كتب الكثير، وجمع الأبواب. عن ترجمته، راجع: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 202 ص317 ـ 320، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج4 ص 7.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44، رقم 4872 ص29، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص230، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177. وتذكر الروايات أن الأكفاني لزم الكتاني مدة، وكان ثقة فهمًا شديد العناية بالحديث والتاريخ، كتب الكثير، وكان من كبار العدول. عن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج67، رقم 8266 ص59، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 330 ص576 ـ 578، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج4 ص73.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44، رقم 4872 ص29، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177.

الميورقي قدم دمشق، وحدّث عن أبي علي حسين بن سعد الآمدي، بسنده إلى أبي ذر، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقيت المَلك فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله كان له الجنة»، فما زلت أقول : وإنْ، حتى قلت : وإنْ زنى وإن سرق ؟، قال : «وإنْ زنى وإنْ سرق»[1].

والجدير ذكره أن ابن ظنير الميورقي لم يجلس لرواية الحديث بدمشق فحسب، بل مارس التعليم بالعربية أيضًا، فأخذ منه بعض طلاب العلم هناك، ومنهم: الأكفاني، وقد وصفه شيخه، فقال: «كان عالمًا باللغة»[2].

5/ 3 رحلته العلمية إلى بلاد العراق

5/ 3/ 1 بغداد

سافر ابن ظنير الميورقي من دمشق في أواخر سنة 463 هـ/ 1071م[3]، وقدم بغداد، طالبًا للحديث سنة 464 هـ/ 1071م،

---

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج17، رقم65 ص182. وعن رواية هذا الحديث، انظر: البيهقي، **السنن الكبرى**، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج10 ص189 ـ 190.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص231، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص231، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247.

فأقام بها حتى سنة 469هـ/ 1076م، يسمع من شيوخها، وكانت تزخر بكوكبة من كبار العلماء في شتى فنون المعرفة(1). ونستدل من نص قيم لابن النجار البغدادي على إقباله الشديد على تحصيل العلم، فذكر عن الحافظ أبي الكرم خميس بن علي الجوزي، وكان شاهد عيان، أن ابن ظنير الميورقي كان يتتبع أسماء مَنْ يحضر مجالس السماع ببغداد، فيكتبها عن آخرها ولا يخل بأحد، ولما سئل عن ذلك، قال: «هذا عاجل ثوابه، وإلا فمن أين لنا بطول العمر حتى نرويه»(2)، وقد أقام ابن ظنير الميورقي ببغداد متعلمًا، ومُعلمًا(3).

5/ 3/ 2 البصرة

ورحل ابن ظنير الميورقي من بغداد إلى البصرة، لطلب الحديث، واللغة العربية والنحو، فقدمها في سنة 469هـ/ 1076م، وذكر ابن عساكر نقلاً عن شيخه الإمام المُحدّث الصدوق أبي غالب محمد بن الحسن بن علي بن الحسن التميمي البصري الماوردي (450 ـ 525هـ/ 1058 ـ 1130م)(4)، أنه قال: قدم علينا ابن ظنير الميورقي البصرة في سنة 469هـ/ 1076م، فسمع من أبي علي علي بن أحمد بن علي التستري

(1) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص81 ـ 82.
(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص83 ـ 84.
(3) القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص231.
(4) وكان شيخاً صالحاً عالماً، وقال ابن النجار: وكان ثقة صالحاً عفيفاً، ونسخ بخطه الكثير، وحدث عنه ابن عساكر، وأبو الفرج ابن الجوزي (الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، رقم 338 ص589).

البصري (ت 479هـ/ 1086 ـ 1087م)، كتاب السنن لأبي داود، وأقام عنده نحوًا من سنتين[1]، وقد كانت الرحلة إلى أبي علي التستري كما ذكر الذهبي في سماع سنن أبي داود، وكان صدوقًا، وثبتًا فيه[2]، ولاشك أن التستري أسبغ عليه رعايته العلمية، والمادية أيضًا، فقد كان كما تذكر الروايات «مقدم أهل البصرة في المال والجاه»[3].

سادسًا: شهرة ابن ظنير الميورقي العلمية

كان ابن ظنير الميورقي عالمًا باللغة العربية، متبحرًا في علم النحو، وقد شهد له أساتذته شيوخ اللغة العراقيون من أصحاب أبي عمرو بن العلاء مؤسس مدرسة البصرة في النحو وشيخها[4]، بالفضل، وسعة العلم، واستقامة اللغة، فقد ذكر

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177 ـ 178، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.

(2) التستري نسبة إلى تستر بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان، الشهير براوي السنن عن القاضي أبي عمر الهاشمي، وقد تفرد بذلك، وكان قد حفظ القرآن، وسمع الحديث، وكان حسن المعتقد، صحيح السماع، عن ترجمته، راجع: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12 أحداث سنة 479 هـ، الذهبي، العبر، ج3 ص295، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث ووفيات 471 ـ 480 ص269، **سير أعلام النبلاء**، ج18، رقم 245 ص481 ـ 482، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص463.

(3) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12 (أحداث سنة 479 هـ)، ص145.

(4) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

ابن عساكر أن الميورقي حضر يومًا، وكان عليه ثياب خلقة، عند أبي القاسم إبراهيم بن محمد المناديلي، وكان ذا معرفة بالنحو والقراءات، وقرأ عليه جزءًا من الحديث، وجلس بين يديه، فلما فرغ من قراءة الجزء أجلسه المناديلي إلى جنبه، فلما مضى تعجب الحاضرون، ومنهم: أبو غالب الماوردي، من تصرفه، وتقديره للميورقي، فقال: «قد قرأ الجزء من أوله إلى آخره وما لحن فيه، وهذا يدل على فضل كثير»[1]. ويدل هذا الموقف على أن العلم يرفع قدر صاحبه عند من يقدرون العلم للعلم، وليس من أجل هيئة صاحبه.

وكان ابن ظنير الميورقي أيضًا عالمًا بالحديث، وله معرفة حسنة به[2]، وقد حدّث بالكثير، فسمع منه، وروى عنه شيخه عبد العزيز الكتاني الدمشقي كما ذكرنا، وسمع منه أيضًا: أبو بكر الخطيب، وهبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، وعمر بن عبد الكريم الدهستاني، وممن روى عنه أيضًا أبو محمد بن الأكفاني، وذكر أنه ثقة[3]. وسمع منه بعض طلاب العلم الأندلسيين المقيمين بالعراق، نذكر منهم: الحافظ أبا عبد الله

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص230، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص82.

محمد بن فتوح الحُميدي الميورقي صاحب كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس[1]، وللأسف فلم يترجم له في هذا الكتاب، رغم سماعه منه، وخبرته بالرجال، لاسيما بأهل الأندلس وأخبارها، ووفاته بعده (توفي ببغداد سنة 488 هـ/ 1095 م)، كما أن مسقط رأسيهما واحد (مدينة ميورقة)[2]، وسمع منه أيضًا بعض أهل العراق والوافدين عليها، ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي، وأبو البركات بن السقطي، وروى عنه في معجم شيوخه حديثًا[3].

وكان ابن ظنير الميورقي أيضًا أديبًا شاعرًا، يتذوق الشعر، ويقرضه، وفي ذلك يذكر ابن الأبار «وكانَ لغويًا له حظ من قرض الشعر»[4]، وكان الميورقي ينشد الشعر لتلاميذه الذين كانوا يتحلقون حوله، فدونوه في كتبهم، نذكر منهم: أبا القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي، وقد ذكر في كتابه، أن شيخه أبا

---

(1) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص82، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180.

(2) الضبي، **بغية الملتمس**، رقم 257 ص123 ـ 124، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م4 ص410. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19 ص 120 ـ 167، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث وفيات (481 ـ 490)، رقم 292 ص280 ـ 285. وذكر السمعاني (**الأنساب**، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، 1988م، ج5 ص430 ـ 431)، أنه توفي ببغداد سنة 491 هـ.

(3) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص82، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180.

(4) ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177.

الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري الميورقي، أنشدهم لعبد المحسن الصوري[1]، شعرًا، منه[2]:

وليلة أفردتني بالسهاد فلم أكن بما أفردتني فيه أفردها

نام الخليون من حولي فقلت لهم ما كل عين لها عين يسهدها

ومما أنشده أبو الحسن علي الأنصاري لتلاميذه بدمشق، ومنهم: ابن الأكفاني، لأستاذه أبي محمد غانم بن وليد المخزومي المالقي النحوي[3]:

ثلاثة يُجهل مقدارها الأمن والصحة والقوت

فلا تثق بالمالِ من غيرها لو أنه دُرٌ وياقوت

---

(1) هو الشاعر أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري (ت 419 هـ/ 1028 م)، وكان كما ذكر ابن عساكر مطبوع الشعر، محسناً في أفانين النظم. وكان قد سمع الحديث بعسقلان، غير أنه لم يُحدث. وقد قدم دمشق مراراً، وحكى عنه أبو نصر بن طلاب. وكان بعض القوم يفضلونه على كثير ممن تقدمه من الشعراء، ومنهم: البحتري، وجرير، لسهولة ألفاظه، وعذوبة معانيه، وقصر أبياته. وعن ترجمته، راجع: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج38، رقم 4305 ص342 ـ 344. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3 ص232 ـ 235، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3 ص211.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص83.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج16، رقم 27 (ترجمة غانم بن وليد المالقي) ص168، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص177 ـ 178، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج17، رقم 65 ص182 ـ 183. وانظر أيضاً: السيوطي، **بغية الوعاة**، ج2 ص241.

وأنشد ابن ظنير الميورقي تلاميذه شعرًا، كان قد سمعه من غانم بن الوليد المخزمي، لبعض الشعراء، منه[1]:

يا أيها المبتغي أخا ثقة عدمت ما تبتغي فدع طمعك

داج المداجين ما لقيتهم وخادع النفس لامرئ خدعك

لا تكشف المرء عن سرائره ودعه تحت النفاق ما ودعك

أظهر له مثل قول ذي بله تريه إن ضر أنه نفعك

وأنشدهم أيضًا شعرًا لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ/ 1070م)، كان قد سمعه من بعض القزوينيين، منه[2]:

في الناسِ مَنْ لا يُرتجى نفعه إلا إذا مُس بأضرار

كالعود لا يطمع في طيبه إن أنت لم تمسه بالنار

ونستدل من نص قيم لابن النجار البغدادي أن شعر ابن ظنير الميورقي شاع في الأوساط الثقافية بالشام والعراق، وتناقله المهتمون بالحركة الشعرية والأدبية في منتدياتهم، فكان تلاميذه

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29 ـ 30، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج16، رقم 27 ص168، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183. وانظر أيضاً: ابن رشيق القيرواني، **ديوان ابن رشيق القيرواني**، جمعه ورتبه وحققه الدكتور عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص78، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج8، رقم 11 ص117، السيوطي، **بغية الوعاة**، ج2 ص246.

يتبادلون أشعاره التي أنشدهم إياها مع أصدقائهم، وقد شاع بعضه في رسائلهم إلى إخوانهم. فقد أفاد ابن عساكر أن أبا الفرج غيث بن علي الصوري أنبأه أنه كتب لذاكر بن كامل الخفاف، يقول له: إن الشريف أبا الحسن علي بن حمزة الجعفري أنشده في جماعة، أبياتًا شعرية سمعها من أبي الحسن علي بن أحمد الأندلسي، كان قد نظمها، يصور حالته مع زمانه، منها(1):

وسائلةٍ لتعلمَ كيف حالي　　فقلتُ لها: بحال لا تسُرُ

دُفِعتُ إلى زمانٍ ليس فيه　　إذا فتشت عن أهليه حُرُّ

سابعًا: رحلته إلى عُمان

1/7 تاريخها ومسارها

اتسمت أخبار هذه الرحلة ـ رغم إيجازها الشديد ـ بدرجة عالية من الصدق، فمنذ خروج ابن ظنير الميورقي من جنوب العراق حتى وفاته في طريق العودة إليه، والمصدر شاهد عيان على الأحداث، يروي بما شاهده، أو سمعه من صاحب الرحلة

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص230، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص83، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج20، رقم 169 ص109، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، رقم 1658 ص144. أورد ياقوت الحموي البيتين، وعنده في الثاني منهما: وقعتُ إلى زمانٍ (ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247).

نفسه. فابن عساكر يذكر ـ نقلاً عن أبي غالب الماوردي وهو شاهد عيان ثقة من أهل البصرة ـ أن ابن ظنير الميورقي خرج من البصرة إلى عُمان[1]. ومن المرجح أن ذلك كان في سنة 471 هـ/ 1078م؛ فقد رأيناه يدخل البصرة سنة 469هـ/ 1076م، ويقيم بها عند شيخه التستري، ينهل من فيض علمه نحوًا من سنتين[2]. ومن المرجح أيضًا أن ابن ظنير الميورقي سلك الطريق البحري من البصرة إلى صُحار قصبة عُمان، وغالبًا ما كانت المراكب الصغيرة تسلك هذه الطريق[3]، فالرّحالة المسعودي يذكر أن التجار كانوا يُبحرون من البصرة إلى صُحار، ومنها إلى الموانئ الفارسية والهندية والصينية وموانئ شرق أفريقيا، وبالعكس[4]. ومن المحتمل أنه ركب مركبًا من

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165. لم يحدد كل من ابن النجار، وابن منظور الوجهة التي خرج منها الميورقي إلى عُمان، غير أنه يفهم من روايتيهما أنه خرج من العراق إلى عمان (ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183)، بينما ذكر عصام سالم سيسالم أنه خرج من بغداد إلى عُمان (**جزر الأندلس المنسية**، ص423).

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص29، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

(3) ابن خرداذبة، نفسه، ص61، المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري**، ص233.

(4) المسعودي، نفسه، ج1 ص105، 139 ـ 142، الكندي، **بيان الشرع**، ج19 ص314، الحميري، **الروض المعطار**، ص413.

مراكب شيخه التستري، فقد كان من مشاهير أصحاب المراكب البصريين، وكانت مراكبه تتردد بين البصرة وغيرها من المؤانئ التجارية على الخليج[1].

وكانت عُمان حينئذ في ظل الإمامة الإباضية الرابعة المزدوجة (407 ـ 579هـ/ 1016 ـ 1183م)[2]، غير أن هذه الإمامة لم تكن تبسط سلطانها على المدن العُمانية كافة، ومنها صُحار في بعض الأوقات. وأمدنا الكندي برواية مهمة تفيد أن صُحار كانت تحت سلطان الأئمة فيما بعد منتصف القرن الخامس الهجري، وأنهم اهتموا بحمايتها، فالإمام راشد بن سعيد اليحمدي (425 ـ 445هـ/ 1033 ـ 1053م)، قلد أبا المعالي قحطان بن محمد بن قاسم ولايتها، وكلفه حمايتها وما يتصل بها من العق إلى صلان، وأمره بمنع الفساد، وعهد إلى قاضيها أبي سليمان هداد بن سعيد بإقامة العدل[3]. وكان يحكم عُمان وقت وصول الميورقي إليها الإمام راشد بن علي الخروصي (بين سنتي 470 ـ 476هـ[4]: وقيل بين سنتي 473 ـ 513هـ/ 1081 ـ 1119م)، وكان إمامًا عادلاً، فحمدته الخاصة

---

(1) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12 (أحداث سنة 479 هـ)، ص145.

(2) المعولي الأفوي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، ص156.

(3) الكندي، **المصنف**، ج10 ص212، المعولي الأفوي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، ص157 ـ 158، سالم بن حمود السيابي، **عمان عبر التاريخ**، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986م، ج3 ص35 ـ 38.

(4) الأزكوي العماني، **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة**، ص70.

والعامة، ونعمت عُمان في عهده بالأمن والأمان، فارتفع جميع الفساد كما يذكر المعولي وابن رزيق، وأمن القاريّ فيها والبادي، وعمّ أهل عُمان كافة فضلها(1)، وهذه الفترة نفسها شهدت ابتداء ملك النباهنة على طرف من نواحي عُمان، إن لم يكن على أكثرها، ومنهم السلطان أبو محمد نبهان بن عمر بن محمد بن نبهان (كان حيًا سنة 474 هـ/ 1081)(2).

7/ 2 نشاطه العلمي والتجاري

ورغم أن المصادر المشرقية التي ترجمت لابن ظنير الميورقي لم تذكر لنا شيئًا عن نشاطه بعُمان، حتى رحيله عنها، فمن المرجح أنه أفاد واستفاد خلال الفترة التي انتظر فيها موعد إقلاع المركب التي ستقله إلى بلاد الزنج؛ فقد جرت العادة كما يذكر ابن المجاور أن المراكب القادمة من أطراف الدنيا إلى صُحار، كانت ترسو بها، وكان التجار يصعدون إليها يبتاعون ويتشاورون(3)، وكان كثير من التجار البصريين يتزودون من

---

(1) المعولي الأفوي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، ص157 ـ 158، ابن رزيق، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، ص216، السالمي، **تحفة الأعيان**، ج1 ص323- 337، السيابي، المرجع نفسه، ج3 ص57، البطاشي، **اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان**، الطبعة الأولى، سلطنة عمان، 1992م، ج1 ص266 ـ 267.

(2) الستالي، **ديوان الستالي**، تحقيق عز الدين التنوخي، الطبعة الثانية، 1983م، ص261، البطاشي، **اتحاف الأعيان**، ص 277، عبد الله الحارثي، **عمان في عهد بني نبهان**، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس، 2004م، ص40 وما بعدها.

(3) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز**، ص314.

صُحار، نظرًا إلى أن بعض المراكب كانت تفرغ حمولاتها بسبب ضخامتها. فمن المرجح أنه مارس التجارة بصُحار خلال فترة وجوده بها. وكانت عُمان من أشهر المراكز التجارية قبل الإسلام وبعده، وقد أدرك المسلمون ما كانت تتمتع به من نشاط تجاري مزدهر، فتطلع من تعذرت عليه التجارة للسفر إليها، للحصول على الأرباح الطائلة التي تدرها تجارتها، وقد حثهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقال: «من تعذرت عليه التجارة، فعليه بعُمان»، أخرجه البغدادي[1]. وذكر المقدسي أيضًا: «ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر»[2]، وقد كانت الحياة التجارية بصُحار مزدهرة حينئذ، فقد استمرت حتى نهاية القرن الخامس الهجري مدينة كبيرة، وتوصف بأنها سوق عُمان[3]، فالإدريسي يذكر أنها كانت أكثر مدن عُمان «أموالاً قديمًا وحديثًا، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها يجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة، ومتاجرهم مربحة»[4]، مما يدل على أنها كانت

(1) الخطيب البغدادي، **موضح أوهام الجمع والتفريق**، ج1 ص95. وانظر: الدراسة الأولى من هذا الكتاب.

(2) المقدسي، نفسه، ص43.

(3) البكري، **جزيرة العرب**، ص35، 37.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص156. وانظر أيضاً: الاصطخري، المصدر نفسه، ص25، المقدسي، نفسه، ص87، ابن حوقل، نفسه، ص44، البكري، **جزيرة العرب**، ص37، اللواتي، المرجع نفسه، ص111.

المركز الرئيس للتجارة في الخليج، ومركز جذب لتجار الآفاق[1].

ولا شك أن وجود عالم بقدر ابن ظنير الميورقي ومكانته العلمية، كان فرصة ما كان أهل صُحار والمقيمين بها، يتركونها تمر دون الاستفادة منها، ولعله حدّث بما سمعه من روايات شيوخه، كما فعل بالشام والعراق، وقد وجدنا نصًا على قدر عظيم من الأهمية بأحد المصادر الأندلسية يؤكد ما ذهبنا إليه؛ فابن عبد الملك المراكشي يذكر عن ابن ظنير الميورقي «ثم فصل إلى عُمان طالبًا الحديث والعلم»[2]. ونستدل من نص لابن الأبار لا يقل أهمية عن النص السابق، أن ابن ظنير الميورقي مكث فترة لا بأس بها بعُمان، وأنه استغلها جيدًا، لينهل من علم شيوخها، فقال: «ثمَّ خرج إِلى عُمان مكثرًا من سَماع العِلم»[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ميناء صُحار التجاري كان يرتبط بعلاقة فكرية وطيدة بالبصرة، وقد لعب العلماء وطلبة العلم دورًا مهمًا في توثيق هذه العلاقة، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الميورقي ـ وقد عاش بالبصرة عامين كما رأينا ـ كان على دراية

(1) العاني، المرجع نفسه، ص196، وللمؤلف نفسه، **دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري**، ص19.
(2) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.
(3) ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج3، رقم 442 ص177.

بمكانة صُحار العلمية، إذ كانت ملتقى للأفكار والآراء والمذاهب الوافدة مع التجار والعلماء الذين يقصدونها، فتذاع منها إلى بقية مناطق عُمان، ولعله كان على دراية أيضًا بمنزلة شيوخها ومساهماتهم في مختلف جوانب الحياة الفكرية، فكان منهم العلماء النابغون، وأصحاب الرأي. ورغم أن هذه الحقبة من التاريخ العُماني يشوبها نوع من الغموض، فإن العلم والمعرفة كانا مزدهرين.

وكان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي زاخرًا بالعلماء العُمانيين النابهين الذين كانت لهم مدارسهم الفقهية المزدهرة، والتي كانت امتدادًا للمدارس الفقهية العُمانية منذ القرن الثاني الهجري، وقدم هؤلاء العلماء للمكتبة العُمانية، وللدراسات الإسلامية العديد من الكتب القيمة[1]. ورغم أن المصادر لم تسعفنا بأسماء علماء عُمان الذين لقيهم الميورقي، وسمع وأخذ منهم. فمن المرجح أنه التقى بعض شيوخ عُمان المقيمين بصُحار والوافدين عليها من المراكز العلمية العُمانية الشهيرة، كنزوى، وغيرها. وقد كانت صُحار ونزوى تزخران بكوكبة من مشاهير شيوخ الحديث والعلم، حينئذ، نذكر منهم: الشيخ العلامة الفقيه القاضي أبا زكريا يحيى بن سعيد بن قريش العقري النزوي الهِجَاري ـ نسبة إلى قرية الهجار بولاية صحم القريبة من صُحار ـ (ت 472هـ/ 1079م)،

(1) عمان في التاريخ، ص238.

وكان من مشاهير علماء زمانه، ومن مؤلفاته كتاب الإيضاح في الأحكام والقضاء في أربعة مجلدات، وهو من الكتب القيمة المعتبرة في أحكام القضاء، ويعد من أهم المراجع عند الإباضية في فقه القضاء[1]، ومن مؤلفاته أيضًا: كتاب الإمامة، وكتاب الرقاع[2]، ومنهم أيضًا: الشيخ العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي السمدي النزوي (ت 508 هـ/ 1114 م)، وكان من أشهر علماء زمانه، ومن كبار المؤلفين في عصره، ولو لم يكن له كما يذكر البطاشي من المؤلفات إلا كتاب بيان الشرع، وهو جامع لأصول الشرع وأصوله، وتبلغ أجزاؤه اثنين (وقيل: ثلاثة) وسبعين جزءًا، لكفى، وهو عند المشارقة أشهر من نار على علم، وكان مرجعًا لمن جاء بعده من الفقهاء والمؤلفين الإباضية، يستمدون منه، وينهلون من معينه، ويعترفون بفضله، فهو موسوعة فقهية شاملة تضم أقوال العلماء المتقدمين في العلوم الشرعية، وقد نقل الكندي هذه الأقوال بدقة وأمانة[3].

(1) يحيى بن سعيد، **كتاب الإيضاح في الأحكام**، تحقيق محمد محمود إسماعيل، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1984م، مبارك بن عبدالله الراشدي، **نشأة التدوين للفقه واستمراره عبر العصور**، ندوة الفقه الإسلامي، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 1990م، ص191، **عمان في التاريخ**، ص238، اللواتي، **تاريخ عمان الحضاري**، ص211.

(2) البطاشي، **اتحاف الأعيان**، ج1 ص266، فهد بن علي السعدي، **معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية**، دار الجيل الواعد، مسقط، 2007م، ج4 ص305.

(3) ابن مداد، **سيرة ابن مداد**، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1984م، =

ومنهم أيضًا: الشيخ العالم الفقيه أبو علي الحسن بن أحمد ابن نصر الهجاري ـ نسبة إلى بلدة هجر بوادي بني خروص ـ (ت 502 هـ/ 1108 م)، وهو من علماء القرن الخامس، ومن قضاة زمانه، وله أجوبة كثيرة[1]، والشيخ العالم نجاد بن موسى ابن نجاد بن إبراهيم المنحي (ت 513 هـ/ 1119 م)، من أهل منح، وهو من بيت علم وفضل، وكان من معاصري الإمام خنبش بن محمد (ت 510 هـ/ 1116 م)، ومؤيديه، وتقلد قضاء عُمان في عهده، ففوّض إليه الإمام خنبش أمور عُمان برها وبحرها وسهولها وجبالها، وكان هذا الشيخ من علماء الطائفة الرستاقية التي أغنت الساحة العُمانية بمؤلفات قيمة، شهدت لها بتضلعها من علوم اللغة، وأصول الفقه والحديث، ومن مؤلفاته كتاب الأكلة وحقائق الأدلة، في عدة أجزاء، وكتاب البصائر والإرشاد في الولاية والبراءة، في خمسة أجزاء[2].

ومن المرجح أن الميورقي أقبل على حلقات العلم التي

= ص32، البطاشي، **إتحاف الأعيان**، ج1 ص236 ـ 246، الراشدي، المرجع نفسه، ص191، **قراءات في فكر أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكندي**، المنتدى الأدبي، السيب، 1994م، **عمان في التاريخ**، ص238، السعدي، **معجم الفقهاء والمتكلمين**، ج3 ص40، اللواتي، المرجع نفسه، ص211 ـ 214.

(1) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج1 ص323 ـ 331، البطاشي، **إتحاف الأعيان**، ج1 ص247.

(2) البطاشي، **إتحاف الأعيان**، ج1 ص276 ـ 291، **عمان في التاريخ**، 238، السعدي، المرجع نفسه، ج4 ص270، سعيد الهاشمي، **دراسات في التاريخ العماني**، منشورات النادي الثقافي، مسقط، 2011م، ص165.

كانت تعقد في جامع صُحار، وهو من أقدم المساجد في عُمان، فقد شجع حكام عُمان حلقات العلم التي كانت تعقد في هذا المسجد، خصوصًا حلقات التفسير والحديث، والفقه، والأصول والعقيدة، لما لها من أثر عميق في وعي طلاب العلم بمبادئ الدين، وزيادة تمسكهم به، ليصبحوا مؤهلين للقيام بدورهم في حمل رسالة الإسلام، وتبليغها إلى الناس[(1)]، ولعله تردد أيضًا إلى مجالس الأشياخ، وهي لقاءات علمية كانت تعقد في الغالب في دار أحد كبار العلماء.

ثامنًا: رحلته إلى بلاد الزنج

1/8 تاريخها ومسارها

أفادت المصادر أن ابن ظنير الميورقي قد حكى لصديقه أبي غالب الماوردي البصري، أنه لما وصل إلى عُمان، ركب منها البحر إلى بلاد الزنج[(2)]. وللأسف فإن هذه المصادر لم تحدد تاريخ تلك الرحلة. ومن المرجح أنه رحل عن عُمان إلى

---

(1) الكندي، **بيان الشرع**، ج68، ص43، اللواتي، **تاريخ عمان الحضاري**، ص198.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، محمود محمد الحويري، **ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي**، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص44. ذكر ابن منظور أن ابن ظنير الميورقي ركب في البحر إلى بلاد الزنج (ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183) دون أن يحدد الوجهة التي انطلق منها.

بلاد الزنج في أحد شهور فصل الخريف (ربيع الأول ـ جمادى الآخرة) لسنة 471 هـ/ سبتمبر ـ ديسمبر 1078م، فقد كانت هذه الفترة من السنة هي الأنسب لحركة الملاحة من عُمان إلى سواحل شرق أفريقيا؛ بفضل الرياح الموسمية التي تهب على المحيط الهندي، فقد كانت تمكن المراكب العُمانية الشراعية المعروفة بالدو Dhow من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، ففي فصل الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي، فتخرج من خليج عُمان إلى المحيط الهندي، ثم تسير بمحاذاة الساحل الإفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي، وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر ـ وهم أرباب المراكب من السيرافيين والعُمانيين ممن يقطعون هذا البحر، ويختلفون إلى عمائره من الأمم التي في جزائره وحوله ـ إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة[1].

وكانت الرحلة البحرية من عُمان إلى بلاد الزنج تجري في سرعة فاقت أمثالها إلى الصين، برغم خضوع كل منهما للرياح الموسمية التي تهب في المحيط الهندي، وكانت الرحلة تستغرق شهرين في الذهاب، ومثلها في الإياب؛ وقد رصد الجاحظ أسباب ذلك في دقة بالغة، فذكر أن بحر الزنج أعمق وأوسع، والرياح به أشد مما عليه بحر الصين، كما أن عدد

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج1 ص91.

الموانئ التي كانت تتوقف فيها المراكب العُمانية في طريقها إلى بلاد الزنج، أقل من أمثالها في طريق الصين «فلما كان البحر عميقًا والريح قوية، والأمواج عظيمة، وكان الشراع لا يحط، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس، ولا يعرفون الخب والمكلاء، فصارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»[1]. ولهذا نرجح أن ابن ظنير الميورقي وصل إلى بلاد الزنج في رجب 471 هـ/ يناير 1079 م.

ولقد ذكرنا فيما سبق أن رحلات المراكب العُمانية إلى شرق أفريقيا كانت تنطلق من ميناء صُحار، ثم تمر بمسقط، لتتزود بالمؤونة والماء، ويمر خط سيرها على بعض الموانئ في الطريق مثل القريات، وصور، ومصيرة[2]، ثم تكمل مسيرها شرقًا، ليمر خط سيرها بموانئ ظفار، ومَرباط، وريسوت، فموانئ اليمن، وخصوصًا عدن[3]، فقد كان ميناء عدن «فرضة لما يرد من مراكب عُمان[4]، والصين، والهند، وكرمان، وفارس»[5]. ونستدل من الإشارات المصدرية على أن بعض

(1) الجاحظ، **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الحلبي، القاهرة 1965- 1969م، ج3 ص264، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، ص202 ـ 203.

(2) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م، ص45.

(3) السيرافي، **أخبار الصين والهند**، ص90،

(4) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص285.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص54.

الرحلات كانت تنطلق مباشرة من صُحار إلى جزيرة سقطرى[1]، وبينها وبين الساحل مجريان بالريح الطيبة[2]، ومنها إلى سائر المدن، والجزائر الواقعة في بحر الزنج، فالإدريسي يذكر أنها كانت تقابل من جهة بلاد الزنج مدينتي ملندة ومنبسة[3]، ومن سقطرى تنطلق المراكب أيضًا إلى جزيرة قنبلو، فتنحدر من خليجها إلى سفالة أقاصي بلاد الزنج[4]. ومن المرجح أن الميورقي سلك الطريق الأول، فقد كان الطريق من عُمان إلى شرق أفريقيا عبر عدن هو المفضل كما ذكر حوراني للمراكب العُمانية، لأن التوقف في ميناء عدن يجلب النفع، ولأن القراصنة الهنود في سقطرى جعلوا عرض البحر محفوفًا بالأخطار[5].

8/ 2 إشكالية الموضع الذي نزل به

لم تحدد الروايات أيضًا أي بلد من بلاد الزنج رحل إليها ابن ظنير الميورقي. ويذكر أحد الباحثين أنه انتقل من عُمان عبر البحر إلى سواحل إفريقية الجنوبية الشرقية[6]، دون أن يحدد

(1) البكري، **جزيرة العرب**، ص38.
(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص49.
(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص51.
(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص6، اللواتي، **تاريخ عمان الحضاري**، ص140 ـ 141.
(5) حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص230، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي**، ص173-174.
(6) خالد البكر، **الرحلة الأندلسية**، ص84.

ساحلًا بعينه، ولعله يقصد سواحل جزيرة قنبلو، ويذكر باحث آخر أنه رحل إلى زنجبار[1]. ولا ندري إن كان يقصد زنجبار بمعنى ساحل شرق أفريقيا، أم يقصد زنجبار الجزيرة المعروفة فيما بعد؟!

وفي الواقع إننا لا نستطيع أن نحدد مكانًا بعينه وصل إليه ابن ظنير الميورقي، فشعوب شرق أفريقيا القاطنة بساحله وجزره كثيرة ومتنوعة، لا يعلم وصفهم كما يذكر المسعودي «ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى»[2]، ومما يصعب تحديد المكان أيضًا أن نواخذة بحر الزنج من السيرافيين والعُمانيين، كانوا حسب رواية المسعودي ومشاهداته «يقطعون بحر الزنج ويختلفون إلى عمائره من الأمم التي في جزائره وحوله»[3]. ويقول المسعودي عن الزنج أيضًا: «وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة»[4]. والجدير ذكره أن المدَّ الإسلامي الوافد إلى ساحل شرق أفريقيا في ركاب الهجرات الإسلامية القادمة من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي لم يتوقف على مرِّ السنين[5]،

(1) عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص423.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص87.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص91. وانظر أيضاً: المصدر نفسه، ج1 ص84، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص87 ـ 90.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.

(5) عن هذه الهجرات، راجع: جمال زكريا قاسم، **الجذور التاريخية**، ص66 ـ 80، النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا**، ص242 ـ 312، Ingrams, **Zanzibar**, pp.74-76.

وترتب على ذلك أن تأسست مدن إسلامية مزدهرة على الساحل صارت بيئة صالحة لانتشار الإسلام بين الأفارقة من ناحية، وتغَلُّب مظاهر الثقافة العربية الإسلامية عليهم من ناحية أخرى. ونلْمَس ذلك بوضوح في دولة الزنج التي ظهرت بالساحل في القرن العاشر الميلادي، وظلَّت باقية حتى أوائل القرن السادس عشر، رغم القلاقل والانقسامات التي تنازعتها، فقد شيَّدت تلك الدولة عدة مدن إسلامية، وأقامت المساجد في كل مدينة، حيث عرف الكثير من القبائل الطريق إليها، وفي هذا المظهر الديني يتوافر الدليل القاطع على أن كثيرًا من الأفارقة قد تحوَّلوا إلى الإسلام[1].

ومن المرجح أن ابن ظنير الميورقي الذي ركب مركبًا من صُحار متجهًا إلى بلاد الزنج، قد نزل بناحية يعرفها البحارة العُمانيون، واعتادوا التردد إليها مرارًا بسفنهم للتجارة، وتربطهم بها علاقات وطيدة، وأن أهلها كانوا من المسلمين، ويعرف بعضهم اللغة العربية معرفة بسيطة، دعته إلى أن يحدثهم بما معه من العلوم الإسلامية، والآداب وعلوم العربية كما سنرى. ويرجح الباحث أن الميورقي وصل إلى جزيرة الأنجزيجة كبرى جزر القمر، وقاعدتها جزيرة الأنجية «أنفوجة»، وتقع كما ذكر ابن سعيد في الجانب الجنوبي منها[2]، فكانت المراكب من عُمان تدخلها «فيبيعون بها متاعهم

(1) توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص379، جمال زكريا قاسم، **الجذور التاريخية**، ص 79.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61، ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص104.

ويشترون متاع الزنج»[1]، وكان لأهل عُمان تأثير في الحياة الزراعية بها كما ذكرنا سابقًا[2].

وجزيرة الأنجية هي نفسها جزيرة قنبلو التي اعتاد العُمانيون، وغيرهم التردد إليها كثيرًا، كما رجح القبطان جيان Guillain ومَنْ حذا حذوه من الباحثين[3]، ومنهم: جمال زكريا قاسم، فقد أخذ بهذا الرأي، رغم تحفظه على بُعد جزيرة الأنجزيجة عن صُحار بأكثر من الخمسمائة فرسخ التي حددها المسعودي، كمسافة بين قنبلو وصُحار، وبرر ذلك بأن جيان كان ربانًا لسفينة، وعلى دراية كبيرة بفنون الملاحة[4]. وبالرجوع إلى نص المسعودي وجدناه يذكر أن النواخذة حددوا هذه المسافة بالتخمين، وليس عن طريق المساحة، فقال: «ومنها ـ قنبلو ـ إلى عُمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ، على ما يقول البحريون حَزْرًا منهم لذلك، لا على طريق التحصيل والمساحة»[5]. مما ينفي معه تحفظ جمال زكريا قاسم. غير أن بعض الباحثين، ومنهم: Ingrams ذهبوا إلى أن جزيرة الأنجية ربما تكون جزيرة مافيا، أو جزيرة بمبا، معتمدًا على أن الصينيين قد تعاملوا معهما تجاريًا، وعثر بهما على

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص61.
(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، م1 ص62.
(3) شارل جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا، ص93.
(4) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية، ص32 ـ 33.
(5) المسعودي، مروج الذهب، ج1 ص78.

بعض العملات والخزف الصيني[1]. وذهب بعضهم إلى أن جزيرة الأنجية ما هي إلا جزيرة زنجبار، وهي المعروفة بدار السلام حاليًا[2]، وقالوا إن لزنجبار ثلاثة أسماء، هي الأنجية، وأنقوجة، وزنجبار، وذكر المغيري أنها كانت تسمى أنجوجا قديمًا، وهو اسم أنقوجة بالسواحلية[3].

وفي الواقع إن جزيرة قنبلو كانت ولا تزال موضع جدل بين الباحثين المتخصصين في تاريخ شرق أفريقيا وجغرافيته من أجل معرفتها بالضبط، ورغم أن المسعودي أورد بعض الأوصاف والتحديدات الجغرافية الخاصة بموقعها، فإنها لا تعين هؤلاء الباحثين على وضع تحديد نهائي لها، لاسيما أن هناك جزرًا متعددة في مياه شرق إفريقا تنطبق عليها أوصاف المسعودي كلًا

---

(1) Ingrams, **Zanzibar**, p.89.

(2) المغيري، **جهينة الأخبار**، ص ع من مقدمة المحقق.

(3) النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا**، ص460 ـ 462. وتتكون زنجبار، وهي مكونة من مقطعين: (زنج)، و(بر)، فزنج صفة لأهالي الساحل الشرقي لإفريقيا، وبر هي الأرض المقابلة لساحل البحر، فاسم زنجبار أصله عربي، بمعني بر الزنج (النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا**، ص461). بينما يذكر بعض الدارسين أن أصل تسمية زنجبار فارسي، فبار تعني الساحل بالفارسية، فقد كان التجار من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج أقدم من وطئها، جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، ص61، 78،

Ingrams, **History Arabia and the Isles,** Landon, 1960, p.3.).

بينما ذهب فريق آخر إلى أن (بار) بالسنسكريتية تعني (بلاد)، فزنجبار أي بلاد الزنج (شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص301).

أو جزءًا[1]، وقد درس المستشرق الإنجليزي سبنسر ترمنجهام النصوص الجغرافية كافة التي أوردها الجغرافيون والرحالة العرب حول جزر بلاد الزنج، فتوصل إلى أن قنبلو من الممكن أن تكون بمبا، أو زنجبار، أو مافيا، وليست مدغشقر[2]، وقد أيده بعض الدارسين فيما ذهب إليه، وإن اعتقد بعضهم أنها جزيرة زنجبار أكبر جزر ساحل الزنج، وأهمها بوصفها مركزًا سياسيًا وتجاريًا عربيًا إسلاميًا[3].

وهناك أيضًا بعض الدراسات التي ترجح أن جزيرة قنبلو التي وردت في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، إنما هي جزيرة مدغشقر الحالية. ويذكر جي كيركمان Kirkman J. أنه من المفترض أن تكون جزيرة قنبلو (كانابالو)، هي رأس مكومبو في جزيرة بيمبا، فقد عثر على آثار لمسجد كبير، ولبيوت، ولمقابر ذات أعمدة، غير أن الحفريات التي قام بها كيركمان في هذا الموقع سنة 1958م، كانت محدودة النطاق،

---

(1) صباح إبراهيم الشيخلي، **العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا**، مجلة الوثيقة، العدد الثالث عشر، السنة السابعة، يوليو 1988م، ص177، عمان في التاريخ، 186.

(2) Trimingham (S), **the Arab Geographer and the East African Coast in East Africa and the Orient,** ed. By Chittick and Rotary, New York, 1957, pp.129-130.

الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار**، ص87، هامش رقم 3.

(3) آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ج2 ص369، **عمان عبر التاريخ**، ص186، اللواتي، ص140 هامش 7،

Ingrams, **Zanzibar**, p.80, pp.81-82.

ولم يعثر على شيء يمكن أن يكون سابقًا على القرن السادس أو السابع الهجري، مما دعاه إلى أن يميل للقول بأن كانابالو كانت تقع في إحدى جزر القمر، غير أنه استدرك على ذلك، فقال إنه لم يعثر على شيء يؤيد وجود مثل هذا الموقع هناك[1].

ونسوق من الأدلة ما يرجح أن الأنجية ليست زنجبار، وأنها قنبلو من جزر القمر؛ فالمسافة بين قنبلو وبين ساحل الزنج كما يذكر المسعودي نحو من يوم أو يومين[2]، بينما زنجبار لا تبعد عن الساحل سوى خمسة وثلاثين ميلاً تقطعها المراكب في مدة قليلة جدًا. ويذكر الإدريسي أن بين جزيرة الأنجية وقاعدتها الأنقوجة «وبين مدينة البانس التي من ساحل بلاد الزنج مجرى واحد»[3]، والمجرى كما حدده المتخصصون مسيرة يوم في البحر[4]. وسبق للإدريسي أن حدد موقع البانس من منبسة، فقال: «ومن منبسة إلى قرية البانس في البر ستة أيام، ومجرى ونصف في البحر»[5]، في حين أن زنجبار لا تبعد عن منبسة والساحل غير مسافة قليلة. كذلك فإن ابن سعيد ينقل عن الرحالة المغربي ابن فاطمة أن جزائر الزّانج (القمر)

(1) جي كيركمان، **التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، ص280 ـ 281. وانظر أيضاً: النعماني، **الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا**، ص466 ـ 468.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61 ـ 62.

(4) أحمد بن ماجد، **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، ص185.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص60.

تتلو جزيرة كلوة[1]، وهي أي كلوة تأتي كما حددها الجغرافيون بعد أرخبيل لامو الذي تقع فيه زنجبار[2]، ومن الأدلة أيضًا على أن زنجبار ليست قنبلو، ما ذكره الأوسي السيرافي أن قنبلو كانت حصينة جدًا في القرن الرابع الهجري، فكان حولها «حصنًا وثيقًا، وحول الحصن خور فيه من ماء البحر، وقنبلة في ذلك الخور مثل القلعة الحصينة»[3]، ولم تتمتع زنجبار بهذه الحصانة حينئذ. وأخيرًا فإن الكتاب المحدثين استطاعوا أن يتعرفوا في مدغشقر إلى جزيرة القمر (الأنجية)، بفضل الامتداد المفرط الذي قدره لها ابن سعيد معتمدًا على أسفار الرحالة ابن فاطمة، مما جعلها أكبر جزر المحيط الهندي[4].

وبعد هذا العرض نذهب إلى الأدلة التي ترجح نزول الميورقي بجزيرة الأنجية (قنبلو)؛ فقد كان لهذه الجزيرة عمارات متصلة، وقرى كثيرة[5]، وكانت عامرة بالسكان، وبها قوم من المسلمين بين الكفار من الزنوج، إلا أن لغتهم زنجية[6]، وهي اللغة هي ذكرها الإدريسي بلغة أهل الرانج[7]، وذكر ابن سعيد أن الرحالة ابن فاطمة قد دخلها،

---

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص104.

(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**.

(3) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص192 ـ 194.

(4) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص66، Ingrams, **Zanzibar**, p.83.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

(6) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص61.

وقال إنها «للمسلمين كمقدشو»[1]. وسبق له أن وصف مقدشو بأنها مدينة الإسلام المشهورة، والمترددة الذكر على ألسن المسافرين[2]. كذلك كانت تتمتع بازدهار تجاري، فكان التجار يقصدونها من عُمان، والهند، والصين، وغيرها بمتاعهم، ويتبادلون مع أهلها التجارة، فالإدريسي يقول: «وتجاراتها كثيرة، والداخل إليهم في كل سنة كثير بضروب من الأمتعة، وجمل من البضائع التي يتصرفون إليها ومنها»[3]، وفي هذا المعنى يقول ابن سعيد «وهي بلد حط وإقلاع»[4]. ونستدل من رواية قيمة للإدريسي على بعض أسباب تقاطر التجار إلى هذه الجزيرة، والتعامل مع أهلها، والاستئناس بهم، فقد سعوا إلى استقطاب التجار الغرباء إلى جزيرتهم، بما كانوا يتحلون به من مكارم الأخلاق، فقال: «وأنسوا إليهم، لعدلهم، وحسن معاشرتهم ومعاملتهم، وسماحة تجارهم، فهي لذلك عامرة والمسافر إليها كثير»[5]. وسوف نلمس هذه الأخلاق الحميدة، عند التفافهم حول ابن ظنير الميورقي، وتقديرهم له، وتمسكهم ببقائه معهم.

---

(1) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص82.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62، شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص62، David Son, **The Lost Cities of Africa**, P.190.

(4) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص84.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص62.

8/ 3 نشاطه العلمي والتجاري والدعوي

أفادت الروايات أن نشاط ابن ظنير الميورقي العلمي بلغ الذروة ببلاد الزنج، فقد حدث المسلمين هناك بما معه من العلوم التي استقاها من شيوخه بالأندلس، والشام، والعراق، وعُمان، ومنها: الأدب، والعلوم الإسلامية، كالفقه، والحديث، وكان قد بلغ الغاية فيها، كذلك دَرّس لهم علوم العربية، والنحو[1]، وكان مقدمًا فيها كما ذكرنا. ومن المرجح أن هذه الجلسات العلمية كانت تعقد في مسجد الجزيرة الجامع، كما جرت العادة بالبلاد الإسلامية وقتئذ. ويستفاد من الروايات أن الزنوج أقبلوا على العربية والنحو بشغف، فابن ظنير الميورقي يذكر «فما نفق عندهم إلا النحو»[2]. وهذا يؤكد شدّة حاجة سكان الساحل الشرقي لأفريقيا إلى تحصيل العلوم العربية، ولعل السبب في ذلك، أن إتقان العربية وقواعد النحو يتيح لهم آفاقًا واسعة في التبادل التجاري مع العرب، فقد أصبحت اللغة العربية وسيلة أساسية في هذا التبادل؛ وترتب

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183، محمود محمد الحويري، **ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي**، ص44.

على إتقان الزنوج لها ظهور صناعات وتجارة تختلف عن التجارة الصامتة التي تقوم الإشارات فيها مقام اللغة في التفاهم، وتختلف أيضًا عن المبادلة البدائية في الخامات، ولكنها تنطوي على مهارة فائقة وتجارة منظمة نظامًا محكمًا[1] كما أن إتقان العربية يتيح لهم أيضًا التعمق في أمور الدين الإسلامي[2]؛ فاللغة العربية وعاء الدين والفكر الإسلامي، وبها تتم الواجبات الدينية الإسلامية، كما أنها لم تعد لغة العرب وحدهم، بل أصبحت لغة كل المسلمين، ومنهم مسلمو شرق أفريقيا[3]. والجدير ذكره أنه منذ اعتنق الأفارقة الإسلام، واستقبلوا الثقافة العربية، لم تظهر اتجاهات عنصرية، ولا محلية، بل كان هناك توحد مطلق وتكامل حقيقي، وتفاعل عضوي بين الحضارتين الإسلامية والإفريقية، بل إن الأفارقة وحدوا بين الفكر الإسلامي والثقافة العربية، وكانوا يرون أنه من تمام الإسلام، الانتساب إلى العروبة، ولهذا نجد كثيرًا من الجماعات والأفراد منهم، يصلون أنسابهم بالعرب، وهذا يدل على الاعتزاز بهذه الحضارة التي وجدوا فيها حقيقتهم[4]. وهذا أيضًا يمكن اعتباره سببًا قويًا لإقبالهم على تعلم اللغة العربية، وشغفهم بها.

---

(1) حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص80.

(2) F.B.Pearce, **Zanzibar**, p.36, Chittick Nevlle, Kilwa, and the Arabe Settlement of the African Coast, journal of the African History, vol.1V.2.1963, p.79 sq.

(3) محي الدين صابر، **العرب وإفريقيا العلاقات الثقافية**، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص11 ـ 13.

(4) محي الدين صابر، المرجع نفسه، ص13 ـ 14.

ونستدل من نص مهم للمسعودي على سبب آخر لشدة إقبال الزنوج على تعلم قواعد اللغة العربية، وتطلعهم للتعمق فيها، فقد كانوا يهتمون بفقه لغتهم المحلية، حتى أصبحوا أولي فصاحة، وصار منهم خطباء بلغاء، يخطبون الناس، ويعظونهم، ويرغبونهم في القرب من خالقهم[1]. فلعلهم كانوا يتطلعون أيضًا ليصبحوا أولي فصاحة في العربية، ليتمكنوا من أداء دورهم التنويري بين إخوانهم الزنوج.

والجدير ذكره أنه قد نتج من امتزاج العرب بالإفريقيين ظهور ثقافة مميزة للساحل الشرقي لأفريقيا، إذ استقرت السواحلية لغة قائمة بذاتها، وكانت تشكل مزيجًا من الذي أتى به العرب ومن توافد معهم من عناصر أخرى كالفرس والهنود، والأوروبيين فيما بعد، وما كان ملكا خالصًا للإفريقيين، خصوصًا لغات البانتو، وتحتل المفردات العربية ولاسيما الألفاظ المستعملة في الشؤون التجارية والدينية، جانبًا كبيرًا من تكوينها، بلغ مقدارها من الربع إلى الخمسين، كما ذكر رويش Reush، وهو أحد المتخصصين في اللغة السواحلية وآدابها وتاريخها[2]. فلعل إقبال الزنوج على تعلم العربية كان بسبب رغبتهم أن تكون لغة قائمة بذاتها أيضًا، باعتبارها لغة الأرستقراطية الحاكمة في معظم ساحل شرق أفريقيا.

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2 ص14، السيرافي، **رحلة السيرافي**، ص100، النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية**، ص42.
(2) جمال زكريا، المرجع نفسه، ص26 -27،

Reush, **History of East Africa,** p, Harold D. Nelson, **Mozambique:** a country study, p.10.

ومما لاشك فيه أن ابن ظنير الميورقي قد لعب دورًا مهمًا في تعليم هؤلاء الزنوج اللغة العربية، وتضاف جهوده في هذا المجال إلى جهود غيره من العرب. وقد أتت ثمارها بشكل رائع، فالروايات تذكر أن الزنوج، وخصوصًا شعب الانتيمورونا قد عرفوا الكتابة العربية بعد اعتناقهم الإسلام وانتشاره بين أفراده(1). وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل وبين السكان على اختلاف عناصرهم، مما دفع بعض طلاب العلم إلى الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية، ليَنْهَلُوا من علوم المعرفة.

ورغم أن المصادر التي ترجمت لابن ظنير الميورقي لم تشر إلى قيامه بنشاطات أخرى ببلاد الزنج، سوى نشر العلم بين الزنوج. فمن المرجح أنه مارس التجارة أيضًا، فلم يكن هناك ما يمنع من المزاوجة بين طلب العلم والتجارة؛ فكثير من أهل الأندلس الذين رحلوا عن بلادهم إلى أقطار المشرق الإسلامي، برًا وبحرًا، وتنقلوا بين بلدانه، قد تجشموا عناء السفر إلى هناك، وغامروا بأرواحهم من أجل تحقيق تلك الرغبة المزدوجة: طلب العلم والرزق، وقد استخدم أصحاب كتب

(1) جورج حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص231، توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص390، جمال زكريا قاسم، **استقرار العرب بساحل شرق إفريقية**، حوليات آداب عين شمس، العدد العاشر، 1964 ـ 1965م، ص303، وله أيضاً: **المصادر العربية لتاريخ شرق إفريقية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، 1968م، النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية** ص76 ـ 77.

التراجم والطبقات الأندلسيون تعبيرات تدل على مزاوجة طلاب العلم الأندلسيين بين العلم والتجارة بمراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، ومنها: «رحل إلى المشرق رحلتين، وكان متصرفًا في التجارة»، «ورحل حاجًا وتاجرًا»، و«رحل إلى المشرق حاجًا وتاجرًا»[1]، وقد قدم أحد طلاب العلم الأندلسيين ويدعى محمد بن عيسى البياني إلى صُحار، وتتلمذ على يد الإمام محمد بن محبوب الرحيلى قبل وفاته سنة 260هـ/ 873م[2]، وقد رجحنا في دراسة أخرى أنه مارس التجارة أيضًا بصُحار، أي إنه زاوج بين العلم والتجارة، واتخذ عُمان معبرًا إلى بلاد فارس[3]. واستقصاء أخبار رحلة ابن ظنير الميورقي كما عرضناها تؤيد مزاوجته بين العلم والتجارة، كمعظم طلاب العلم الأندلسيين، للإنفاق على معيشته، فقد كان يقيم بالبصرة، وهي مركز تجاري مهم، كذلك رحل إلى عُمان ورجحنا أنه مارس التجارة بها، وما كان ليتجشم المشقة والرحلة إلى بلاد الزنج، ليُدرس أهلها النحو وغيره فحسب، وإنما ليبحث عن فرصة عيش أفضل، وأخيرًا فقد عثرنا على نص مهم يؤيد اشتغاله بالتجارة ببلاد الزنج، فقد أخبر صديقه الماوردي عندما لقيه بمكة المكرمة سنة 473 هـ، كما سنرى،

(1) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، تراجم: 757، 764، 134، 1066، 1462، الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، رقم310 ص229.

(2) ابن الفرضي، المصدر نفسه، ق2، رقم1243 ص54.

(3) راجع الدراسة الأولى من هذا الكتاب.

أنه كسب من الزنوج نحو ألف دينار، وقال له أيضًا: «لو أردت أن أكسب منهم ألوفًا لأمكن ذلك»[1]، فلا شك أنه حقق هذه المكاسب من الاشتغال بالتجارة.

ومن المرجح أن ابن ظنير الميورقي لم يكتف بنشاطه العلمي والتجاري ببلاد الزنج فحسب، إنما قام بالدعوة إلى الإسلام بين الزنوج الكفار أيضًا، وأنه قام بنشره بينهم بالوسائل السلمية، فقد التفوا حوله، لما أبداه من تواضع، وحسن الخلق، والتدين العميق، فابن النجار يذكر «وكان على وجهه أثر العبادة»[2]. ولقد كانت هذه الصفات الحميدة التي تنطوي على الرفق والإناة كما يذكر توماس أرنولد من أساليب الدعاة في نشر الإسلام في شرق أفريقيا، وغيرها من بلدان المحيط الهندي؛ فحينما شق الإسلام طريقه إلى هذه البلاد، كان الدعاة يحملون الدلائل لعقائد هذا الدين، فالتاجر المسلم كان يجمع بين نشر الدعوة إلى الإسلام وبيع سلعته، وكانت حرفته وحدها كفيلة أن تجعله على صلة مباشرة بأولئك الذين يريد أن يحولهم إلى الإسلام، وتنفي عنه كل ما يحتمل أن يتهم به من دوافع شريرة، فعندما كان يدخل القرى الوثنية، كان يلفت الأنظار إليه

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30 ـ 30، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، ص85، محمود محمد الحويري، **ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي**، ص44.

(2) ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

سريعًا، بكثرة وضوئه، وهو من مظاهر النظافة المحببة إلى النفوس البشرية، وانتظام أوقات الصلاة والعبادة، فكان بهذه الصفات الحميدة يستميل القلوب إليه، ويفرض احترامه والثقة به على الأهالي الوثنيين، الذين يبدي لهم في الوقت نفسه استعداده ورغبته في إمدادهم بمزايا هذا الدين الذي يتعبد وفق أحكامه، وعن منشئ هذا الدين الذي أوجد هذه الفضائل[1]. وكان هؤلاء المعلمون الدينيون يحظون بأوفى نصيب من التقدير، وفي بعض قبائل إفريقية تضم كل قرية دارًا لاستقبالهم، ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير[2].

تاسعًا: عودته من بلاد الزنج عبر عُمان إلى العراق

أفادت الروايات أن المراكب البحرية كانت تذهب من عُمان إلى بلاد الزنج وترجع إليها[3] وكانت هذه المراكب تسير بشكل قوافل بلغ بعضها ست عشرة سفينة[4]. ورغم صمت

---

(1) توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص390- 400، حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص73، 76 ـ 79، محمد قرقش، **المدخل إلى تاريخ الإسلام في إفريقية مع دراسة للدور العماني**، الموزع مكتبة ابن كثير، سلطنة عمان، 1995م، ص386 ـ 388.

(2) توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص392.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص84 ـ 85، الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص93 ـ 94، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى**، ص181 ـ 182.

(4) الأوسي السيرافي، نفسه، 93 ـ 94، العاني، المرجع نفسه، ص182.

المصادر عن تحديد المدة التي أمضاها ابن ظنير الميورقي ببلاد الزنج، غير أنها أشارت كما رأينا إلى وجوده بمكة المكرمة في سنة 473 هـ، لأداء فريضة الحج، مما يعني أنه رحل عن بلاد الزنج قبل شهر المناسك (ذو الحجة 473 هـ/ مايو 1081 م) بوقت كاف، ليتمكن من الوصول إلى جدة، ومنها إلى مكة المكرمة. والجدير ذكره أن المراكب العُمانية، وغيرها كانت تغادر سواحل شرق أفريقيا في فصل الربيع، ففي هذا الوقت من السنة تهب الرياح الموسمية في المحيط الهندي باتجاه شمالي شرقي، فتدفع السفن التجارية بهذا الاتجاه، وتمكنها من العودة إلى قواعدها في سواحل عُمان والجزيرة العربية[1]. ولهذا نرجح أن ابن ظنير الميورقي غادر بلاد الزنج في شهر شوال سنة 473 هـ/ مارس 1081م، أي إنه مكث ببلاد الزنج أكثر من عام، وبالتقريب خمسة عشر شهرًا (رجب 471 ـ شوال 473 هـ/ يناير 1079 ـ مارس 1081 م). ولما رحل عنها، تأسف الزنوج كما ذكرنا على خروجه من عندهم[2].

رحل ابن ظنير الميورقي إذن من بلاد الزنج، فتوجه إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج، فيسره الله له، والتقى هنالك الماوردي البصري صديقه وزميل دراسته[3]. ولم تمدنا

(1) جمال زكريا، **دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا**، ص22.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30 ـ 31، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ص85.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ياقوت الحموي، =

المصادر بأية إشارات عن كيفية وصوله من بلاد الزنج إلى مكة المكرمة. ومن المنطقي أن يبحر من هناك مع العُمانيين في مراكبهم العائدة إلى بلادهم. لكننا لا نعرف هل عاد مباشرة إلى عُمان، وكانت منطقة عبور لبعض الحجاج القادمين من شرق أفريقيا، بواسطة المراكب التجارية العُمانية، ثم التحق بركب الحج العُماني في مساره البحري عبر بحر العرب إلى مدينة عدن، فقد كان «طريق عُمان في البرية إلى مكة أو غيرها صعبة جدًا، لكثرة القفار، وقلة السكان، وإنما يسافرون في المراكب على البحر إلى مدينة عدن»[1]، ومن عدن يسافرون إن شاؤوا برًا، أو بحرًا إلى مكة المكرمة[2]، ويستفاد من نص قيم للأوسي السيرافي على وجود خط بحري من عُمان إلى جدة[3]. أم أنه نزل من السفينة العُمانية التي أقلته من بلاد الزنج، بأحد الموانئ اليمنية، ثم التحق بركب الحج اليمني المتجه إلى مكة المكرمة، لأداء الفريضة. ويميل الباحث إلى الاحتمال الثاني؛ فقد كانت السفن العُمانية العائدة من بلاد الزنج، ترسو بميناء عدن، لتتزود منه، قبل أن تقلع إلى ميناء

= **معجم البلدان**، ج5 ص247، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84 ـ 85.

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص159.

(2) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص26- 27، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص45 ـ 47، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص159.

(3) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص122.

صُحار، ومنها إلى البصرة، وهو طريق البصرة جدة عبر عُمان الذي أشارت إليه كتب الملاحة والجغرافيا[1]، ولم تكن سفن الخليج تتوغل بعيدًا في البحر الأحمر، خوفًا من الشعب المرجانية قرب شواطئه، وكانت جدة آخر مكان تصل إليه هذه السفن في هذا الطريق[2]. وذكر ابن خرداذبة أن متاع الزنج يصل إلى عدن[3]، ومنه أنياب الفيل «العاج»[4]، مما يدل على أن السفن التجارية كانت تتجه من بلاد الزنج بمتاعها إليها.

ومما لاشك فيه أن ابن ظنير الميورقي كان مؤمنًا شديد العزيمة وقوي العقيدة، لمكابدته مشاق السفر من بلاد الزنج إلى الأراضي المقدسة بالحجاز، لأداء فريضة الحج، خصوصًا وقد كان في سن متقدمة كما يفهم من إحدى الروايات لابن حجر العسقلاني[5]، فهي رحلة شاقة، لا يتحمل أعباءها غير أمثاله من المؤمنين، ومما لا شك فيه أيضًا أنه أثر علميًا في الجماعات البشرية التي مر بها، وفي المرافقين الذين شاركونه في الطريق، فقد كان ذا إشعاع علمي كبير كما رأينا، ولعله حدثهم عن الحج وآدابه، فنشأت بينهم علاقات قوية، فرحلة

---

(1) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص169.
(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1 ص108، العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي**، ص201-202.
(3) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص61.
(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص54.
(5) ابن حجر العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، ق3 ص864.

الحج كانت من أهم العوامل في توطيد جسور التواصل بين الشعوب الإسلامية رغم تباعدها الجغرافي.

ونستدل من بعض الروايات على أن ابن ظنير الميورقي سلك الطريق البحرية نفسها عند عودته من مكة المكرمة إلى العراق، فركب من ميناء جدة إلى ميناء عدن، ومنها إلى ميناء صُحار، ثم ركب البحر منها متجهًا إلى البصرة، فإحدى هذه الروايات تذكر أنه عاد من الحجاز إلى البصرة على أنه يقيم بها، فلما وصل إلى بابها وقع عن الجمل فمات، وذلك سنة 474هـ/ 1082م[1]، وأفادت رواية أخرى أنه توفي منصرفه من الحج بطريق البصرة على مسيرة ثلاثة أيام منها، بكاظمة أو غيرها في صفر سنة 475 هـ/ يوليو 1082م[2]. ويؤيد تخريجنا هذا أن تجارة البصرة إلى عدن وجدة كانت تنطلق كما يستفاد من رواية مهمة للأوسي السيرافي من عُمان ذهابًا وإيابًا[3]. وكان

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص31، ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، وله أيضاً: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج20، رقم 169 ص109، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، رقم 1658 ص144. وكاظمة حصن منيع على جبل عالي الذروة، ينزل بها المسافرون مع العرب على مياه وآبار وعيون (الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص162).

(3) الأوسي السيرافي، **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، ص169.

المسافرون مع العرب كما يذكر الإدريسي ينزلون بكاظمة على مياه وآبار وعيون، وبينها وبين البصرة مرحلتان[1]، وفي هذا دلالة واضحة على أنه اتخذ عُمان أيضًا مَعْبَرًا إلى العراق؛ فلو أنه سلك طريق الحج البري من مكة إلى البصرة، ما دعته الضرورة إلى أن يمر بكاظمة، وهي إحدى المحطات التجارية البحرية بين عُمان والبصرة، ولم تكن كاظمة من محطات طريق الحج البري من الحجاز إلى البصرة[2]. فلعل الميورقي خرج من الحجاز تاجرًا، فسلك الطريق البحرية التي خبرها، من الحجاز إلى صُحار، ثم سلك الطريق البحري إلى البصرة؛ فقد ارتبطت حركة التجارة بين صُحار والبصرة بالطريق الموازي لسواحل الخليج العربية والجزر القريبة منها، كقطر، والبحرين، والدمام، وكاظمة[3]، مما يساعد على تنشيط تجارة العبور[4]، بسبب وجود المراكز التجارية من شمال الخليج حتى جنوبه، وانتشار بعض التجمعات البشرية على الساحل الغربي؛

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص162. وانظر أيضاً: البكري، **جزيرة العرب**، ص50.

(2) عن طريق الحج البري بين البصرة والحجاز، راجع: البكري، **جزيرة العرب**، ص51 ـ 54، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص163، 385 ـ 386.

(3) ابن خرداذبة، نفسه، ص61، محمد حسن العمادي، **التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع**، ص278، محمد الشحات قرقش، **صحار وتراثها البحري**، ص115، 113.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج1 ص162، قرقش، المرجع نفسه، ص114 ـ 115. وانظر أيضاً: ص110 ـ 111.

مما يوفر الأمن والأمان للسفن والبحارة، عكس الطريق البرية، التي يتنازع العرب بها «فليس لمسافر معهم أمان في نفسه ولا في شيء من ماله»[1].

عاشرًا: وفاته

اختلفت الروايات حول مكان وفاة ابن ظنير الميورقي وتاريخها؛ ووجدنا بعض المترجمين له يذكرون أكثر من رواية مختلفة عن ذلك، دون أن ينبهوا على هذا الاختلاف، في حين أشار إليه بعضهم. فقد ذكر ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق نقلاً عن شيخه ابن الأكفاني أن ابن ظنير الميورقي أقام ببغداد، وتوفي بها في سنة 477 هـ/ 1084م[2]، ثم عاد وذكر نقلاً عن الماوردي أنه مات بالبصرة سنة 474 هـ/ 1081م[3]، والجدير ذكره أن ياقوت الحموي احتفظ بهاتين الروايتين في كتابه معجم البلدان، وتعجب من عدم دقة صاحبهما في تحديد مكان وفاة ابن ظنير الميورقي وتاريخها، فقال معلقًا على الروايتين «كذا قال أولاً مات ببغداد، وههنا بالبصرة»[4]. وبالرجوع إلى تاريخ دمشق، وجدنا ابن عساكر قد ذكر الروايتين فعلاً، وأشار إلى الاختلاف بينهما، بل رجح إحداهما على الأخرى، فقال:

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م1 ص159 .وانظر أيضاً: المصدر نفسه، م1 ص391.

(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30.

(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص31.

(4) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5 ص247 .وذكر ابن الأبار رواية ابن عساكر عن شيخه ابن الأكفاني (ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص178).

«وقول الماوردي أصح لأنه شاهد ذلك»[1]. وهكذا جانب ياقوت الصواب في نقده لابن عساكر واتهامه بالغفلة، وعدم الدقة، كما أنه رغم ملاحظته النقدية غير الصحيحة، لم يرجح إحدى الروايتين على الأخرى، كما فعل ابن عساكر.

والجدير ذكره أن ابن عبد الملك المراكشي يرى أنه ليس في مساق رواية ابن عساكر عن الماوردي، ما يقتضي مشاهدة الأخير لوفاة ابن ظنير الميورقي، وأن قد كان لقيه بمكة المكرمة، اللهم إلا أن يكون الماوردي عند ابن عساكر أضبط لهذا الشأن من ابن الأكفاني، أو يكون ابن عساكر قد تأكد من وجه آخر أن الماوردي شاهد ذلك[2].

وذكر ابن النجار البغدادي روايتين مختلفتين عن تاريخ وفاته، دون أن ينبه أيضًا على هذا الاختلاف، فقال نقلاً عن ابن عساكر، إنه عاد إلى البصرة على أن يقيم بها، فلما وصل إلى باب البصرة وقع عن الجمل فمات، وذلك سنة 474 هـ/ 1081م[3]، وقال أيضًا نقلاً من كتاب محمد بن عبد الرزاق

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص30، ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص178.

(2) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، س5، ق1، رقم 325 ص165.

(3) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، وله أيضًا: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180. وانظر أيضًا: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج44 ص31، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ج 17 ص183 .وقد ذكر ابن الأبار هذه الرواية نقلاً عن ابن عساكر، غير أنه أخطأ في تحديد سنة الوفاة، فقال: «وذلك سنة 494هـ»=

البازكلي بخطه: إنه توفي منصرفه من الحج بطريق البصرة على مسيرة ثلاثة أيام عنها، بكاظمة أو غيرها، في صفر سنة 475 هـ/ يوليو 1082م(1)، ثم أورد ابن النجار البغدادي رواية ثالثة تختلف عن روايتيه السابقتين، فقال: إنه خرج إلى مكة، فمات في طريقها(2)، وهذه الرواية مبهمة، فهو لم يحدد تاريخ الوفاة، ويفهم من ظاهرها أيضًا أنه مات في الطريق إلى مكة، وليس منصرفًا عنها، بعد أداء فريضة الحج، عكس الروايتين السابقتين اللتين ينص فيهما أنه مات منصرفًا من مكة.

وقال الصفدي وأيده السيوطي فيما نقل عنه، أن ابن ظنير الميورقي توفي بكاظمة منصرفًا من الحج سنة 475هـ/ 1082م(3)، وذكر ابن حجر العسقلاني تاريخ وفاته، دون أن يحدد مكانها، وكيفيتها، فقال: إنه مات كهلًا سنة 474 هـ/ 1081م(4)، وذكر القفطي أنه مات

= (ابن الأبار، **التكملة**، ج3، رقم 442 ص178). ومن المرجح أن هذا خطأ مطبعي، فربما حدث خلط بين الرقمين.

(1) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص85، وله أيضًا: **المستفاد من تاريخ بغداد**، ص180.

(2) ابن النجار البغدادي، **ذيل تاريخ بغداد**، ج3، رقم 579 ص84.

(3) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج20، رقم 169 ص109، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، رقم 1658 ص144.

(4) ابن حجر العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، ق3 ص864. ونقل الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني مصحح الإكمال لابن ماكولا، رواية ابن حجر العسقلاني، ولكنه قال: مات كهلًا في سنة 464هـ (ابن ماكولا، **الإكمال**، ج5 ص258).

ببغداد سنة 474 هـ/م[1]، وأورد عصام سالم سيسالم روايتين حول وفاته، ولم يرجح إحداهما، فذكر أنه توفي في بغداد 477 هـ/ 1084م، وفي رواية أخرى توفي في كاظمة سنة 475 هـ/ 1082م، أثناء عودته من عُمان[2]. وذكر خالد البكر مستندًا إلى رواية ياقوت الحموي أنه كان مقيمًا ببغداد إلى حين وفاته بها سنة 477 هـ/ 1084م[3].

وبعد هذا العرض، فالأرجح عندي أنه مات بكاظمة، وهي من مراحل الطريق إلى البصرة، وقريبة منها، وذلك في أواخر سنة 474 هـ/ 1081م، فهذا التاريخ يتسق وتسلسل الوقائع بشكل منطقي؛ فمعظم الروايات اتفقت على أن ابن ظنير الميورقي مات منصرفًا من الحج في طريق العودة إلى البصرة، فلعله رحل عن الحجاز في أواخر سنة 473 هـ / 1081م، وقضى عامه كما رجحنا متنقلاً بين موانئ اليمن وعُمان، للتجارة ونشر العلم، ثم رحل عن صُحار إلى البصرة بحرًا، فمات بكاظمة. وهذا التاريخ يتفق أيضًا مع رواية ابن عساكر الأقرب زمنًا للأحداث، وأقدم المترجمين للميورقي، والمصدر الرئيسي الذي اعتمد عليه كل مَنْ جاء بعده، وأخيرًا فإن الماوردي مصدر ابن عساكر كان شاهد عيان على الوفاة، ثم إنه

---

(1) القفطي، **إنباه الرواة**، ج2، رقم 433 ص231.

(2) عصالم سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص423.

(3) خالد البكر، **الرحلة الأندلسية**، ص84. والجدير ذكره أن هذه الرواية قد نقلها ياقوت الحموي عن ابن عساكر.

كان صديقًا للميورقي ورفيقه في رحلة الحج، فإن لم يكن عاد معه بعد أداء الفريضة، وشاهد وفاته كما تشكك ابن عبد الملك المراكشي، فمن المنطقي أنه تتبع أخباره بعد عودته إلى البصرة، وعلم بوفاته.

الخاتمة

يتضح من حصيلة هذه الدراسة عمق التواصل الحضاري بين عُمان وشرق أفريقيا منذ القرن الأول الميلادي، وأن عُمان لم تساهم فقط في نشر الإسلام والثقافة العربية في الساحل والبر الإفريقي فحسب، بل كانت معبرًا للتجار والعلماء الأندلسيين، وغيرهم إلى هذه البلاد، ليقوموا بالدور نفسه. وبينت الدراسة أن عُمان وبلدان الساحل الشرقي لأفريقيا وجزره، كانت تتمتع بحركة اقتصادية مزدهرة في القرن الخامس للهجرة، مما دفع التاجر الفقيه النحوي ابن ظنير الميورقي الأندلسي المقيم بالبصرة إلى الرحلة إليها. وأنه دخل عُمان أولاً، للتجارة وطلب العلم، ثم انتقل منها بواسطة السفن العُمانية إلى بلاد الزنج سنة 471 هـ، ورجحت الدراسة أن ابن ظنير الميورقي استقر بأنفوجة إحدى جزر القمر، وهي جزيرة قنبلو التي كان المسعودي قد رحل إليها، وتردد إليها العُمانيون كثيرًا.

ورجحت الدراسة أيضًا أنه نقل بعض السلع العراقية، والعُمانية إلى أسواق هذه البلاد، وتاجر بها هناك، فربح أرباحًا وفيرة. وبينت الدراسة أيضًا أنه جلس لنشر الثقافة الإسلامية

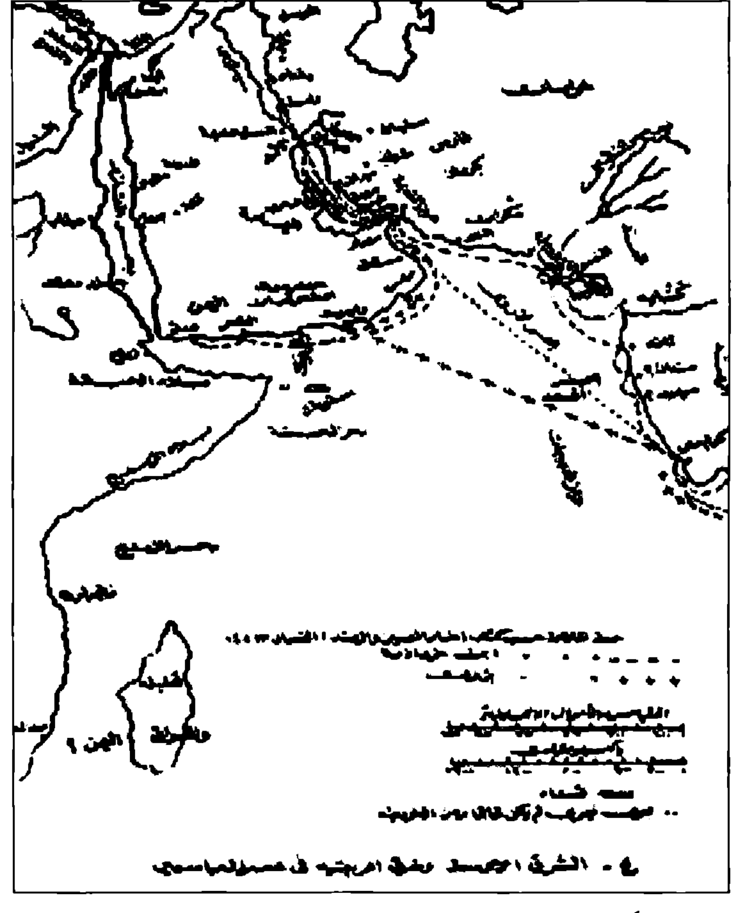
والعربية بين الزنوج قرابة خمسة عشر شهرًا (رجب 471 ـ شوال 473 هـ/ يناير 1079 ـ مارس 1081 م)، فالتفوا حوله، فحدثهم بمروياته التي كان قد سمعها من شيوخه الأندلسيين، والشاميين، والعراقيين، والعُمانيين، وأكدت الدراسة أنه جلس أيضًا لرواية الشعر والأدب العربي، وتدريس علوم اللغة العربية والنحو، فأقبل الزنوج على العربية والنحو بشغف، لما تتيحه لهم هذه العلوم من آفاق واسعة في التبادل التجاري مع العرب والمسلمين، والتعمق في أمور الدين الإسلامي، وتمكن الفصحاء من الزنوج من أداء دورهم التنويري بين بني جلدتهم. وهذا يعتبر في ذاته من عوامل التقدم الحضاري بشرق أفريقيا، وذهبت الدراسة إلى أنه قام بنشر الإسلام بين الزنوج الكفار بالطرق السلمية.

وأثبتت الدراسة أن ابن ظنير الميورقي، رحل عن بلاد الزنج بواسطة المراكب العُمانية، فتوجه إلى اليمن، ومنها إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج، والتجارة، وأنه اتخذ عُمان معبرًا مرة أخرى في طريق العودة إلى البصرة، ورجحت الدراسة أنه لم يصل إلى البصرة، ومات بكاظمة سنة 474 هـ/ 1081 م. وهكذا كان هذا العالم الأندلسي ممن ساهموا بنصيب كبير في نقل المؤثرات العربية، والإسلامية إلى القبائل الإفريقية بالساحل الشرقي للقارة السوداء، يؤيد ذلك أن هؤلاء الزنوج قد تأسفوا على خروجه من عندهم، مما يؤكد مدى استفادتهم من علمه، والمكانة السامية التي بلغها في نفوسهم.



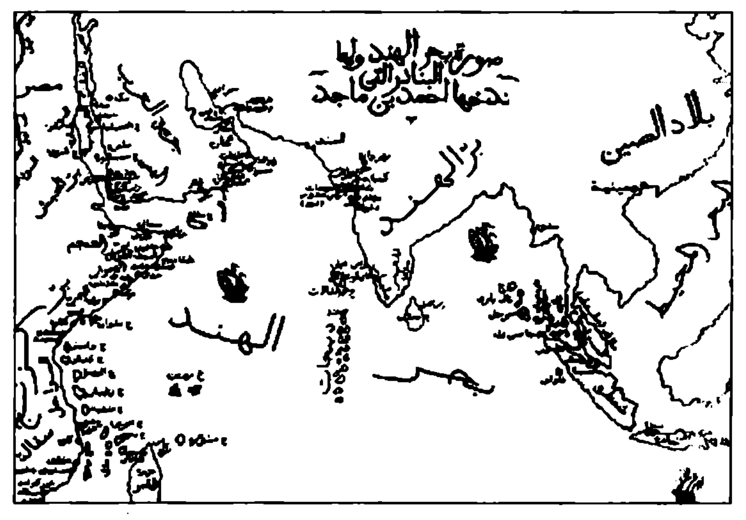
الخرائط

خريطة رقم (1)



نقلاً عن: حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص314.

خريطة رقم (2)



نقلاً عن: ابن ماجد، ثلاث أزهار في معرفة البحار، الملحق العاشر أمام ص200.

مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً ـ المصادر العربية

1 ـ ابن الأبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ـ ت 658 هـ/ 1260م):

ـ **التكملة لكتاب الصلة**، نشره عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمثنى، بغداد، 1956م، طبعة عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1995 م.

2 ـ ------: **الحلة السيراء**، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، 1963 م.

3 ـ البرادي (من رجال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي):

ـ **رسالة تآليف أصحابنا**، نشر على هامش كتاب الموجز لأبي عمار الكافي، تحقيق عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987م.

4 ـ بزرك (من ربابنة القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي):

ـ **عجائب الهند بره وبحره وجزائره**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

5 ـ ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي ـ ت 542 هـ/ 1147 م):

ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1979 م.

6 ـ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ـ ت 578 هـ/ 1183م):

ـ **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - اللبناني، القاهرة- بيروت، 1990 م.

7 ـ البكري الأندلسي (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ـ ت 487 هـ/ 1094م):

ـ **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق د. عبد الله يوسف الغنيم، الطبعة الأولى، ذات السلاسل، الكويت، 1997 م.

8 ـ البيهقي (الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ـ ت 458 هـ/ 1066م):
ـ **السنن الكبرى**، إعداد الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
9 ـ الجاحظ (ت 255 هـ / 868 م):
ـ **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1966 م.
10 ـ ----: **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الحلبي، القاهرة.
11 ـ ابن جبير الأندلسي (أبو الحسين محمد بن أحمد ـ ت 614 هـ/ 1217م):
ـ **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
12 ـ ابن حبان البستي (الإمام أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ التميمي ـ ت 354 هـ/ 965 م):
ـ **الثقات**، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، 1983م.
13 ـ ابن حجر العسقلاني (الإمام أبو الفضل أحمد بن علي ـ ت 852 هـ/ 1448م):
ـ **تهذيب التهذيب**، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1326هـ.
14 ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، 1967 م.
15 ـ الحُميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح ـ ت 488 هـ/ 1095م):
ـ **جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966 م.
16 ـ الحميري (محمد بن عبد المنعم ـ ت 705 أو 709 هـ/ 1306 أو 1309م):
ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه د. إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، 1984م.
17 ـ ابن حوقل (أبو القاسم ـ ت380 هـ/ 990م):
ـ **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.
18 ـ ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ـ ت 469 هـ/ 1076م):
ـ **السفر الثاني من كتاب المقتبس**، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود علي مكي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003 م.

19 ـ **المقتبس**، نشر شالميتا وآخرون، مدريد، 1979م.

20 ـ **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، نشر وتحقيق د. محمود علي مكي، القاهرة، 1971م، بيروت 1973 م.

21 ـ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ـ ت 300 هـ/ 912م):

ـ **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1988م.

22 ـ الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث ـ ت 361هـ/ 971م):

ـ **أخبار الفقهاء والمحدثين**، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م.

23 ـ الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ـ ت 463 هـ/ 1071م):

ـ **موضح أوهام الجمع والتفريق**، مطبع مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1959 م.

24 ـ ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ـ ت 776 هـ/ 1374م):

ـ **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، 1934 م.

25 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ـ ت 808 هـ/ 1406م):

ـ **تاريخ العلامة ابن خلدون**، دار الكتاب المصري - اللبناني، القاهرة - بيروت، 1999 م.

26 ـ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ـ ت 681هـ/ 1282م):

ـ **وفيات الأعيان**، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977 م.

27 ـ ابن خير الأموي الإشبيلي (أبو بكر محمد ـ ت 575 هـ / 1179م):

ـ **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، الطبعة الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 م.

28 ـ أبو داود (الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ـ ت 275 هـ/ 888م):

ـ **سنن أبي داود**، طبعة محمد محيى عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

29 ـ الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ـ ت 670 هـ / 1271م):

ـ **طبقات المشايخ**، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974 م.

30 ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد ـ ت 548 هـ/ 1155م):

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

31 ـ الدمشقي (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي):

- **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق محمود الأرناؤط، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1999 م.

32 ـ الذهبي (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ـ ت 748 هـ/ 1374م):

- **تذكرة الحفاظ**، بعناية عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

33 ـ **سير أعلام النبلاء**، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

34 ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

35 ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

36 ـ ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ـ توفي بعد سنة 310 هـ/ 922م):

- **الأعلاق النفيسة**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

37 ـ الرّشاطي (ت 542 هـ/ 1147 م)، وابن الخراط (ت 581 هـ/ 1186م):

- **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

38 ـ ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن ـ ت 463 هـ/ 1070م):

- **ديوان ابن رشيق القيرواني**، جمعه ورتبه وحققه الدكتور عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، 1989م.

39 ـ ابن رزيق (حميد بن محمد ـ ت 1290 هـ/ 1873م):

- **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، تحقيق عبد المنعم عامر وزميله، الطبعة الخامسة، وزارة التراث القومي والثقافة، 2001م.

40 ـ الأزكوي العُماني (سرحان بن سعيد ـ من علماء القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي):

- **تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة**، حققه عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1980م.

41 ـ الزبيدي الأندلسي (أبو بكر محمد بن الحسن ـ ت 379 هـ/ 989م):
ـ **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
42 ـ أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر ـ كان حيًا سنة 474 هـ/ 1081م):
ـ **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
43 ـ الزهري الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان ـ توفي في أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي):
ـ **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، نشر بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق، 1968م.
44 ـ ابن سباهي زاده (محمد بن علي ـ ت 997 هـ/ 1589م):
ـ **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عيد الرّواضية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
45 ـ السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ـ ت771 هـ / 1369م):
ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق مصطفي عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
46 ـ الستالي الخروصي (أبو بكر أحمد بن سعيد ـ ت 676 هـ / 1277م):
ـ **ديوان الستالي**، تحقيق عز الدين التنوخي، الطبعة الثانية، 1983م.
47 ـ ابن سعيد النزوي العُماني (أبو زكريا يحيى ـ ت 472 هـ / 1079م):
ـ **كتاب الإيضاح في الأحكام**، تحقيق محمد محمود إسماعيل، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1984م.
48 ـ ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد ـ ت 685 هـ/ 1286م):
ـ **المغُرب في حلي المغرب**، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
49 ـ ــــــــــ: **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه د. إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1975م.
50 ـ الإسماعيلي (الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إبراهيم ـ ت 371 هـ/ 981م):

- **كتاب المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي**، دراسة وتحقيق د. زياد محمد منصور، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، 1990م.

51 ـ ابن سماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد ـ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي):

- **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة**، تحقيق د. محمود علي مكي، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1984م.

52 ـ السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ـ ت 562 هـ/ 1166م):

- **الأنساب**، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان بيروت، 1988م.

53 ـ السهمي (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي) ت 427 هـ/ 1039م:

- **تاريخ جُرجان**، نشر تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، 1987م.

54 ـ ابن سلام الإباضي (عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي):

- **الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية**، تحقيق شفارتز وسالم يعقوب، بيروت، 1985م.

55 ـ السيرافي (التاجر سليمان وأبي زيد ـ من ربابنة القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي):

- **أخبار الصين والهند**، طبعة يوسف الشاروني، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م.

56 ـ السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن ـ ت 911 هـ/ 1505م):

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.

57 ـ ــــــــ: **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، الطبعة الخامسة، مكتبة الحلبي، مصر، 1982م.

58 ـ الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ـ ت 928 هـ / 1522م):

- **السير**، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1987م.

59 ـ شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ـ ت 728 هـ / 1327م):
ـ **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
60 ـ الإصطخري (توفي في النصف الأول من ق4 الهجري/ منتصف ق10م): ـ **المسالك والممالك**، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961م.
61 ـ ابن الصغير (من مؤرخي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي):
ـ **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
62 ـ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ـ ت 764 هـ/ 1362م):
ـ **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
63 ـ الصوافي:
ـ **السَلوة في أخبار كلوة**، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1985م.
64 ـ ابن الصلاح الشهرزوري (الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ـ ت 643 هـ/ 1246م):
ـ **طبقات الفقهاء الشافعية**، الطبعة الأولى، تحقيق محيى الدين على نجيب، بيروت، 1992م.
65 ـ الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد ـ ت 599 هـ/ 1202م):
ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.
66 ـ الطبراني (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد ـ ت 360هـ/ 970م):
ـ **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.
67 ـ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ـ ت 463هـ/ 1071م):
ـ **القصد والأمم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.
68 ـ ابن عدي الجُرجاني (الإمام أبو أحمد عبد الله ـ ت 365 هـ/ 965م):

- **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق يحيى مختار عزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988م.

69 ـ ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد ـ كان حيًا سنة 712هـ/ 1312م):

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

70 ـ القاضي عياض (القاضي أبو الفضل ـ ت 544 هـ/ 1149م):

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، صححه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

71 ـ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (الحافظ أبو الحسن ـ ت 529 هـ/ 1135م):

- **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق**، انتخاب الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن الأزهر، إعداد محمد كاظم المحمودي، قم المقدسة، 1403هـ.

72 ـ ابن غالب الأندلسي (محمد بن أيوب ـ عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):

- **فرحة الأنفس**، نشر د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، القاهرة، 1955م.

73 ـ عبد الكريم الرافعي القزويني (من أعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):

- **التدوين في أخبار قزوين**، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

74 ـ ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد ـ ت 703 هـ/ 1303):

- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** (السفر الخامس، القسم الأول)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1965م.

75 ـ ابن عساكر (الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ـ ت 571 هـ/ 1177م):

- **تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق وتعليق وتخريج علي عاشور الجنوبي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

76 - ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد - ت 1089هـ/ 1678م):

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

77 - ابن عميرة المخزومي (أبو المطرف أحمد بن عبد الله - ت 658 هـ/ 1260م):

- **تاريخ ميورقة**، تحقيق د. محمد بن معمر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، 2007م.

78 - العوتبي الصُحاري (العلامة أبو المنذر سلمة بن مسلم - توفي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي):

- **الأنساب**، تحقيق د. محمد إحسان النص، الطبعة الرابعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 2006م.

79 - ـــــ: **كتاب الضياء**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1990م.

80 - ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف - ت 403 هـ/ 1013م):

- **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

81 - ابن الفقيه الهمداني (أبو بكر أحمد بن محمد - ت290 هـ/ 903م):

- **مختصر كتاب البلدان**، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

82 - ابن قاضي شهبة الدمشقي (تقي الدين أبو بكر بن أحمد - ت 851 هـ/ 1447م):

- **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق د. علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.

83 - القزويني (زكريا بن محمد بن محمود - ت 682 هـ/ 1282م):

- **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.

84 - القلهاتي (محمد بن سعيد):

- المقامة الكلوية، ضمن كتاب «**المقامات العُمانية من ابن دريد حتى عبد الله الخليلي**»، تحقيق ودراسة ضياء خضير وكامل العتوم، الطبعة الأولى، منشورات جامعة صُحار، سلطنة عُمان، 2010م.

85 ـ القفطي (جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف ـ ت 624 هـ/ 1230م):
ـ **انباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، 1986م.
86 ـ ابن كثير الدمشقي (عماد الدين إسماعيل بن عمر ـ ت 776 هـ/ 1374م):
ـ **طبقات الشافعية**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.
87 ـ ــــ: **البداية والنهاية**، وثقه وقابل مخطوطاته الشيخ علي محمد معوض وزميله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
88 ـ ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك ـ ت 573 هـ/ 1177م):
ـ **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، نصان جديدان، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مدريد، 1971م.
89 ـ الكندي (محمد بن إبراهيم ـ ت 508 هـ/ 1114م):
ـ **بيان الشرع**، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1984-1988م.
90 ـ الكندي النزواني (أحمد بن عبد الله ـ ت 557 هـ/ 1162م):
ـ **كتاب الاهتداء والمنتخب من سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأئمة وعلماء عُمان**، تحقيق د. سيدة كاشف، القاهرة، 1985م.
91 ـ ــــ: **المصنف**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1984م.
92 ـ ابن ماجد السعدي (شهاب الدين أحمد ـ ت 906 هـ/ 1500م):
ـ **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكي، ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.
93 ـ ابن ماكولا (الأمير الحافظ ـ ت 475 هـ/ 1082م):
ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، القاهرة، 1966م.
94 ـ المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله ـ كان حيًا في سنة 453هـ/ 1601م):
ـ **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان**، حققه بشير البكوش، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
95 ـ ابن المجاور (أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ـ كان حيًا سنة 626هـ/ 1228م):

- **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة «تاريخ المستبصر»**، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م.

96 ـ مجموعة مؤلفين:
- **السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان**، تحقيق د. سيدة إسماعيل الكاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1986م.

97 ـ مجهول:
- **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس مولينا، مدريد، 1981 م.

98 ـ مجهول:
- **تاريخ أهل عُمان**، تحقيق وشرح د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الطبعة الثانية، مسقط، 2005م.

99 ـ ابن مداد النزوي (عبد الله ـ ت 917 هـ/ 1511م):
- **سيرة ابن مداد**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1984م.

100ـ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ـ ت 346 هـ/ 957م):
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

101ـ ــــ: **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م.

102ـ مسكويه (ت 421 هـ/ 1030م):
- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، باعتناء مرغليوث وآمدروز، القاهرة، 1914م.

103ـ المعولي الأفوي (محمد بن عامر ـ ت 1190 هـ / 1776م):
- **قصص وأخبار جرت في عُمان**، دراسة وتحقيق الدكتور سعيد بن محمد ابن سعيد الهاشمي، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، 2007م.

104ـ المقدسي (أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري ـ ت 378 هـ/ 988م):
- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

105ـ المقري (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ـ ت1041هـ/ 1631م):
- **نفح الطيب**، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1986م.

106ـ ابن منظور (الإمام محمد بن مكرّم ـ ت 711هـ/ 1311م).

- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، الطبعة الأولى، دار الفكر، 1988م.
107ـ أبو المؤثر (كان حيًا في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي):
- **كتاب الأحداث والصفات**، تحقيق د. جاسم ياسين محمد الدرويش، الطبعة الأولى، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1996م.
108ـ ابن النجار البغدادي (الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ـ ت 643 هـ/ 1245م):
- **ذيل تاريخ بغداد**، صحح بمشاركة الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
109ـ ــــــ: **المستفاد من تاريخ بغداد**، انتقاء كاتبه أحمد بن أيبك الحسيني عرف بابن الدمياطي، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
110ـ ابن وردان ـ **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1988م.
111ـ الأوسي السيرافي (أبو عمران موسى بن رباح ـ من أعلام القرن الرابع الهجري):
- **الصحيح من أخبار البحار وعجائبها**، تحقيق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006م.
112ـ الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ـ ت 334 هـ/ 945م):
- **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م.
113ـ ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ـ ت 626 هـ/ 1229م):
- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1979م.
114ـ ــــ: **معجم الأدباء**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
115ـ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) ت 278 هـ/ 891م:
- **كتاب البلدان**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

ثانيًا ـ المراجع العربية الحديثة والأجنبية المعربة

1 ـ أحمد (علي): **الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع**، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م.

2 ـ أرنولد (توماس): **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وآخرون، الطبعة الثانية، القاهرة، 1957م.

3 ـ إسماعيل (د. محمود): **الأدارسة في المغرب الأقصى (172 ـ 375هـ ـ) حقائق جديدة**، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م.

4 ـ الألوسي: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، طبعة محمد بهجة الأثري، بيروت، بدون تاريخ.

5 ـ البطاشي (سيف بن حمود بن حامد): **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان**، الطبعة الأولى، مسقط، 1992م.

6 ـ البكر (د. خالد عبد الكريم حمود): **الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية**، الطبعة الأولى، الرياض، 2002م.

7 ـ ــ: **النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة 138 ـ 316 هـ/ 755 ـ 928م**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، 1993م.

8 ـ بوتشيش (د. إبراهيم القادري): **التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب «دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع»**، الطبعة الأولى، منشورات جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، 2000م.

9 ـ بوحجام (د. محمد بن قاسم ناصر): **التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر**، الطبعة الأولى، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، مسقط، 2003م.

10 ـ بيريس (هنري): **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ترجمة دكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1988م.

11 ـ الترمانيني (د. عبد السلام): **الرّق ماضيه وحاضره**، الطبعة الثانية، عالم المعرفة، الكويت، 1985م.

12 ـ ترمنجهام (سبنسر): **الإسلام في شرق أفريقيا**، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973م.

13 ـ الشامري (د. إحسان ذنون): **الحياة العلمية زمن السامانيين التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 2001م.

14 ـ الجبر (حصة عبد الرحمن): **الحياة الاقتصادية في فارس (232 ـ 334 هـ/ 846 ـ 945م)**، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2004م.

15 ـ الجعبيري (د. فرحات): **البُعد الحضاري للعقيدة الإباضية**، مطبعة الألوان، مسقط، 1987م.

16 ـ ـــ: حياة الإمام محمد بن محبوب القرشي العُماني وعصره، ضمن كتاب **«الإمام محمد بن محبوب الرحيلي»**، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2006م.

17 ـ الجنحاني (د. حبيب): **دور عُمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول**، المجلد الثالث، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، مسقط، 1981م.

18 ـ جوزيف (جوان): **الإسلام في ممالك وامبراطوريات أفريقيا السوداء**، ترجمة مختار السويفي، الطبعة الأولى، دار الكتب الإسلامية، القاهرة- بيروت، 1984م.

19 ـ جيان (شارل): **وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق أفريقيا**، عرّبه ملخصًا الأمير يوسف كمال، القاهرة، 1927م.

20 ـ الحارثي (د. عبد الله بن ناصر): **عُمان في عهد بني نبهان (549 ـ 1034 هـ/ 1154 ـ 1624م) ـ الأحوال السياسية والأوضاع الإقتصادية**، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، 2004م.

21 ـ الحداد (محمد أحمد مشهور): **حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية**، دار الفتح، بيروت، 1973م.

22 ـ حسن (د. إبراهيم حسن): **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992م.

23 ـ الحريري (د. محمد عيسى): **مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي**، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت، 1983م.

24 ـ حواله (د. يوسف بن أحمد): **الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م.

25 ـ حوراني (جورج فضلو): **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م.

26 ـ الحويري (د. محمود محمد): **ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي**، دار المعارف، القاهرة، 1986م.

27 ـ ابن خليل (أحمد بن محمد): **إتحاف الأعيان بذكر ما جاء في فضائل أهل عُمان**، سلطنة عُمان، 1424هـ.
28 ـ الخروصي (سليمان بن خلف بن محمد): **ملامح من التاريخ العُماني**، الطبعة الثانية، مسقط، 1995م.
29 ـ الدجيلي (خولة شاكر): **العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الإفريقي الشرقي**، بغداد، 1980م.
30 ـ الدوري (د. عبد العزيز): **تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بغداد، 1984م.
31 ـ الراشدي (مبارك بن عبد الله): **نشأة التدوين للفقه واستمراره عبر العصور**، ندوة الفقه الإسلامي، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 1990م.
32 ـ الزاوي (الطاهر أحمد): **أعلام ليبيا**، الطبعة الثالثة، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.
33 ـ ــــ: **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، الطبعة الأولى، دار البيارق، عُمان، 1999م.
34 ـ الزركلي (خير الدين): **الأعلام**، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.
35 ـ سالم (د. السيد عبد العزيز): **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.
36 ـ ــــ: الملاحون العُمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الإسلامي، ضمن كتاب «**بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**»، القسم الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
37 ـ ــــ: **تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي**، ضمن ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1989م.
38 ـ ــــ: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م.
39 ـ السالمي (العلامة نور الدين عبد الله بن حميد): **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، مكتبة الاستقامة، مسقط، 1997م.
40 ـ سرور (د. محمد جمال الدين): **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق**، القاهرة، 1965م.

41 ـ السعدي (فهد بن علي): **معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية**، دار الجيل الواعد، مسقط، 2007م.

42 ـ السيابي (أحمد بن سعود): العوتبي نسابة، ضمن كتاب «**قراءات في فكر العوتبي الصُحاري**»، أعده للطبع محمد علي الصليبي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي، مسقط، 2003م.

43 ـ ــــ: (سالم بن حمود بن شامس): **عُمان عبر التاريخ**، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1986م.

44 ـ سيسالم (د. عصالم سالم): **جزر الأندلس المنسية «التاريخ الإسلامي لجزر البليار»**، الطبعة الاولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.

45 ـ أبو سيف (د. فتحى): **خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى**، القاهرة، 1995 م.

46 ـ شيحة (د. جمعة): **الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية في القرنين 5هـ 6هـ**، أعمال الملتقى الرابع الإسباني التونسي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983م.

47 ـ صابر (محي الدين): **العرب وأفريقيا العلاقات الثقافية**، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.

48 ـ بن صراي (د. حمد): **عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي**، مكتبة الفلاح، 2005م.

49 ـ الطاهري (د. أحمد): الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات، ضمن كتاب «**دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف**»، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993م.

50 ـ الطوخي (د. أحمد): **شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين**، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، 1990م.

51 ـ عامر (عبد المنعم): **عُمان في أمجادها البحرية**، العدد الثامن، سلسلة تراثنا، سلطنة عُمان، 1980م.

52 ـ العاني (د. عبد الرحمن عبد الكريم): **تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، 1999م.

53 ـ ــــ: **دور العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري**، سلسلة تراثنا، العدد 26، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ديسمبر 1981م.

54 ـ عبده (د. عبد الله كامل موسى): **مدينة برقة وآثارها الإسلامية**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001م.

55 ـ عثمان (د. شوقي عبد القوى): **تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الإسلامية**، عالم المعرفة، الكويت، 1990م.

56 ـ عبد الحميد (د. سعد زغلول): **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م.

57 ـ عبد الحليم (د. رجب محمد): **الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، 1990م.

58 ـ ــــ: العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مكتبة الفلاح، مسقط، 1989م.

59 ـ عبد العليم (د. أنور): **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة، الكويت، 1979م.

60 ـ العسكري (د. سليمان إبراهيم): **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، مطبعة المدني، القاهرة، 1972م.

61 ـ العمادي (د. محمد حسن): **التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع**، مؤسسة حمادة، اربد، 1997م.

62 ـ عمر (د. أحمد مختار): **النشاط الثقافي في ليبيا**، الطبعة الأولى، منشورات الجامعة الليبية، 1971م.

63 ـ العمري (د. أكرم ضياء): **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م.

64 ـ الغنيمي (د. عبد الفتاح مقلد): **الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا**، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.

65 ـ فهمى (د. نعيم زكى): **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

66 ـ قاسم (د. جمال زكريا): **دولة البوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان**، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2000م.

67 ـ ــــ: **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.

68 ـ ـــ: **عُمان وشرق أفريقيا**، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، سلطنة عُمان، 1980م.

69 ـ القحطاني (د. سعيد بن عبد الله): **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1424 هـ.

70 ـ قرقش (د. محمد الشحات)، صُحار وتراثها البحري، ضمن كتاب **«صُحار عبر التاريخ»**، الطبعة الأولى، مسقط، 2000م.

71 ـ ـــ: **المدخل إلى تاريخ الإسلام في إفريقية مع دراسة للدور العُماني**، الموزع مكتبة ابن كثير، سلطنة عُمان، 1995م.

72 ـ كيركمان (جي): **التاريخ المبكر لعُمان الإسلامية في شرقي إفريقية**، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، سلطنة عُمان، 1980م.

73 ـ مالكي (د. سليمان عبد الغني): **سلطنة كلوة**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.

74 ـ متز (آدم): **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

75 ـ محمود (د. حسن أحمد): **الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.

76 ـ محمود (د. حسن أحمد)، والشريف (د. أحمد إبراهيم): **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.

77 ـ المسري (د. حسين علي): **تجارة العراق في العصر العباسي**، جامعة الكويت، الكويت، 1982م.

78 ـ المغيري (سعيد بن علي): **جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، تحقيق عبد المنعم عامر، مطابع الحلبي، 1979م.

79 ـ المنتدي الأدبي: **قراءات في فكر أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكندي**، السيب، سلطنة عُمان، 1994م.

80 ـ المنذري (د. محمد بن ناصر بن راشد): **تاريخ صُحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، الطبعة الأولى، دار العلوم العربية، بيروت، 2008م.

81 ـ منيمنة (د. حسن): **تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (مقاطعة فارس)**، الدار الجامعية، بيروت، 1987م.

82 ـ النعُماني (سعيد بن سالم): **الهجرات العُمانية إلى شرق أفريقيا ما بين**

القرن الأول والسابع الهجريين (دراسة سياسية وحضارية)، منشورات النادي الثقافي بمسقط، سلطنة عُمان، دار الفرقد، سوريا، 2011م.

83 ـ النقيرة (د. محمد عبد الله): **انتشار الإسلام في شرقي أفريقية ومناهضة الغرب له**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982م.

84 ـ النائب الأنصاري (أحمد بك بن الحسن): **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من أعيان**، تقديم وتحقيق د. محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م.

85 ـ ـــ: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م.

86 ـ هاشم (مهدي طالب): **الحركة الإباضية في المشرق العربي**، الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي، 1981م.

87 ـ الهاشمي (د. سعيد بن محمد): **دراسات في التاريخ العُماني**، منشورات النادي الثقافي بمسقط، سلطنة عُمان، دار الفرقد، سوريا، 2011م.

88 ـ وزارة الإعلام: **عُمان في التاريخ**، وزارة الإعلام بسلطنة عُمان، دار اميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م.

89 ـ الوهيبى (د. مسلم بن ساعد بن علي): آراء الإمام محمد بن محبوب الكلامية، ضمن كتاب **«الإمام محمد بن محبوب الرحيلي»**، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2006م.

90 ـ ولكنسون (ج. س): **بنو الجلندي في عُمان**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1982م.

91 ـ لسترنج (كي): **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة كوركيس عواد وزميله، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

92 ـ اللواتي (د. علي بن حسن بن خميس): **تاريخ عُمان الحضاري منذ القرن الرابع حتى السادس للهجرة، دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية**، مجلس النشر العلمي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، 2011م.

93 ـ يان (تشانغ زون): **الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعُمان عبر التاريخ**، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، بدون تاريخ.

ثالثًا ـ الدوريات العربية

1 ـ برنيت (خوان): هل هناك أصل عربي أسبانى لفن الخرائط الملاحية، ترجمة أحمد مختار العبادي، **مجلة المعهد المصري بمدريد**، مدريد، 1953م.

2 ـ الحديثي (د. قحطان عبد الستار): **أسواق المدن الخراسانية، مجلة المؤرخ العربي**، بغداد، العدد 30، السنة الثانية عشرة، 1986م.

3 ـ عبد دكسن (د. عبد الأمير): **عُمان في كتابات جغرافيي القرنين الثالث والرابع للهجرة، مجلة أوراق**، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، العدد الثالث، 1980م.

4 ـ السالمي (عبد الرحمن): **تعددية العوتبي وترجمته أو إشكاليات شخصية العوتبي الصُحاري، مجلة نزوى**، العدد الحادي والعشرون، سلطنة عُمان، يناير، 2000م.

5 ـ الشيخلي (د. صباح إبراهيم): **العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، مجلة الوثيقة**، العدد الثالث عشر، السنة السابعة، يوليو 1988م.

6 ـ عبد الرحيم (د. ممدوح عبد الرحمن): **النشاط التجاري لمدينة سيراف في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ منتصف العاشر الميلادي، مجلة التاريخ والمستقبل**، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير 2005م.

7 ـ أبو العلا (د. إبراهيم عبد المنعم سلامة): **مظاهر الحضارة في مدينة أستجة الأندلسية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة الأموية**، العدد الثاني، السنة السادسة، **مجلة كلية التربية**، جامعة كفر الشيخ، 2006م.

8 ـ أبو فارس (د. حمزة): **المدرسة الفقهية المالكية في ليبيا خلال القرون الستة الأولى للهجرة**، مقال على شبكة الانترنت:

http: majda.maktoob.com

9 ـ قاسم (د. جمال زكريا): **استقرار العرب في ساحل شرقي أفريقيا**، العدد العاشر من **حوليات كلية الآداب**، جامعة عين شمس، القاهرة، 1964 ـ 1965م.

10 ـ مكي (د. محمود على): **رواد الثقافة الأولى بالأندلس**، العدد السابع، **مجلة البينة**، الرباط، 1962م.

رابعًا ـ الرسائل العلمية غير المنشورة

1 ـ أمبو سعيدي (عبد الله بن مسعود): **عُمان في عصر الإمامة الثانية (177 280 هـ/ 793- 893 م)، رسالة ماجستير**، نوقشت بآداب اليرموك، الأردن، 1995م.

2 ـ حافظ (فيصل سيد طه): **الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في**

نيسابور منذ مستهل القرن الثالث الهجري حتى قيام الدولة الغزنوية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب، فرع بني سويف، جامعة القاهرة، 2003م.

3 - الريامي (محمود بن سليمان): **العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة (دراسة وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير** نوقشت بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، 2002م.

4 - عبد الحكم (عبد الناصر إبراهيم): **الحياة الثقافية والعلمية في نيسابور منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه** نوقشت بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م.

5 - مفتاح صالح - **برقة وطرابلس من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، رسالة ماجستير** نوقشت بآداب القاهرة، 1975م.

خامسًا - المراجع الأوربية الحديثة ومواقع الانترنت

(1) Blachere (R.), Al-Asam, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition,Vol.1,-Leiden, 1986.

(2) Bosworth (E.), Siraf, **The Encyclopedia of Islam,** New Edition,Vol.IX,Leiden, 1997.

(3) -------------------,Khurasan, The Encyclopedia of Islam, New Edition,-Vol.V,Leiden, 1986.

(4) Castro (Arjona), **La cora de Cabra,** Actas del 1 Congreso de Historia de Andalucia, Madrid, 1978.

(5) Chittick (N.), **Kilwa An Islamic Trading City on the East Africa Coast,** Nairobi, 1974.

(6) Constable (Olvia Romie), **Trade and Traders in Muslim Spain,** Cambridge University Press, 1994.

(7) R. Coupland, **East Africa, and Its Invaders, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said 1856,** Oxford, 1938.

(8) David Son, **The Lost Cities of Africa,** U.S.A.,1959, P.174. Chittick Nevlle, Kilwa, and the Arabe Settlement of the African Coast, journal of the African History, vol.1V.2.1963.

(9) Delgado (Jorge Lirola), El poder naval de Al-Andalus en la epoca del Califato Omeya, Universidad de Granada,1993.

(10) Frye (Richard N.), **The Golden Age of Persia The Arabs in the East,** Weidenfeld and Nicolson, Landon, 1975.

(11) Harold D. Nelson, **Mozambique: a country study,** The American University, Third Edition, 1984, First Printing, 1985.

(12) Honigmaan (E.) Bosworth (C.E.), Nishapur, **The Encyclopedia of Islam,**

New Edition, Vol. V111, Leiden, 1995.
(13) Gupta (P.), **Geography in Ancient Indian Inscriptions,** Delhi, 1973.
(14) Imamuddin (S.M.), **The Economic History of Spain under the Umayyads,** 711-1031 A.C.,Dakka, 1963.
(15) Ingrams, **History Arabia and the Isles,** Landon, 1960.
(16) -----, **Zanzibar Its History and Its people,** Frank Cass Co. LTD. 1967.
(17) Levi - Provencal, **La description de L, Espagne de Ahmed al- Razi,** R. AL-Andalus, Vol.XV11, Madrid, 1953.
(18) -------, **L'Espagne Musulmane au Xe Siecle,** Paris, 1932.
(19) http: majda.maktoob.com
(20) Makki (Mahmud Ali), **Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana,** Madrid, 1968.
(21) Marin (Manuela), **individuo y Sociedad en Al-Andalus,** ed. Mapfre, Madrid, 1992.
(22) Pearce (F.B.), **Zanzibar, The Island Metropolis of Eastern Africa,** London, 1920.
(23) Reush (Richard), **History of East Africa,** London, 1954.
(24) Rubiera (Maria Jesus), **La Taifa de Denia,** Alicante, 1985.
(25) Tapia Garrido (Jose), **Almeria Musulmana,** Almeria,1986.
(26) Trimingham (S), **the Arab Geographer and the East African Coast in East Africa and the Orient,** ed. By Chittick and Rotary, New York, 1957.
(27) Vallve (Joaquin), **La division territorial de la Espana Musulmana,** Madrid, 1986.
(28) ------, **EL Califato de Cordoba,** ed. Mapfre, Madrid, 1992.
(29) Zoe March, **East Africa,** Cambridge, 1961.